دكتور محمد عوض خميس

دفاعاً عن المرأة

دراسة نفسية إجتماعية جنسية

١٩٨٥

العربي للنشر والتوزيع

٥ شارع القصر العيني - أمام روز اليوسف - القاهرة
تليفون : ٢٧٥٦٦ - ٢٧٤٨٢

إهداء

الى أبى وأمى اللـذين تحمـلا أعبـــاء حيــاتى

احتــراما واعترافــا بفضلهمــا

الى ما أتمنـــاه للمــرأة العربيــة

د٠ محمد عوض خميس

مقدمة

ان ايمانى الذى دعمته الخبرة المحدودة ، وما تلقيته من علم ، وما حصلته من ثقافة ـ بضرورة انتشال مجتمعى من تخلفه ، والعمل على دفعه نحو التقدم ومنذ ان وعيت على الاهتمام بقضايا وطنى ، وجدت ان الانسان هو أحد الدعائم الأساسية فى تقدم المجتمع او تخلفه ، فبدونه أما ان يتقدم المجتمع الى الامام مئات الخطوات أو أن يتراجع الى الخلف آلاف الخطوات ٠

ونحن نقصد بالانسان ذلك الكائن الاجتماعى الكامل المبدع الذى يملك القدرة على التفكير التغييرى فى مقابل التفكير التقريرى ٠

ولكى يتواجد هذا الانسان ، فلابد للمجتمع أن يوفر لكائناته الاجتماعية ، فرص العمل والابداع فى شتى المجالات ، وأن يتيح لأفراده العلم والثقافة دون أى عوائق ، ودون الحجر على حرية الفكر ، ودون تمييز بين أفراده ٠

ولقد شغلنى بشده ، أن اتمعن فى مظاهر تخلف مجتمعى ٠ ولقد وجدت أن هناك العديد من المظاهر والأسباب وراء هذا التخلف ، ومن أبرزها الانسان فى مصر ، ولقد ظهرت أمامى العديد من علامات الاستفهام وأنا ارى حرمان نصف المجتمع ـ المرأة ـ من المشاركة الفعالة والمنتجة فيه ٠

من هنا جاء اختيارى لمحاولة الاجابة على علامات الاستفهام تلك ٠ ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث ٠٠ ولا اخفى أننى ترددت كثيرا فى الخوض فى موضوع البحث ، الاغتراب والغبن الواقعان على كاهل المرأة بصفة عامة والمصرية بصفة خاصة ٠ ذلك أن المجتمع المصرى توارث عبر السنوات ، بداية من عصر الاقطاع وحتى يومنا هذا ، أن المرأة كائن ناقص ، وانها يجب أن تبقى كذلك مستندين مرة الى ادعاءات علمية كاذبة ، ومره الى تقاليد بالية ، واخرى الى ادعاءات دينية زائفة ٠

ومن ناحية اخرى فلقد غفل هذا المجتمع – مجتمع الذكور – وبشكل متعمد ، ان قضية المراة وتحررها انما هى قضية سياسية واقتصادية وجنسية ٠ وهى جزء من قضية أشمل وأعم وهى قضية تحرر الانسان بشكل عام وتقدم المجتمع بشكل عام أيضا ٠

وعندما خضت فى البحث المعنون « **اغتراب المراة فى المجتمع المصرى** » زال هذا التردد فلقد آمنت ان الباحث هو شخص قادر على التحدى ، وقادر على التحلى بالصبر وبوجهة النظر النقدية ، والنضال ضد الأفكار المتوارثة بلا خوف ولا رهبة ٠

ونحن لا ننكر ان الدراسات والأبحاث العديدة قد سبقتنا فى مناقشة قضية تحرير المراة ٠ ورغم الجهود الممتازة فى معظم هذه الدراسات والأبحاث التى أمكننا الاطلاع عليها ٠ الا أننا نهجنا منهجا آخر فى تناول تلك القضية مختلفا عن مناهج معظم من تناولوا هذه القضية ٠

ان منهجنا الأساسى فى البحث يعتمد فى الأساس على المنهج العلمى الذى هو بالضرورة ، على عكس الحفظ والتلقين ، يواجه ظواهر الطبيعة أو ظواهر المجتمع مواجهة موضوعية ٠ وهو يحاول دائما أن يكون منهجا لفهم الظاهرة بغرض تغييرها ٠ ويسعى دائما الى الاجابة عن علامات الاستفهام ٠ اى التعرف على العوامل التى تكون وراء وجود الظاهرة وعلى القوانين التى تحكمها وهو يدرس ببساطه الظواهر المادية والانسانية دراسة واقعية ، اى يقوم بدراسة العلاقات بين الأشياء وقوانين حركتها الداخلية فى ضوء الطبيعة والمجتمع ، وليس فى ضوء مسلمات مسبقة ٠

وهناك ثلاث معطيات أساسية ننطلق منها ونحن نخوض فى البحث :

أولا : ان قضية تحرر المرأة والدفاع عن حقها فى الحياة مرتبطة شكلا وموضوعا بقضية تحرير الانسان كجزء من المجتمع وبالتالى تحرر المجتمع بكل ما فيه من قيم وعادات وتقاليد متوارثة أصبحت معوقة وبالية ٠ وأن المراة هى جزء أساسى ورئيسى من كيان المجتمع ، وهى كائن اجتماعى كامل – انسان كامل – مثلها مثل الرجل تماما وقضية تحررها هى قضية تحرير الانسان ككل

ونحن لا نفصل بالتالى بين قضية تحرير المرأة وقضية تحرر الانسان أو المجتمع ككل ، لان الفصل هـو درب من دروب العبث وعـدم الفهم للمنهج العلمى ·

ثانيا : أن تخلف المجتمع او تقـدمه يجب أن يعتمد فى الأسـاس على الاستفادة بكافة امكانياته واهمها الامكانيات البشرية · ولابد من أن تكون رؤيتنا للمرأة ـ ككائن اجتماعى كامل ـ انها قادرة على المشاركة فى تغيير مجتمعها خطـوة الى الامام أو خطـوتين الى الخلف ·

ثالثا : لابد من دحض أى ادعاءات تتحـدث عن أن هناك عـوامل وتغيرات فسيولوجية ونفسية وعصبية تؤثر على المرأة بالسـالب لتـأتى تصرفاتها ومشاركتها فى المجتمع غير كاملة ومنقوصة دائما · وخاصة تلك الادعاءات التى خلفتها بعض مدارس علم النفس ·

ونود أن نشير ان بحثنا اعتمد فى جزء منه على استمارة تجميع المعلومات من الاناث · واننا لاقينا صعوبات جمـة فى ملأ تلك الاستمارات عبر المقابلة ، نظرا لاستهتار المرأة فى الاجابة حيث هى راضية بالأمر الواقـع وحيث ان تحررها أصبح داخليا تجترء مولدا لديها العـديد من العقـد النفسية ·

ولقد خاض بحثنا هذا فى ظاهرة معوقة لتقـدم المجتمع ورفاهيته وبصمة من بصمات تخلفـه محاولا علاجها ، لأننا أرباب حب وانتماء لهـذا الوطن ·

وأخيرا لا يفـوتنا ان نحيى كل من تصـدى لقضايا تحرر الانسـان ، وتحرر المرأة على وجـه الخصوص · تحية منا لأصـوات نسـائية تدافـع عن حرية المرأة · تحية منا للرواد الأوائل الذين أناروا لنـا الطريق وأفنـوا عمرهم تحت ظروف القهر والبـؤس من أجل تحرر الانسـان فى كل مكان ·

وما دمت آمل فأنا حى ·

دكتور محمد عوض خميس
الاسـكندرية
٢٤ فبراير ١٩٨٤

المبحث الأول
اضطهاد المرأة عبر التاريخ

ونحن نستهل البحث بالمبحث الأول ، « اضطهاد المراة عبر التاريخ » ، نحاول قدر الامكان أن نستعين بعلم التاريخ وهو العلم المختص بماضى وحاضر الانسانية وهو الذى يخبرنا بالطريق الطويل الذى اجتازه الانسان فى تطوره ، وكيف تطور المجتمع الانسانى بعد أن خرج الانسان من المجتمع البدائى ٠

كما سوف نستعين بالأنثروبولوجيا الاجتماعية وهى أحد فروع الأنثروبولوجيا العامة التى تدرس الانسان من عدة نواحى مختلفة ٠ فالأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بالثقافات والمجتمعات الانسانية ٠

ان العلم ـ وخاصة التاريخ والأنثروبولوجيا العامة والاجتماعية ـ قد تنبه عن طريق العلماء الى التشابه القوى بين الانسان والحيوانات وبصفة خاصة القردة العليا ٠ ولقد اثبت « تشارلز داروين » عالم التاريخ الطبيعى الانجليزى العظيم ـ أن الانسان والأنواع المختلفة من القردة العليا (الشامبانزى ـ الغوريلا ـ الأورنج أوتانج والجيبون) يشتركون فى اشياء كثيرة فيما يتعلق بتركيب الجسم والهيكل والأعضاء الداخلية ، وتطور الجنين ٠٠٠ الخ ٠

وهذا يثبت العلاقة البيولوجية بين الانسان والحيوانات الراقية : ومع ذلك فقد اثبتت اكتشافات بقايا حفريات القردة العليا التى انقرضت منذ زمن بعيد ، أن الانسان أكثر قربا من تلك الأنواع القديمة المنقرضة منه الى القردة العليا التى تعيش حاليا ٠ وقد اثبت هذا أن الانسان قد تطور من قردة متطورة تطورا كبيرا هى اسلاف كل من الانسان والقردة العليا الحالية ٠

ومنذ كثر من ثلاثين مليونا من السنين كانت القردة العليا القديمة تسكن الغابات الاستوائية فى كوكبنا ٠ وعلى مر الألوف من السنين لاءم أحفادها بطرق مختلفة بين انفسهم وبين الظروف المحيطة بهم ٠ ومع أن غالبية هذه القردة العليا واصلت حياتها العدوانية ، الا أن أسلاف الانسان اتبعوا طريقا مختلفا ٠ فبتلاؤمهم مع بيئتهم تعلموا شيئا فشيئا المشى منتصبى القامة ، وأتاح هذا

لأطرافهم الأمامية ن تبقى حرة لتقوم بأنواع اخرى من النشاط ، وباستخدام اطرافه الأمامية أخـذ الانسان القرد (مسترشدا بغريزته الذاتية) فى استخدام الأشياء الطبيعية كالعصى والحجارة للدفاع والهجوم وشـيئا فشـيئا تعلم استخدام هـذه الأشياء كأدوات للحصول على الطعام : للصيد والحفر عـن الجـذور التى يأكلها • وقـد ساعده الاستخدام المنتظم للأحجار والعصى على تطوير أطرافه وبالذات يديه •

ثم بدأ الانسان فى اختيار الأحجار الأكثر ملاءمة لأغراضـه ، وفيما بعـد تعلم كيف يشكلها بخبط حجر فى آخر وكيف يسنها ، وكيف يبرى الصوان بالحجم والشكل المطلوب ثم يصقلها • وهكذا تعلم أسلاف الانسان كيف ينتجون أدواتهم الأولى للحصـول على الطعام •

ولقـد كان العمل بأوجهه المختلفة هـو الذى قاد أسلاف الانسان والقردة العليا على دروب مختلفة من التطور • فالقردة العليا وأصلت طريقة حياتهـا الحيوانية وليست لديها القـدرة الا على الملاءمة السلبية للطبيعة ، وبالعكس فالانسان بولوجـه دروب العمل ، ومن ثم التقـدم الاجتماعى يتقـدم فى الكفاح ضد قوى الطبيعة ويغيرها حسب غايته ويجعلها شيئا فشيئا فى خدمة اغراضه •

وعلى هـذا فان التطور الانسانى بيولوجيا قـد منحه ملكات للعمل ، والعمل بدوره حفز تطورا أكبر فى جسم الانسان •

ولقـد لعب العمل الدور الأكبر والحاسم فى تقـوية وتطوير مخ الانسان • حيث تمكن الانسان من توجيه انتباهه الى خواص الأشياء الطبيعية المحيطة به ، فكون افكارا عامة عن بيئة وخـواص الأشياء الطبيعية المحيطة ، وتوصـل الى اكتشاف العلاقة بين الأشياء • وعلى هـذا فعن طريق العمل تطور مخ الانسان واصبح التفكير ممكنا وذا هـدف • ومكنه ذلك من التنبؤ بنتائج عمـله ، واكتسب نشاطه الغريزى اللاواعى صفة ارادية وواعية •

ولا يمكن تصور العمل الانسانى منعزلا ، فقـد كون الناس جماعات للعمل المشترك ممـا جعل من الضرورى وبالنسبة لهم الاتصال ببعضهم البعض ، ومن ثم أدى العمل الانسانى الى ظهور وتطور النطق ، وسيلة للتعبير عن الأفكار • ولقـد تطور النطق الانسانى من تلك الأصوات المدغومة التى تصدر

عن الحيوانات فى مواجهة الخطر ٠ والنطق الانسانى ليس اغنى الف مرة فى تنوع الأصوات فحسب ، بل انه ومنذ نشأته الأولى يعكس النشاط الواعى لا الغريزى ٠ ولقد كان ذلك ذو أثر عظيم فى أن وحد بين عدد من الناس اثناء العمل ومكن من تنظيم العمل الجماعى وبذلك اغتنت المهارة الانسانية واتسعت ٠

والتاريخ بمفهومه الذى نتفق معه ، ينظر الى تاريخ الانسان كتطور وتتابع أنماط تاريخية معينة من المجتمع لها أسلوب نتاج وبناء فوقى ذو سمات معينة ، تعرف بالتكوينات الاقتصادية والاجتماعية ٠ وقد ثبت علميا ان الانسانية ككل قد مرت بالتكوينات الاقتصادية الاجتماعية التالية :

١ ـ المشاعية البدائية ٠
٢ ـ العبودية ٠
٣ ـ الاقطاعية ٠
٤ ـ الرأسمالية ٠
٥ ـ الاشتراكية (الطور الأول للتكوين الشيوعى) ٠

ان تطور وتتابع التكوينات الاقتصادية والاجتماعية قانون موضوعى من من قوانين التطور (تطور المجتمع) سارى المفعول منذ ظهور الانسانية وتكون المجتمعات ٠

كان لزاما علينا أن تكون السطور السابقة هى المدخل الطبيعى للمبحث الأول لنصل الى مراحل تطور المجتمع ولنرى كيف تطورت معاملة الانثى بدءا من المجتمع البدائى (المشاعية البدائية) ٠

لقد كانت الملكية العامة فى المجتمع البدائى ، هى النوع الوحيد من الملكية الذى وجد فى مجتمع العشيرة فى ذلك الوقت ، وتمتع جميع الأفراد بحقوق متساوية وكان نفوذ أى فرد فى العشيرة يتوقف على المركز الذى يشغله فى حياة العشيرة ، اى فى عملياتها الانتاجية وكان الاعتبار الأول يعطى لخبرته ومهارته وقوته ٠٠٠ الخ ٠

وبتقسيم العمل بدأت المرأة تلعب الدور الرئيسى فى المجتمع البدائى ، فصناعتها المنزلية خلقت وسائل للعيش اكثر انتظاما ويمكن الركون اليها من

مهنة الصـيد عند الرجال وبالاضافة الى ذلك كانت الأم هى سيدة المجتمع وكانت تعتبر ربة العشيرة كلها وكانت تحصل على وسائل المعيشة الضرورة وتربى الأجيال الجـديدة • وعلى هـذا فقـد نمى نفـوذها ودورها فى مجتمع العشيرة البدائى بثبات • وتعرف هـذه المجتمعات بالعشيرية الأموية •

وقـد أدرك المجتمع الانسانى البدائى المكون من الذكور والاناث ، أن الأنثى بالطبيعة أصل الحياة بسبب قدرتها على ولادة الحياة الجـديدة ، واعتبرت أعلى قـدرة من الذكر وبالتالى أعلى قيمة • ومن هنا سادت الفكرة فى ذلك العهد أن الآلهة أنثى ، وأنها آلهة الاخصاب والولادة والخضرة والوفرة والخير وكل شيء مفيد •

ولقـد استمر العهد البدائى آلاف السنين ، ولا احـد يعرف بالضبط كم الف من السنوات استمرت ، لان نشوء علم التاريخ بالنسبة لنشوء أول الحياة الانسانية يعتبر شيئا حـديثا لكن معظم علماء التاريخ والانثروبولوجيا فى العالم يجتمعون على ما ذكرناه من أن الانثى كانت تحظى بقيمة انسانية واجتماعيـة وفلسفية أكثر من الذكر ، وأن الاله القـديم كان انثى وانه قبل نشوء الأسرة الأبوية كان المجتمع البدائى أمويا ، وكانت الأم هى الأصل وهى العصـب وهى التى ينتسب اليهـا الأطفال •

واذا رجعنا الى التاريخ مرة أخرى ، فسوف نجـد عهودا أخرى غـير العهود البدائية الأولى ، حيث ارتفعت فيها مكانة المراة ارتفاعا كبيرا •

واذا كان بحثنا بشكل خاص يتحـدث عن المراة المصرية ، فلنا أن نعـود الى تاريخ القـدماء المصريين ، لندرك على الفور ، أنه فى هـذا العهد ، قـد قامت حضارة منذ البداية على المساواة بين الجنسين وعلى ارتفـــاع مكانة المراة الاجتماعية ارتفاعا كبيرا كانت المراة تصل الى مرتبة الآلة كما يصل اليهـا الرجل • وتاريخ مصر القـديم حافل بالالهات اللائى كن يقـدم اليهن القرابين وتقام لأعيادهن حفلات رائعة ومنهن آلهة العـدل والحقول والسماء والكتابة والحصاد والحب والجمال والخصب وآلهة السرور والموسيقى والولادة •

وبالنسبة للمرة من عامة الشعب ، فقـد كانت تعمل على الأنوال للنسج والغزل وصنع السجاجيد وعملت بالتجارة فى الأسواق وشاركت زوجها أعمال

الصيد ووجد انه حتى الأسرتين الثالثة والرابعة « ٢٧٨٠ ق٠م٠ » كانت المرأة ترسم على المقبرة بحجم مساوى للرجل ٠ وفى آثار قدماء المصريين نجد فى تمثال « بانجم » (فى معبد الكرنك) أن المرأة او الزوجة تتقدم زوجها ٠ وهناك نصب تذكارى خاص بالسيدة « بيسيشت » من عصر الدولة القديمة يبين انها كانت مديرة للأطباء وكان للمرأة حظ وافر من الثقافة ، ويحكى موظف اسمه (خنوم ردى) انه كان امينا لمكتبة سيدة عظيمة تدعى (نفروكابيث) ويقول أن هذه السيدة قد عينتنى فى حضره مشرفا على خزائن الكتب الخاصة بأمها وكانت تحب العلوم والفنون ٠

وعندما أراد الحكيم المصرى « بتاح حتب » الذى عاش فى عهد الأسرة الخامسة أن ينصح أبنه أوصاه قائلا :

« اذا كانت زوجتك كاملة مدبرة ، فلا تعاملها بالخشونة والغلظة ، بل راقب أطوارها لتتعرف اصوالها ولا تسرع منها فى الغضب لئلا تزرع شجرة البغضاء فى دارك ، ان كثيرا من الرجال يخربون بيوتهم لجهلهم بحقوق المرأة » ٠

وينصح « آنى » أبنه بأن يعامل زوجته بالحسنى فيقول له :

« لا تكثر من اصدار الأوامر الى زوجتك فى منزلها اذا كنت تعلم انهـا سيدة صالحة ، ولا تقل لها (أين هذا ؟ احضريه لنا) اذا كانت قد وضعته فى مكانه المعهود ٠ لاحظ بعينيك والزم الصمت حتى تدرك جميل مزاياها ٠ يالها من سعادة عندما تضم يدك الى يدها وكثير من الناس هنا لا يعرفون كيف حال الانسان دون حدوث الشقاق فى منزله أن كل رجل يستقر فى منزل (يؤسسه) يجب أن يجعل قلبه ثابتا غير متقلب فلا تجر وراء أمرأة (أخرى) ولا تجعلها تسرق قلبك » ٠

ومن نصائح الحكيم « أمنيت ـ بن كانخت » من الأسرة الثانية والعشرين :

« لا ترسل نظراتك الى جارتك فان اطلاق النظر اليها يجعلك كالذئب فى مكره ، لأن للجوار حرمة يجب الاحتفاظ بها » ٠

ولعل من أروع ما خلفه لنا الأدب المصرى القديم ما قاله الحكيم « آنى » عن الأم :

« اعط المزيد من الخبز لأمك واحملها كما حملتك ٠ لقـد كنت عبئا ثقيلا عليها وحين ولدت بعـد تمام أشهرك حملتك على عنقها وظل ثديها فى فمـــك ثلاث سنين كاملة ٠ ولم تكن تشمئز من قـذارتك ولم تقل (ماذا تفعل ؟) أنها ادخلتك المدرسة لتتعلم الكتابة وظلت تنتظرك فى كل يوم تحمل اليك الخبز والجبن من منزلها ٠ وعندما تصبح شابا تتخـذ لك زوجة وتستقر فى منزلك ٠ ضع نصب عينك كيف ولدتك امك وكل ما فعلته من أجـل تربيتك ولا تجعلها توجـه اللوم لك وترفع يديها الى الله لئلا يستمع الى شكواها ٠

وتثبت وثائق المعاملات بين الأفراد فى مصر القـديمة أن كان للمرأة حـق الملكية وحـق البيع والشراء واداء الشهادة فى المحكمة ٠ وكانت المرأة تتساوى مع الرجل فى الميراث وكانت هى وريثته الوحيدة اذا لم ينجب ابناء ٠

وكانت للمرأة نصيب كبيرة فى تولى العرش ، فقـد كان يؤول اليها فى حالة عدم وجود ذكر بحيث تنحـــدر من أم ملكية ودم ملكى صميم ، اذ لم يحظر القانون (قانون وراثة العرش) على المرأة تولى الحكم ، وكان الملك اذا مات عن ذرية أكبرها بنت أصبح العرش من نصيبها ٠

لقـد استمر عصر ازدهار المرأة واحترامها التى وصلت الى درجـــــة القـداسة ، حتى بدأ الانخفاض فى مكانتها ووضعها الأدنى من الرجل ، مـع بدء ملكية الأرض وعصر الأسرة السابعة حتى الأسرة العاشرة « ٢٤٢٠ الى ٢١٤٠ سنة ق٠م » ولقـد استمر وضعها متدنى عن الرجل فى عصر الدولة الوسطى فى الأسرة الحادية عشرة حتى الأسرة الثالثة عشرة وعصر الهكسوس ، بسبب تفشى الاقطاع والظلم ، ولم تسترد شيئا من مكانتها الضائعة الا فى عصر الدولة الحـديثة (١٥٨٠ سنة ق٠م) بعـد ثورة النساء والعبيد والشعب المصرى القـديم كله ضـد المستعمرين والاقطاع ٠

وعندما سيطر على المجتمع قيم الملكية والاقطاع والتقاتل على توسيع الأملاك ، سيطر الرجل وتغيرت الديانات المصرية القـديمة وأصبحت تتركز على الموت والدمار وتقلل من شأن المرأة ٠ واصبح الميراث باسم الأب ونشأ المجتمع الأبوى حينما زادت ملكية الرجل للأرض واراد أن يعرف أطفاله ليورثهم أنتزع النسب من الأم وأنشأ أسرته الأبوية ولم يكن فى امكان الرجل أن ينشئ أسرته

الأبوية ولا أن تستمر هـذه الأسرة دون أن يفرض على المرأة سيطرته بالقوة والقـــانون ٠

وما حـدث للديانات المصرية القـديمة حـدث للديانة الاغريقية القـديمة ٠ تحولت من احترام الجسد واحترام المرأة الى تأثيم الجسد والهروب الصـوفى منه بعـد أن سيطر الرجل فى الأسرة وفى المجتمع وبدأ الجشع والاقطاع والحروب حتى فقـد الاغريق حريتهم تحت سيطرة أمبراطورية الاسكندر الأكبر ٠

وفى الديانات الحـديثة ، كانت الديانة اليهودية أول ديانة تبرز التفرقة بين الرجل والمرأة بين الجسد (المرأة) والروح (الرجل) ، الى حـد أن الرجل اليهودى يقول كل صباح حين يصلى « أحمدك يا رب ٠٠ لأنك لم تخلقنى امرأة » بينما تصلى المرأة اليهودية كل صباح تقول « احمدك يا رب ٠٠ لأنك خلقتنى وفى مشيئتك وارادتك » وبالرغم من أن هناك نصا صريحا فى التوراة يقـول « الله خلق الانسان فى صورته هو ، فى صورة الله خلق الانسان ذكرا وانثى ، وهـو خلقهما » ٠

وبالرغم من هـذا النص فان رجال الدين اليهودى اكتفوا بالجزء الأول من هـذه العبارة ، واستبدلوا كلمة الانسان بالرجل وخرجوا منها ان الله خلق الرجل فى صورته هـو وأن الله هـو روح الرجل أو عقله أما الجسد فهو المرأة ٠

وكانت المسيحية فى بدايتها تتمثل روح المسيح الذى دعا الى المساواة بين البشر لا فرق بين ذكر وانثى ، وكان المسيح يؤمن بأن (مرور جمل من ثقب ابره اسهل من دخول ثرى الى ملكوت الله) ٠ ولكن الأثرياء ، القائمـة ثرواتهم على الملكية والاقطاع وسيطرة الرجل حولت المسيحية أيضا الى ديانة تفصل بين الجسد والروح وتفصل بين جنس الرجل وجنس النساء وتعتبر الرجال هم الجنس الأسمى (يمثل المسيح – روح الله) أما جنس النساء فهو الجنس الأدنى لأنه يمثل الجسد ٠

وبهـذا اتجهت الديانات المسيحية واليهودية بحكم تطور المجتمع من المجتمع البدائى (المشاعية البدائية) الى العبودية والاقطاع ، الى ذلك الاغتراب عن الجسد وعن حقيقة الحيـاة ٠ ونتج عن ذلك تلك الحـالة التى أطلق عليها تجربة الاغتراب عن الحقيقة وما أحـدثته من ازدواجية فى حياة الانسان وأصبح الصراع بين :

(أ) الطبيعة الخيرة لجسد الانسان • وذلك مستمد من الديانات القديمة وعصور المشاعية البدائية •

(ب) اغتراب الجسد عن الحقيقة والهروب من العالم المادى الى العالم الروحى وذلك مستمد من عصور العبودية والاقطاع وهو ما ساعد على قيام الامبرطوريات والمستعمرات •

واصبحت المرأة المسيحية كما كانت اليهودية ، كبش فداء يقع بين فكى هـذا الصراع الضارى بين الروح والجسد أو بين الخير والشر •

وقد قال « أوجسنين » (أن الرجل هو الروح السامية وأن الانثى هى الأدنى ذات الجسد والشهوة الجنسية • وان الرجل فى صورة آدم هـو الزوج الذى هـو صورة من صور الله • وفى رأيه أيضا أن آدم مزدوج لأنه يمتلك روح الذكر الالهية السامية وجسد الانثى المادى الأرضى الأدنى • لذلك حين جاءت حـواء فقـد جاءت فقط لتكون زوجة آدم وتلـد اطفاله • أى دورها هـو دور الأم فقط اما أدوارها الأخرى الروحية والفكرية والدينية فهى مرفـوضـة تماما • وقال « أوجستين » أيضا أن الرجل فقط صورة كاملة من الله وان المرأة لا تصبح صورة من الله الا اذا انضم اليها زوجها الذى هـو رأسها) وفسر ذلك على أن المرأة ناقصة ، فهى جسد بغير رأس ، استنادا الى أن التوراة تبيح للرجل أن يصلى ورأسه عارية اما المرأة فيجب أن تغطى رأسها ، وعقلها ناقص • والرجل انسان كامل أما المرأة فهى جسد شهوانى حيوانى ينطوى على الاثم والخطيئة بالطبيعة وبارادة الله •

ويضيف « تيرتولين » قال أن النص فى التوراة الداعى الى أن تغطى المرأة رأسها يرجع الى أن حـواء هى المسئولة عن الاثم كله ، ولهـذا يجب أن تغطى رأسـها احتقارا لهـذا الرأس المدنس الآثم •

ويخاطب تيرتولين حواء فى هذا الصدد قائلا « أنت الباب الذى يقـود الى الشيطان • أنت التى فتحت الطريق الى تلك الشجرة المحرمة • أنت أول من عصا أمر الله . أنت التى أغويتيه ، حين عجز الشيطان أن يغريه . أنت حطمت بسهولة صورة الرجل الالهية • أنت سبب الموت • وبسببك أيضـا يمـوت ابن الله » •

وانتشرت فى القرنين الرابع والخامس الأفكار التى تمجد العـذرية • ولأن الاقتصاد هو محرك التاريخ ، لذلك كانت سوء الأحوال الاقتصادية يحول دون كثرة الانجاب وقـد بدأ ذلك فى فترة أنهيار الامبراطورية الرومانية ، وترددت الفكرة القائلة بأن روح العـذراء الطاهرة يمكن ان تكون عروســا للمسيح • وبهـذا شجعوا البنات بالاكتفاء بزواج المسيح فى خيالهن • وكانت الفكرة هي أن الله لعن حـواء لانها اغرت آدم وأخرجته من الجنة ولذلك عاقبها بأن تلـد فى أسى وألم (لم تعـد المراة الحـديثة تلـد لا فى أسى ولا فى ألم ، بسبب تقـدم احـد فروع العلم : الطب) وجاء تكريم العـذرية حيث تتحرر المرأة من جسدها المدنس وتعيش كالرجل (ما دامت عـذراء) تستمد من طبيعته الفضيلة لتقـوى جنسها الضعيف • فهى آثمة ان ظلت أمراة تمارس وظيفتها الجنسية ، وهى قابلة لتتطهر لو تركت تلك الطبيعة ولم تمارس وظيفتهـا الجنسية أو بمعنى أصح تمارس الجنس ومن هنا جاء مفهوم الرهبنة ، وقداسة واحترام الراهبـات •

واعتبرت المسيحية المشوهة ، زواج الرجل من المرأة فقط ، من أجل أن تكون آله لتوليد الأطفال وقال « اوجستين » انت تحب زوجتك كحبـك لعـدوك » •

ويضيف « أوجستين » مدعما آراءه الشريرة فى نظرنا ، حيث أن المراة ليست الا أداة تحت سيطرة الرجل ، وقـد تكون اداة ولادة ، وقـد تكون أداة جنسية (عادة سرية فقط) وهى لا يمكن ان تظهر ابدا كشخص مثل الرجـل والعلاقة بينهما لا يمكن أن تكون علاقة بين شخصين ، وانما علاقة بين شخص وبين شيء • وهـذا الشيء قـد يستخدم بطريقة صحيحة اذا استخدم فى ولادة الأطفال • وقـد يستخدم بطريقة خاطئة اذا استخدم فى الجنس •

وهكذا نتج عن تجريد المراة من شخصها وتحويلها الى شيء ، أن اصبحت تبـدو فى نظر الكنيسة على شكل ثلاث صور :

١ ـ عاهـرة •
٢ ـ زوجـة •
٣ ـ عـذراء •

● **العاهـــــــرة :**

وهى أمراة جنسية محتقرة ٠

● **زوجـــــــة :**

وهى جنسية ايضا ولكنها محكومة بعقل الزوج وخاضعة لحكمته الالهية من أجل هدف واحد هو ولادة الأطفال (اللذة الجنسية هنا محرمة على الزوجة)٠

● **العـــــــذراء :**

ترتفع الى الروحية والمساواة بالرجل ومن هنا نشأت مريم العـذراء وارتفعت مكانتها فى المسيحية لانها ضربت عصفورين بحجر واحـد ٠

١ ـ ظلت عـذراء لم يلمسها رجل ولم تمارس الجنس ٠

٢ ـ اصبحت اما وولدت طفلا (المسيح) ٠

وانتشرت فى العالم بعد ذلك الأفكار التى قللت من وضع المراة ، وانخفضت مكانة المرأة فى المجتمع المسيحى عنها فى المجتمع الرومانى السابق له ٠ مع أن هناك نصا صريحا فى الانجيل يقول « انه ليس هناك من هـو يهودى أو اغريقى ، ليس هناك من عبد أو حر ، ليس هناك من ذكر أو أنثى ، لأن كلكم واحـد داخل يسوع المسيح » ٠

ولقـد تجاهل رجال الدين والفلاسفة ـ خـدم السلطة ـ هـذا النص الواضح من اجل أن تسود القيم الاقتصادية المطلوبة فى ذلك الوقت ، وهى القيم القائمة على الملكية والاقطاع والتوريث ، وفرض النظام الأبوى ٠

وأصبحت هـذه هى سمة العصور الوسطى أو العصور الاقطاعية ، وأكد « توماس » فيلسوف ومفكر هـذه العصور ما ردده ارسطو « من أن الرجل خلق للأنشطة النبيلة والمعرفة الفكرية ، أما المراة فرغم أن لديها روحا فاعلة ، الا انها وجـدت من أجـل الجنس فقط وليست الا وسيلة للتناسل من أجـل الحفاظ على النـــوع » ٠

وكان ارسطو من قبل قـد خرج للناس بنظريته الفسيولوجية عن ان الحيوان المنوى هـو العامل الأساسى الايجابى فى التناسل ولا يحتاج الا الى تجـويف (رحم) لينمو ويتغـذى • وهكذا فالمراة عندما تساهم فى صنع الجنين فهى تساهم بمادة خام غير حية ، أما الرجل فهو وحده الذى يمنح الحياة للجنين•

ولقـد وصل الأمر الى أن تقهر المراة فى العصور الوسطى بكافة الوسائل من أجـل اشباع حاجات الرجل • حيث يصيح « توماس » هـذا ، بأن الزوجة يجب الا ترفض ممارسة الجنس « رغبة زوجها » المريض بالجـذام رغم أن الأطفال معرضون للاصابة • وهكذا عنده اشباع رغبة الزوج اهم من صـــحة الزوجـــة والأطفـــال •

وتدعم منهج الفلسفة الذكرية المتناقضة القائمة على السلطة الأبوية وتشويه الحقائق وبترها وقلبها من أجل اثبات اشياء ابعـد ما تكون عن العقل وعن الحقيقة ، وأشـد ما تكون قربا من تقـديس الرجل ودونية المرأة •

واصبحت فلسفة الكنيسة ــ التى هى فى علاقة جـدلية مع سلطة الاقطاع ــ ، هى ان « الرجل ينتمى الى نفسه والمراة تنتمى الى الرجل » • من حـق الرجل ان يخون زوجته مع غير المتزوجة والخيانة محرمة على المرأة تماما ، والمرأة الأرملة عليها الا تتزوج بعد زوجها ولا تمارس الجنس وعليها أن تربى اطفال زوجها من عشيقاته الأخريات • وحرم على المراة الحائض دخـــول الكنيسة • ودم الحيض يجـذب الشياطين والأرواح القـذرة • ودعم « فيليب دى نوفير » احـد مفكرى ذلك العصر الكبار ، موقف الكنيسة ، فلم يكن يريد للمراة أن تقرأ حتى لا تتعرض للشر • واضاف هـذا المفكر لذلك العصر حكمته الشهيرة الشريرة واللاأخلاقية (كلما كان الرجل شريرا او خائنا احتاج الى زوجة فاضلة مخلصة) ، وقال أن روح المراة ليست مساوية لروح الرجل ويجب الا يسمح لهـا بالخروج الى الحياة العامة والفكرية لأنها ناقصة وعقلها ناقص ومكانها البيت لأن نشاطها فى المجتمع قـد يكون خطرا على الرجل باثارة شهوته الجنســـية •

وظلت تلك الأفكار مسيطرة منذ القرن التاسع الى القرن الثالث عشر ٠

وبتغير الظروف الاقتصادية ، تغيرت النظرة الى الجنس واعتبر شـيئا نبيلا فى ظل الزواج وأصبح للمرأة عظمة الأمومة ، وانها رغم ألم الولادة والأسى المفروض عليها بارادة الله فهى تجـد لذة فى الأمومة وتحقيقا لذاتها ووجودها ٠

وفى القرن الخامس عشر ومع بزوغ بدايات الراسمالية ظهرت الحاجة الى الايدى العاملة لتشغيلها فى الصناعات الجـديدة والأعمال المتزايدة وظهور الآلات والورش الكبيرة ٠

وحـدث التغيير فى المذهب الفلسفى بعـد هـذا التغيير الاقتصادى الذى نشأ بالضرورة عن تغير اجتماعى أحـدثته حركة التمرد بين الأجزاء والشغيلة والنساء ، ورغبة المطحونين والمستعبدين فى التحرر من سيطرة الاقطاعيين والمـلاك والسـادة ٠

ودافـع « لوثر » عن حقوق المرأة ، ونقـد الكنيسة التى تمد يدها الى الشيطان حيث امتلأت صناديق النذور من بيوت الدعارة كضرائب « غفران » بالدفع من قبل الرجال فى صندوق النذور قبل ممارسة الجنس مع العاهرات ٠

ودافـع « كالفن » أيضا عن حـق المرأة وحـق انفصالها عن زوجهـا اذا كانت حياتها معرضة للخطر وهو تطور قـوبل بانتقاد شديد من الكنيسة التى كانت حرمت الانفصال بين الزوج والزوجـة حتى تحت أى ظروف ٠

واطلق على هـذا العصر عصر النهضة ٠ حيث ثورة المطحونين ، وتمردهم على المؤسسات الموجودة فى المجتمع والتى تحكمهم وتبرز لهم ما هم فيه من استعباد وفقر وذل ٠ وكانت احـدى تلك المؤسسات هى الكنيسة ذاتها التى قالت أن حـق الحكام والملوك نابع من السماء وليس من الأرض وان الملكية والثراء حـق الهى أعطاه الله للاقطاعى وعلى الأجير أن يطيع ويقبل امر الله ٠ وأن السيطرة للرجـل وعلى المرأة أن تطيع وتقبل أمر الله ٠

وشعر العبيد والسود والاجراء والنساء مع بزوغ العصر الرأسمالى (الثورة البرجوازية) بالاغتراب عن كنيسة طبقية واله طبقى وديانة طبقية ذكرية تؤمن بأن الله له الحق فى الأمر والنهى والطاعة وأن الرجال النبلاء يشاركون الله هـذا الحـق ٠

لقد لعبت البرجوازية فى التاريخ دورا ثوريا رفيعا ٠ فحينما استولت البرجوازية على السلطة ، داست بقدميها جميع العلاقات الاقطاعية والبطريركية والمثالية العاطفية وحطمت بلا رأفة جميع الروابط المعقدة والمتنوعة التى كانت تربط الانسان الاقطاعى برؤسائه الطبيعيين ، ولم تبق على صلة بين الانسان والانسان الا صلة المصلحة الباردة والمتطلبات القابلة للدفع (نقدا وعدا) واغرقت أقدس تشعريرات الحمية الدينية ، والنخوة الفروسية والعاطفية البرجوازية الصغيرة فى المياه الجليدية للحساب الأنانى ٠

ونزعت البرجوازية عن كل النشاطات التى كانت تعتبر فى ذلك الحين مبجلة والتى كانت ينظر اليها باحترام قدسى ٠ نزعت عنها هالتها ، وأدخلت القانون ورجل القانون والكاهن والشاعر والعالم فى خدمتها كشغيلة مأجورين ٠

وكذلك مزقت البرجوازية حجاب العاطفية الذى كان مسدلا على العلاقات العائلية فقضت عليها بأن تكون محض علاقات مالية ٠

واصبحت المرأة جزءا لا يتجزأ من أدوات الانتاج ، تحت أقصى الظروف فى ظل الرأسمالية وعلى سبيل المثال : فانه فى الأسابيع الأخيرة من يوليو ١٨٦٣ نشرت جميع صحف لندن مقالا تحت هـذا العنوان المثير (موت لمجرد الافراط فى العمل) وكان الأمر يتعلق بموت صانعة الأزياء (مارى آن والكلاى) وعمرها عشرون عاما ، المستخدمة فى معمل محترم جـدا تستثمره سيدة تحمل الاسم الرقيـق « اليزا » ٠

صحيح أن العاملات الشابات ماكن يعملن بصورة وسطية الا ستة عشرة ساعة ونصف فى اليوم ، وخلال الموسم فقط كن يعملن ثلاثون ساعة متوالية

دون انقطاع . وكان المطلوب تصميم الزينة فى ظرفه عين لسيدات نبيلات ينوين الذهاب الى حفلة الرقص التى ستقام على شرف أميرة الويلز (ولية عهد انجلترا) . لقد اشتغلت « مارى آن والكلاى » ستة وعشرون ساعة ونصف الساعة دون انقطاع مع ستين فتاة اخريات وتجب الاشارة الى ان أولئك الفتيات كن يعملن كل ثلاثون فتاة فى غرفة تتضمن اقل من ثلث كمية الهواء الضرورية وفى الليل كن ينمن كل اثنتين فى كوخ صغير وفيه غرف نوم مصنوعة من مختلف الحواجز الخشبية .

(ان الآلة ، اذ تجعل القوة العضلية غير مجدية ، تسمح باستخدام عمال لا يتمتعون بقوة عضلية كبيرة فحين استولى راس المال على الآلة ، كانت صرخته هى : أريد عمل النساء . وهكذا بدأت مرحلة جديدة من خضوع المراة وبعنف يصل حتى الموت لنير الراسمال ، ففى عصر الاقطاع كان الفرد يبيع قوة عمله الخاصة التى يستطيع ان يتصرف فيها بحرية ذلك الفرد كان الرجل . والأن وفى عهد الراسمالية هو يبيع زوجته ؟ انه يصبح نخاسا وبائع رقيق . وعملت المرأة فى كافة المهن الشاقة (مثل العمل فى المناجم) ورغم ذلك أيضا كانت تمنح شلنا ، الى شلن وستة دراهم يوميا ، فى حين ان الرجل يؤدى نفس العمل معها ويتقاضى شلنين وستة دراهم .

لقد كان النساء فى انجلترا (أم الثورة الصناعية) واللاتى خرجن للعمل ، يرجعن الى العمل فى كثير من الأحيان فى اليوم الثالث أو الرابع للولادة ، هاجرات بالطبع اطفالهن الرضع .

ويقدم لنا اللورد اشلى تصريحات بعض العاملات : م.هـ، فى العشرين من العمر لها طفلان ، ثانيهما ما يزال رضيعا وبحراسة الآخر الذى يكبره سنا بقليل ، تذهب الأم بعد الساعة الخامسة صباحا الى العمل ، وتعود فى الثامنة مساءا ، وطوال اليوم يسيل الحليب من ثدييها فيلوث ثيابها . هـ.و ، لها ثلاثة اطفال تغادر بيتها فى الساعة السابعة ، وتنهمك عندئذ فى تدبير شئون اطفالها فلا يمكنها أن تلوذ بالفراش قبل الثالثة فجرا ، وكثيرا ما يبللها المطر حتى العظام ، وتضطر الى العمل فى تلك الحالة « ثدياى يؤلماننى المـا فظيعـا

والحليب يسيل منهما » ، واستعمال المنومات لالزام الأولاد جانب الهدوء فى المقاطعات الصناعية ، يلقى تشجيعا عظيما من ذلك النظام الراسمالى الجشع • ويموت الأطفال بالتشنج • وعمل المراة بهذه الصورة يحل الأسرة الأم لا مبالية بالأطفال رغما عنها لساعات عملها الطوال • والأطفال فى ظل هذه الأسرة تخسرهم الأسرة فيما بعد خسارة تامة • فلن يكون فى مستطاعهم ابدا ان يحسوا بأنهم بين ذويهم فى الأسرة التى سيؤسسونها بأنفسهم ، لانهم لم يعرفوا الا العزلة فى حياتهم ، ولهذا السبب نراهم يساهمون بالضرورة فى تدمير الأسرة ـ وهو تدمير عام بالأصل ـ لدى العمال) •

ولقد كان العمل فى المعامل يعطى ويقلد رب العمل الحق فى ان يكون القاطف الأول وسيد جسد عاملاته ومفاتنهن ، وكان الطرد عقوبة قوية بما فيه الكفاية فى تسع حالات من أصل عشر ، بل وفى تسع وتسعين حالة من أصل مائة ، للتغلب على وساوس الضمير لدى فتيات ليس عندهن بالأصل استعدادا كبيرا بالعفة • وكانت المعامل هى جحور جحيم حقيقية ، وتدين معظم مومسات المدينة فى ذلك الوقت للمعامل بما آل اليه مصيرهن •

وهكذا عانت المراة فى المجتمع البرجوازى الطبقى ، الذى اعطى الرجل حتى لو كان عاملا الحق فى امتلاك المراة ، لتعانى قهرين : قهر العمل فى ظل اوضاع اقتصادية بالغة السوء تعمل مثل الرجل تماما وتتقاضى نصف ما يتقاضاه ، وقهر امتلاك زوجها لها بناءا على حق الملكية الخاصة •

وباتت الأسرة الزوجية فى ظل الراسمالية تقوم على العبودية البينية السافرة أو المقنعة للنساء ، وأصبح المجتمع عبارة عن كتلة تتألف بوجه الحصر من اسر زوجية وهى بمثابة جزيئاتها • واصبح الرجل • بحكم قوانين المجتمع البرجوازى ـ هو عماد الأسرة ومعيلها وهذا ما يضمن له سلطة وهيمنة وأصبح ذلك بمثابة امتياز قانونى له او حقوقى له • فالرجل فى الأسرة هو البرجوازى والمراة هى البروليتاريا •

واذا كان العرض السابق ، لمراحل تطور المجتمع قد ارتبط بأشكال رئيسية للزواج :

١ ـ الوحشية يقابلها الزواج الجماعى ٠

٢ ـ البربرية يقابلها الزواج الازدواجى ٠

٣ ـ الحضارة (الرأسمالية) يقابلها الزواج الأحادى ٠

والزواج الأحادى فى الطور الرأسمالى لتطور المجتمع مقرون على الدوام بالزنا والبغاء ، فالزواج الأحادى يعتبر خيانة الزوجة جريمة تستوجب عواقب قانونية واجتماعية وحتمية ، وهو بالنسبة للرجل امر مشرف ، أولا يعتبر فى اسوأ الظروف سوى لطخة أخلاقية طفيفة تزول سريعا ٠ فأحادية الزواج تعنى أحادية زواج المرأة وليس الرجل ٠ ولقد نشأ لأسباب اقتصادية أهمها التوريث التابع والنابع من حق النسب : نسب الأبن لأبيه ٠

لقد كان الانتقال من الزواج الجماعى الى الزواج الأحادى خطوة تقدمية قامت بها النساء أساسا ، أما الرجال فلا يمكن أن نعزو اليهم من فضل الافضل التخلى عن الزواج الازدواجى لصالح الزواج الأحادى ٠

ان الانتاج الراسمالى ، الذى يتكفل بمعظم الأعمال التى كانت المرأة تكرس نفسها لهـا فى البيت العائلى ، قد ضم الى جيشه من أجراء المعامل والمخازن والمكاتب والتعليم نساء وبنات الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة ، ليوفر لنفسه عملا رخيصا فى ثمنه ٠ وتحت ضغط حاجته الملحة الى الطاقات الفكرية ، نحى جانبا الحكمة الموقرة والمبجلة لأخلاق الذكور : القراءة والكتابة والحساب يجب أن تكون كل زاد المرأة من المعرفة ٠ وفرض ضرورة تعليم البنات والصبيان على حد سواء مبادىء العلوم ٠ ولما خطيت الخطوة الأولى بات من المستحيل تحظير دخول الجامعات عليهن ٠

ولم تنتزع الراسمالية المرأة من البيت ولم ترم بها فى الانتاج الاجتماعى لتحررها وانما لتشغلها على نحو أشنع حتى مما تستغل به الرجل ، ومن هنا

كان الحـذر والتمنع عن الاطاحة بالحواجز الاقتصادية والحقوقية والسياسية والأخلاقية التى نصبت للحجر على المراة ضمن جـدران البيت الزوجى • والمراة التى يستغلها الراسمال ، تتحمل بؤس الشغل الحر وتحمل فوق ذلك أغـلال ماضيها وقـد تفاقم بؤسـها الاقتصادى ، فبدل ان يطعمها الأب او الزوج الذى ما تزال رهن أمره وتحت امرته يتوجب عليها ان تكفل اسباب معيشتها وبحجة ان حاجاتها اقل من حاجات الرجل ، تتقاضى عن عملها أجرا دون أجره وحين ينتهى عملها اليومى يبدأ عملها فى البيت • لقـد نشأ ذلك كله مـع نشوء الملكية الخاصة فى المجتمع الراسمالى الصناعى والتجارى •

واصبحت المراة فى الحقبة الراسمالية لا تستطيع ان تعيش من ذاتها ، من عملها وحتى فى خارج الأوقات التى تنصرف فيها الى اداء اسمى الوظائف الاجتماعية لتخليد الجنس البشرى باعادة انتاجـه ، لا تجـد فى بيع القـوة العضلية والفكرية سوى تكملة ، لا اكثر لأسباب حياتها • فاجرها ، الذى هـو فى غاية التدنى ، يرغمها على طلب البقية من الرجل بوصفه ذكرا : زوجا أو عشيقا أو عابر سـبيل) •

لقـد حكم المجتمع الراسمالى فى بدايته وحتى اوائل القرن العشرين على المراة بالمتاجرة بجنسها الذى أضحى وسيلة وجودها الرئيسية – أن لم نقـل الوحيدة • فعلاوة على جسدها المتحول بالضرورة الى بضاعة وسلعة ، قابل لأن يكون قـد اصبح ، بنتيجة الاستعمال او الامتلاك ، عسير التوظيف أو مستحيل التثمير من جـديد ، واصبح من حقها ان تختار بين نمطى البغـاء المقضى عليها بهما ، أما البغاء النهائى لصالح رجـل واحـد وان تفضله على مفاسد بغاء متعـدد ومتعاقب ، كل ذلك فى ظل قانون الزواج البرجوازى الجائر•

ويعـود المجتمع الراسمالى الى الغطبة من جـديد ، والى اعاقة المراة وحرمانها من حرياتها وتبعيتها للرجل • حيث نرى بين القرارات التى اقرها بالاجماع مؤتمر « رانس » ١٨٩٨ النقابى ، ثمة قرار ، قرار لجنة عمل النساء فى الصـناعة •

يقـــول القـــرار :

« يتطلع المؤتمر المذكور ، من غير أن يطلب ايجابيا اقصاء المراة عن المصانع والمعامل والمشاغل فى كل شكل ولون ، ومن غير أن يطلب ابعادها عن حقل العمل الاقتصادى فهـذا يعـدل فى الشروط الراهنة موت الصناعة – يتطلع الى أن يحـد بالمراة « البنت أو الأرملة ، المضطرة بالتالى الى سد حاجاتها بنفسها » ٠

ويضـــيف قائـــلا :

« يجب بذل قصارى جهودنا لكى ننشر فى جميع الأوساط فكرة أن اعالة المراة هى من واجب الرجـل » ٠

مرة اخرى المرأة تابعة للرجل حتى وان كانت تعمل ومعولة ، حتى وان كانت تعمل هكذا يقر المجتمع الراسمالى ٠

ان انتقال المجتمع الانسانى الى الطـور الرأسمالى قـد انعكس – كما سبق واشرنا على وضع المراة ، لقـد أصبحت الصـــــفة الجامعة بين المراة والشغيل هى التاليـة :

كونهما كليهما راذحين تحت نير الاضطهاد ٠ وقـد طرات على هـــذا الاضطهاد تعـديلات فى شكله ، باختلاف الأزمان والبلدان ٠ لكن الاضطهاد ظل قائما ، وكثيرا ما وعى المضطهدون ، عبر التاريخ ، اضطهادهم وأدى هـذا الوعى الى تعـديلات وتسكينات لأوضاعهم ٠ لكنهم ما استطاعوا أن يحـددوا الطبيعة الحقيقية لهـذا الاضطهاد ٠ ولدى المراة كما لدى الشغيل ، يرقى تاريخ هـذه المعرفـة الى أوائل القرن العشرين لقـد كان من الواجب أولا أن تعرف الطبيعة الحقيقية للمجتمع وللقوانين التى كانت بمثابة الأساس لتطوره حتى يتوفر حظ من النجاح لأى حركة تريد أن تضع حـدا لأوضاع يعلم الجميع أنها ظالمـة ومجحفة واهمية حركة كتلك واتساع مداها مرهـونان بوعى الفئـــات المغبونة وبحرية الحركة المتاحة لهـا ٠

من هـذا التطور المزدوج نجـد المراة دون الشغيل مكانة ، سـواء من حيث الاعراف والتربية ام من حيث الحرية المتاحة لهـا • وبالأصل ، أن الشروط التى تستمر على حالها أجيالا وأجيالا تغـدو فى النهاية عـــادات : فالوراثة والتربية تجعلانها تبدو طبيعة فى انظار الأطراف المعنية ، وعلى هـذا النحـو ظلت المراة طوال سنوات بدايات القرن العشرين وحتى الآن ، تقبل بدونيـة وضعها باعتبارها امرا بديهيا ، بل وأصبح من الشاق مهمة كل من يريد ان يثبت لهـا أن وضعها لا يليق بها ، وأن عليها أن تسعى الى أن تصير فى المجتمع عنصرا يتمتع بنفس ما يتمتع به الرجل من حقوق ، وعـديلته المساوية له من كل النـــواحى •

واذا كان ثمة نقاط تشابه كبيرة بين وضع المراة ووضع العامل ، فان بينهما أيضا فارقا اساسيا : فالمراة هى أول كائن بشرى اضطر الى أن يرسف فى قيود العبودية فقد كانت عبدة قبل ان يكون العبد •

ان كل تبعية اجتماعية تعود فى أصلها الى تبعية المضطهد الاقتصادية للمضطهد • وهـذا ما ثبته تاريخ تطور المجتمع الانسانى •

ولقـد شارك العلم الراسمالى ايضا فى قهر المراة ، وخاصة علم النفس ، وعلى وجه الخصوص مدرسة التحليل النفسى ورائدها « فرويد » ، الذى دخل هـذا الميدان مدعما باهتمامه العميق باكتشاف نفس الانسان ، بدءا من كتابه « بعض النتائج النفسية للفروق التشريحية بين الجنسين » سنة ١٩٢٧ • موضحا أفكاره اكثر عن المراة فى أجزاء متعـددة من هـذا الكتاب سنة ١٩٣٢ • مشيرا الى العـديد من العقـد مثل عقـدة الاخصاء عند المراة أو عقدة أوديب • وكان ينظر الى المراة على أنها جنس أدنى من الرجل •

حيث كتب يقول : « ان النساء يرفضن تقبول الحقيقة بانهن مخصيات ، ويعيشن بأمل الحصول على عضو الذكر فى يوم ما ، وبالرغم من كل شىء ، فاننى لا أستطيع ان أتخلص من الفكرة (رغم ترددى فى التعبير عنها) بأن القيم الأخلاقية التى تحكم النساء تختلف عن تلك التى تحكم الرجال ، وعلينا

الا ننسى هـذه الحقيقة لان الثائرات من النساء يرفضنها هـؤلاء النساء اللائى يرغبن فى دفعنا الى اعتبار المراة مساوية فى المركز والقيمة » ·

ويقول فرويد أيضا « ونقول أيضا على النسـاء أن اهتمامتهن الاجتماعية ، اضعف من اهتمامات الرجال ، وأن قـدرتهن على اعلاء رغباتهن أقل من الرجال ··· ويبدو أن طريق التطور الشاق الذى يقود الى الانوثة يسـتنفذ كل امكانيات المراة وقـد ساهم العـديد من تلاميذ مدرية التحليل النفسى الرأسمالية الأبويه فى تدعيم نظرياته مثل « أرنست جـونز » ، « وكارل ابراهام » ، « هيلين دونيسه » ، « جوسين مولر » ، « فان أفيوجين » ، « مولر لرونسويج »·

وانتشر اتباع تلك المدرسة ، وتلاميذها حتى يومنا هـذا ، مساهمين بنظرياتهم المتخلفة عن المرأة فى مزيد من القهر الواقع عليها · وسوف نوضـح ذلك بشكل مستفيض قـدر الامكان فى المبحث الثانى الخاص بمظاهر اغتراب المراة فى المجتمع المصرى ·

ولقـد ساهم انعكاس الوضع الاقتصادى فى علاقته الجـدلية بتطـور المجتمع فى جميع مراحله فى علاقته بالنظرة للمرأة ، وفى الحط من شأنها ، فى الأدب كما فى العلم :

قال « هوميروس » الشاعر الاغريقى :

(اواه منك أيتها المرأة ، فحينما يلزع عقلك الى الشر لا يكون فى الجحيم شيطان اكثر خسة ودناءة منك) ·

وقال سـقراط :

(المرأة مصـدر كل شر) ·

وقال افلاطـون :

(شكر للالهة لأننى خلقت حرا لا عبدا ، ورجلا لا امرأة) ·

وقال « يوليوس الشاعر » اللاتينى :

(ما دموع المراة الا توابل للخبث والمكر) ٠

وقال كونفوشيوس الحكيم الصينى :

(ان المراة أكبر قـوة فساد وافسـاد) ٠

وقال الأديب بلزاك :

(ان المراة عندما تهتم بزوجها ، تكون كرجل من رجال المباحث ، يبحث عن آثارجريمة ٠٠ انها تهتم به لكى تعثر على دليل قاطع على اتهامه بتهمـة تظن أنه ارتكبهـــا) ٠

وقال لامرتين :

(المراة كتاب أبدع الخالق رسم غلافة فبدأ فتنة للناظرين ! ووضع مقـدمة فجاءت باسمة الزهر فى الربيع ، وكتب الشيطان فصوله ، فكانت خـــداعا وشـــقاءا وأحزانا) ٠

وقال الفيلسوف شـوبنهور :

(المراة حيوان لها شعر طويل وآراء قصيرة . وسلحتها الطبيعة بالمكر والخـداع لأنها حرمتها من النبوغ والعبقرية) ٠

وقال جيتـــــه :

(يجب على المراة أن تتعلم منذ حـداثتها القيام بدور الخادمة الذى خلقت لـــــه) ٠

وقال نيتشـــــه :

(عندما خلق الله المرأة انعـدم الضجر منذ تلك اللحظة ، ولكن أشـياء أخرى كثيرة انعـدمت كذلك) ٠

وقال شيلى الشاعر الانجليزى :

(أيتها المرأة انت نور ونار ، أنت السماء مقترنة بجهنم ، الحب خادمك وسيدك الخير فى قلبك يصـدر عن الحب ، والشر فى قلبك ينبع من الحب ، انت أقـوى من الرجل ، أنت الغريزة وهـو العقل ، وما دامت الحياة غريزة فأنت سلطانة وهـو عبد) ٠

وقال برناردشـو :

(من حسن حظى أننى فى عالم يحكمه الرجال ، ولولا هـذا لكنت أول من فقـد رأسه بين ألوف الرجال الذين ستقيم لهم المرأة المشانق فى الميـــادين لاعـدامهم بالجمـلة) ٠

وقال الأديب بيير لوى الفرنسى :

(المرأة تكتم فقط الأسرار التافهة ، حتى تكون جـديرة يوما بأن تحصل من صـديقتها على الاعترافات الخطيرة ، وحينئذ تنفك عقـدة لسانها وتذيعها ، وتنشرها على المـلأ) ٠

وقال منترلان :

(ان المرأة ليل وفوضى ٠٠ فليس صحيحا أن المرأة تحب النظام للنظام نفسه ، وانما تحب النظام والدقـة والنظافة من أجـل أن تعجب شخصا يهمها فقط ، ولو تركت وحـدها لزقت ثيابها ، ونكشت شعرها ، وتركت أظافرها صفراء ، وأسنانها أيضا ، أما فى الليل فهى احـدى متوحشات الليل ، والليل

يهمها جـدا ، لانه يساعدها على القيام بدور حيوان متوحش ، يمتص دماء الرجال ، وهى عندما تفعل ذلك تكون فى اكمل صورة للانوثة ، عندما توهمـك أنها تعطيك ، مع أنها فى الحقيقة تأخـذ اكثر • ولا شـك ان غباوة الرجل هى التى جعلت للمرأة قيمة خاصة ، وغباوته هى التى جعلته يقول عن المرأة : أنها مرهفة الحس ، وأن لهـا حاسة سادسة ، وذكية ، مع أن الأصح أن يقال أن المرأة لا منطق لهـا ، وأنها جاهلة وعنيدة ، وليست لديها قـدرة على الملاحظة وعلى تعمق ما تراه أو تحسه ، وانه ليس لدى المرأة ما تعطيه للرجل بصدق واخلاص سوى الألم •" وهـو يقول أيضا : كنت مشتعلا ذكاءا ، فأخمدتنى « يقصـد زوجته » وكنت أمشى على المـاء فأغرقتنى •

وقال جان جاك رسـو :

(أن الرجال يعيشون حياة أفضل بدون النسـاء ، أما النساء فلا يمكن لهن ان يعشن حياة افضل بدون الرجال) •

وقال زكى مبارك :

(المرأة تملك أصول الشهوات ، وهى باب الدمار والخزلان ، والمرأة هى الجحيم ، هى البلاء يصبه الله على رؤوس العباد ، هى الشقاء المعجل ، والكرب الذى يسبق الموت والمرأة فى جميع الأحـوال مصدر فساد ولها مداخل الى الفتنـة يعجز عنها أبليس) •

ولقـد انعكس ما سبق ان اشرنا اليه من اضطهاد للمرأة على المرأة العربية والمصرية وعن طريق الاستعمار والاحتلال الأجنبى ، الذى مارس على المرأة المصرية قهرا أشد من المرأة الأوروبية ، ولأن المرأة المصرية فى النهاية هى المسيحية واليهودية أيضا • ولا شك أنها مسلمة ايضا ، ولم نتعرض حتى الآن لمـا حـدث من تحريفات فى الاسلام كانت أشد ايلاما وقهرا واضطهادا على المرأة العربية والمصرية فرغم أن الاسلام أتى فى أعقاب مجتمع قبلى ، الا أنه أعطى فى كثير من مواضعه العـديد من الحريات للمرأة وأجل شأنها •

جـاء فى القـرآن :

« وعاشروهن بالمعروف » ٠

وجاء فى حـديث للرسول ص٠ع : أن رجلا أعرابيا سأل رسول الله ص٠ع من أحـق الناس برعايتى يا رسول الله ؟

فقـال : أمـك

فقال الاعرابى : ثم من ؟

قـال : أمـك

فقال الاعرابى : ثم من ؟

قـال : ابـوك

ويروى ان رجلا جاء عمر بن الخطاب يشكو زوجته لتطاولها عليه ، فسمع زوجة عمر تستطيل عليه بلسانها ، فانصرف ، فناداه عمر ، فرجع فقال له : فيماجئت ، ولم انصرفت ؟

فقـال :

جئت أشكو اليك استطالة زوجتى على فسمعت زوجتك تستطيل عليك ؟

فقـال عمـر :

تحملتها لحقوق لهـا على ، فانها طباخة لطعامى ، وخبازة لخبزى ، غسالة لثيابى مرضعة لولدى ، وليس ذلك بواجب عليها ، ويسكن قلبى بهـا عن الحرام ٠

قــال الرجــل :

وكذلك زوجتى ٠

فقــال عمــر :

تحملها اذن يا أخى :

وجاء فى القرآن :

« واذا بشر أحــدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهــو كظيم ، يتــــوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، الا ساء ما يحكمـــــــون » ٠

وفى الحــديث النبوى الشريف :

« لا تنكح البكر حتى تستأذن ، ولا الثيب حتى تستأمر » ٠

وقــد اشتركت نساء المسلمين فى غزوة احــد ، وقــد دافعت احــداهن عن النبى ص٠ع وهى نسيبه أم عمارة المــازنية ٠ وفى ذلك يقول الرسول ص٠ع « ما لتفت يمينا أو شمالا يوم أحــد الا ورأيتها تقاتل دونى » ٠

وجاء فى القرآن :

ومن آياته أن خلق لكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ٠

ولم نجــد فى الاسلام ، حجاب بمعنى الحبس والحجر والمهانة على المراة ، ولا عائق فيه لحرية المراة ، حيث تجب الحرية ، وتقضى المصلحة ، وانما هــو الحجاب مانع الغــواية والتبرج والفضول ، وحافظ المحرمات وآداب العفة والطهـــــارة ٠

ولقـد تعرضت المرأة المصرية رغم ذلك للعـديد من المـآسى والاضطهادات ، كان قـوام مجتمع الحريم ايام وجـود تجارة الرقيق ٠٠ أى فى زمن الجوارى ٠ وقـد تعهدت مصر بالغاء تجارة الرقيق بمعاهـدة مصرية انجليزية ابرمت فى عام ١٨٧٧ وتطبيقا لهـا صـدر أمر عال من الخـديوى فى العام نفسه ٠ ينص على فترة انتقال مدتها أثنتا عشرة سنة ، يسمح فى خلالها للاسر التى تملك جـوارى أو عبيد أن تتاجر فيهم مع غيرها « وبعـد مضى المدة المحكى عنها اذا كان أحـد من رعايا الحكومة المحلية يخالف الأمر ويتجرأ على بيع الرقيق السودانى أو الحبشى تصير مجازاته بالأشغال الشاقة لمدة أقلها خمسة اشهر واكثرها خمس سنوات » وجعل القانون محاكمة المتهمين فى قضايا الرقيق من اختصاص مجالس عسكرية تشكل بأمر السردار ، أى القائد الانجليزى للجيش المصرى ، ولم يعن القانون بتحرير العبيد أو الجـوارى الموجـودين طرف العائلات فى داخـل البلاد ٠ فما دام العبيد أو الجوارى لم يطلبوا عتقهم وما دامت الاسر التى تملكهم لا تتاجر فيهم ، فلا موجب لتحريرهم ٠ ومع ذلك استمرت تجارة الرقيق فى مصر ، واستمر النخاسون يجلبون الجوارى ، والتاريخ يذكر أن فى يوم ٤ سبتمبر ١٨٩٤ انعقـد المجلس العسكرى ، ووقف حسين باشا واصف ، ومحمد باشا الشواربى والدكتور الشافعى بك فى قفص الاتهام وكان أحـد المتهمين الذين لم يحضر لمرضه على باشا شريف رئيس مجلس الشورى ، وأجلت محاكمته ٠ وكان مع هؤلاء النخاسون وشركاؤهم وكانت التهمة بيع وشراء الجـوارى : حليمة ، وفاطمة ومراسيله وزنوبه وسعيده ومريم ٠

ومن الملاحظ أن ظاهرة الحريم ٠ كما سبق وأوضحنا ، كانت متفشية فى المجتمع المصرى الى عهد غير بعيد ٠ وهى ظاهرة كانت ترمز الى المدى الذى وصلت اليه نوعية انحطاط مكانة المرأة المصرية فى ذلك العهد ٠ وتوضـح استغلال الرجل للمرأة ، أى استغلال نصف المجتمع لنصفه الآخر ٠ وقـد وجـدت ظاهرة الحريم فى مجتمعنا على الرغم من القيم الاجتماعية للدين الاسلامى ولكن القيم الاجتماعية شىء وممارسة هـذه التعاليم فى الواقـع الاجتماعى الحى شىء آخر ٠

فعلى سبيل المثال وليس الحصر وتحت دعاوى الاسلام والسلفيين نجد :

١ – المراة غير مساوية للرجل ويستند بعض المشايخ الى ان الرجال قوامون على النساء بما أنفقوا من أموالهم ونحن نسألهم رايهم فى الآتى :

(أ) المراة لو خرجت للعمل وكسبت وشاركت زوجها فى نفقات المنزل ٠

(ب) لو انفقت امراة على زوجها ٠

(جـ) لو كسبت المراة اكثر من زوجها ٠

هـل تصبح ايضا اقـل من الرجل ، ويصبح الرجل قوام عليها ٠٠ ان كان معيار قوامون هـذا هو المـال ؟

٢ – جاء فى الاسلام المراة ترث نصف الرجل والعقل يقول أن هـذا كان معمولا به وقت ان كانت المراة لا تعمل ولا تعـول بيتا ولا تشارك زوجهـا اعـالة الأسرة ٠

فما رأيهم جـل شأنهم لو :

(أ) لو اعالت امراة أسرة مع زوجها على قـدم المساواة ٠

(ب) لو تحملت ارملة تربية أبنائها بعـد موت زوجها ٠

٣ – جاء فى الاسلام أن شهادة الرجل تعادل شهادة أمراتين ، العقـل يقـول أن هـذا كان معمولا به وقت ان كانت المراة قعيدة بيتها بعيدة عن الخبرة والممارسة والعلم وما رأيهم أصحاب الفضيلة لو :

(أ) لو شهدت سيدة لنفترض أنها معلمة – أو طبيبة او مهندسة او استاذة جامعية ملقى عليها مئات المسئوليات وملقى على عاتقها تربيـة اجيـــال ٠

(ب) لو شهدت سيدة ممـا ذكرناهم على سبيل المثال وامامها رجل جاهل او امى (ورغم ذلك ذو ولاية) ٠

٤ ـ جاء فى الاسلام (ولا تقتلوا أولادكم خشيته املاق ونحن نرزقكم) ٠

ما رأى اصحاب الفضيلة الذين يعارضون تحـديد النسل لو :

(أ) كانت ميزانية الأسرة لا تتحمل الانفاق الا على طفـل أو طفلين لتعيش فى حـد انسـانى من الحياة ٠

(ب) جاء فى الصحيحين عن جابر (كنا نعزل على عهد الرسـول والقرآن ينزل) والعزل هـو القـذف ، السائل المنوى ، خارج المهبل ٠

(جـ) القـذف خارج المهبل مؤلم للمراة ويمنع الحمل ، ماذا لو أعطيت قرص مانع للحمل لعـدم ايلامها نفسيا الن يؤدى الى نفس النتيجة ٠

٥ ـ ان قانون القضاء المصرى رقم ١٨ لسنة ٥٢ ينص فى المـادة ٢ منه على أنه لا يجوز تعيين أحـد فى وظيفة قاضى الا بعـد التحقيق من كفائته وصلاحيته للقضاء ، ولان المراة أقـل مكانة من الرجل فى الشهادة فهى ليست مؤهلة لتولى عمل القاضى ٠ ونحن نسألهم :

ما هـذا الهراء والعبث :

(أ) لو أن امراة مسئولة عن حياة العـديد من الرجال بحكم كونها طبيبة الن تفصل فى نزاع أو قضية ٠

(ب) لو ان معلمة مسئولة عن جيل اليـست قادرة على الحكم فى قضـية حتى ان كانت هى معلمة القاضى (مثل السيدات اساتذة القانون) ٠

٦ ـ (أطيعوا الله ورسوله واولى الأمر منكم) وفسر أصحاب الفضيلة ان الحكام هم أولى الأمر وتجب طاعتهم ٠ ما رايهم تعالى قـدرهم لو :

(أ) لو كان الحاكم ديكتاتور يلقى بالناس المعارضين فى السجون والمعتقلات ويعرضون للقتل ·

(ب) لو اصدر أمر يزيد من فقر الناس او كانت سياسته تفرط فى استقلال البلاد ·

(جـ) لو اهين الحاكم من قبل الجماهير من شعبه التى لا ترضى عنه ولا عن حكمه ·

(د) ما رايهم اخيرا لو كان الحاكم أمرأة - انتطاع ؟ !! وأنتخبت انتخابات حرا مباشرا من قبل الشعب الواعى العاقل ·

٧ - ما رأى علماء المسلمين فى المادة ١ من القانون ٤٤ لسنة ١٩٧٩ :
« ولا تجب النفقة للزوجة اذ ارتدت أو امتنعت مختارة عن تسليم نفسها بدون وجه حق أو اضطرت الى ذلك بسبب ليس من قبل الزوج » ما رايهم لو :

(أ) ليس لها مورد آخر فمن أين تعيش ؟

(ب) أن المادة لم تضع من هو الذى له حق الصرف عليها ·

(جـ) لو انحرفت هذه المرأة ما حكمها !

واخيرا فى التشريع الاسلامى « تقطع يد السارق » - ولا يوجد فى مصر قطع ليد السارق ولكن هناك السجن وغيره من العقوبات · أصحاب الفضيلة يقولون المجتمع الحديث لا يقبل قطع يد السارق · أى انهم عدلوا حكم القرآن ونحن نوافقهم أن هناك مستمد من روح القران مبدأ العقوبة للسارق وبدلا من العاهة بقطع يده ، فقد يخرج من السجن تائبا · أننى أسألهم لماذا عدلتم ذلك ولم تعدلوا ما سبق أن عددناها من ١ : ٧ بما يلاءم العصر الحديث ·

ان الاجابة لا تحتاج الى شرح واستفاضة :

أن أصحاب الفضيلة ، تركوا عقولهم وراء ظهورهم خضوعا لرغبات السلطة والحكام من أجل الحجر على حرية المراة وخرس صوتها ، فهى نصف المجتمع وان تحركت فالويل لهؤلاء الحكام المتسلطين ٠ واذا شعرت المراة بمساواتها بالرجل نسوف يتحد المجتمع ذكورا واناثا وسوف يسقط عرش ظلم واستعباد تحيا فيه المراة والرجل فى ظل الأنظمة الراسمالية ٠

لقد استعرضنا سابقا مظاهر اضطهاد المرأة عبر التاريخ ٠ ولنا ان نركز على المرأة المصرية حيث انها محور بحثنا الأساسى ٠

اننا لا ننكر جهود « رفاعه رافع الطهطاوى » فى انصاف المراة المصرية ، ففى عام ١٨٧٣ حاول ان يناقش مفهوم الحب فعنده أن « من أحسن الاحسان الى البنات تزويجهن الى من هوينه وأحببنه » ٠٠٠ ومنذ هذا التاريخ وقف الطهطاوى بجانب المراة وداعية لمساواتها بالرجل ، فقد عثر على وثيقة بدار المحفوظات كتبها الطهطاوى بخطه ووقعها بامضائه وختمها بخاتمه وقد سجلها الدكتور/رفعت السعيد فى كتابه تاريخ الفكر الاشتراكى مصر هذا نصها :

« التزام كاتب هذه الأحرف رفاعه بدوى رافع لبنت خاله المصونة الحاجة كريمة بنت العلامة الشيخ محمد فرغلى الأنصارى ، أنه يبقى معها وحدها على الزوجية دون غيرها من زوجة أخرى ولا جارية أيا كانت ، وعلق عصمتها على أخذ غيرها من نساء ، أو تمتع بجارية أخرى ، فان تزوج أياما كانت ٠٠ كانت بنت خاله بمجرد العقد طالقة بالثلاثة وكذلك اذا تمتع بجارية ملك يمين ٠٠ ولكنه وعدها وعدا صحيحا ، لا ينقض ولا يخل أنها ما دامت معه على المحبة المعهودة ، مقيمة على الأمانة والعهد لبيتها ولأولادها ولخدمها وجواريها ، ساكنة معه فى محل سكناه ، لا يتزوج بغيرها أصلا ولا يتمتع بجوار أصلا ، ولا يخرجها على عصمته حتى يقضى الله لأحدهما بقضاه » ٠

ولعل الوثيقة السابقة كافية ، لنرى أن الرجل يخلص فى وحدانية الحب لزوجة واحدة فى عصر كان فيه التفسير السائد للشريعة الاسلامية يبيح التمتع والاستمتاع بما يشاء الرجل مما يملك من الجوارى ٠

ولا ننكر فضل الامام « محمد عبده » الذى مات ١٩٠٥ اى منذ اكثر من خمسة وسبعين عاما ، فى انصاف المرأة فى كتاباته وفتاويه ، فهو يقول : « واعلموا أن الرجال الذين يحاولون بظلم النساء أن يكونوا سادة فى بيوتهم انما يلدون عبيدا لغيرهم » ٠

ونحن لا ننكر أيضا ريادة ودور عبد الله النديم ، وقاسم أمين ، وعائشة التيمورية وملك حفنى ناصف ، وهدى شعراوى أول زعيمة مصرية للحركة النسائية المصرية والتى انضمت الى الاتحاد النسائى الدولى سنة ١٩٢٣ والذى أنشأ فى برلين ١٩٠٤ ٠

اننا لا ننكر فضل هؤلاء الرواد والرائدات الأوائل فى اهتمامهم واهتمامهن الكبير برفعة شأن المرأة وبالدفاع عن حريتها فى التعليم والعمل والخروج من المنزل ونزع الحجاب ٠ ولكن ذلك الدور لم يكن جذرى وشامل ولم يحقق التغيير المنشود الذى كان يحلم به هؤلاء الرواد ٠ ولكن سوف يظل هؤلاء الرواد واقفين وواقفات شامخين وشامخات أمام التاريخ موقفا فريدا فى احترام افكارهم وافكارهن وفى الايمان بحق المرأة فى المساواة بينها وبين الرجل ٠

والدليل على ذلك انه حتى اليوم ونحن فى الربع الأخير من القرن العشرين نجد أن الذكر ما زال أعلى شأنا من الانثى :

١ ــ ان الأسرة المصرية هى أسرة أبوية ، بمعنى ان ذكورها هم المسئولون حقا عنها ٠

٢ ــ ان الأسرة المصرية يرث فيها الابناء اسم الاب ٠

٣ ــ أن نسبة المتعلمين من الذكور فى المجتمع المصرى أعلى من نسبة المتعلمات ٠

٤ ـ ان نسبة العاملين من الذكور فى المجتمع المصرى أكبر من نسبة العـــاملات ٠

٥ ـ الذكر المصرى يرث أكثر من الانثى « يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثتين » (٤ م النساء : ١١) ٠

٦ ـ من حـق الذكر المصرى أن يعـدد الزوجات « فانكحوا ما طاب لكم من النسـاء مثنى وثلاث ورباع » (٤ م النسـاء : ٣) ٠

٧ ـ المرأة المصرية يمنع عنها العـديد من الامتيازات التى يتمتع بهـا الذكر مثل :

(أ) منعها من تولى مناصب القضـاء ٠

(ب) حـق الانتخاب ليس الزامى لهـا ٠

(جـ) لا تتولى مناصب الوعظ والارشاد ٠

٨ ـ ما زالت المرأة الفلاحة فى الريف تسير وراء زوجها كعرف لانها أقل منه رغم مشاركتها العمل معه منذ بزوغ شمس كل يوم الى غروبها ٠

٩ ـ ينفر الرجل ويهب ويثور دفاعا عن نفسه وشرفه اذا وصفه أحـد بأنه امرأة ٠

١٠ ـ من حق الرجل المصرى المسلم طلاق زوجـة وقتما شاء وبلا قيـود سوى ما اضافه القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩ من بعض تعـديلات للنفقـة ونفقـة المتعـة ٠

١١ ـ أن نسبة العاملات المـاهرات من الاناث المصريات ضئيلة جـدا ، وهن يعملن فى ظل سيطرة الرجل فى أغلب الاحيان «البنت مصيرها البيت»كما يقـول المثل الشـعبى ٠

١٢ – ليس من حـق المرأة ممارسة حق الطلاق الا اذا كانت العصمة فى يدها ٠ وهـذا نادر ٠

١٣ – ما زالت المرأة المصرية الى اليوم تعيش فى شبح الضرة وهى الزوجة الثانية والثالثة والرابعة اللاتى من حق الرجل أن يتزوجهن متى شاء ٠

١٤ – الانثى المصرية لا تمنع الاقارب غير المقربين من الميراث « أى لا تحفظ مال الأسرة » وذلك عكس الرجل (الذكر) ٠

١٥ – ولعل المصرى يلاحظ ماذا يحـدث فى المجتمع المصرى المعاصر اذا ما أصبح شخص ذكر عن طريق اجراء عملية جراحية له بعـد أن كان انثى ٠٠ سوف ينظر اليه بسخرية أقـل بكثير من تلك التى ينظر بها الى الرجـل الذى يتحـول الى أنثى ٠

١٦ – مسموح للرجل المصرى بالخيانة عـدا داخل بيت الزوجية ويقصد بها الخيانة الجنسية ، ويمنع ذلك على المرأة ٠ فاذا ضبط رجل يخون زوجته خارج بيت الزوجية فلا عقوبة له بل هـو شاهد فقط على المرأة التى كان يمارس معها الخيانة اما الزوجة لو ضبطت فى أى مكان على وجـه الأرض تخون زوجها فالعقوبة بالسجن عامين فى القانون المصرى ٠

١٧ – المجتمع المصرى المعاصر يتسع للرجل غير القادر على الانجـــاب ويقبله ، أما المرأة العاقر فلا مكانة اجتماعية مرموقة لهـا داخل المجتمع ٠ ومن الدعوات المصرية المتوارثة شعبيا داخل المجتمع المصرى ، ن تدعو الزوجة الأولى على الزوجة الثانية دعوات تتصل بعـدم انجاب الأطفال : مثل :

« لا تطول ولا تنول ولا تدادى ولا تنادى طول عمرها » ٠

« كل من تطعنى من زوجى اقطعها من ولدها ، واستعين بالله عليها بأن لا تخلف ولا تتلف طول حياتها » ٠

ان ما عـددناه سابقا هـو بعض من كل عـديد ومتعـدد ، لمظاهر الاضطهاد الواقعة فوق كاهل المراة المصرية فى ظـل المجتمع الرأسمالى المصرى ، الذى بنى ثقافته على المجتمع الابوى حتى يومنا هـذا ·

ولنا الآن ان نلخص ما سبق ان أشرنا اليه ، فلقـد كان اسقاط الحـق الاموى هو الهزيمة الكبرى التاريخية لجنس النساء ، فحتى فى البيت امسك الرجل بدفة القيادة وانحط مركز المرأة واسترقت ، وصارت عبدة لذة الرجل ، وامست مجرد آلة انجاب ·

ولقـد ظلت المرأة بوجـه عام ومنها المصرية ، حتى الآن ، هى رمز الجنس والجسد ولهـذا فان خلاصها الوحيد هـو نكران جسدها اى نكران طبيعتها حتى تكون طاهرة (بدءا من شك الرجل فيها فى العصور الوسـطى عندما استعمل معها حزام العفة الى تصريح الفاتيكان واعتراضه على أن تتم الولادة بغير ألم واسى فى الربع الأخير من القرن العشرين) · لقـد سيطرت أفكار رجال الدين فى مختلف العصور القـديمة والحـديثة (وليس ذلك نابع من تدينهم ولكن لأنهم تحـولوا الى خـدم للسلطة ولأنظمة الحكم) · ووقعوا فى تناقضات صارخة على مدى عشرين قرنا واكثر ، وان افكارهم واستنتاجاتهم افتقرت حتى لأكثر ادوات التفكير العقلى بدائية ، بدءا من ادعائهم بأن الرجل هـو العقل ، والمرأة هى الجسد بغير عقل ، وهل هناك عقل طفـل يصـدق أن الرجل رأس والمراة جسد ، هل هناك عقل يوافق على أن رجلا وامرأة اشتركا معا فى فعـل واحـد فاذا بالرجل برىء والمرأة وحـدها ينسب اليها الفعل ، لقـد مارس الرجل والمرأة أول فعل جنسى ، وحسب رواية الاديان ، فلولا هـذا الفعل ما جئنا وما جاءت البشرية ، فهل هناك عقل يقبل أن هـذا الفعل آثم وأن حـواء (الانثى) كانت هى السبب ؟ !

ولقـد ظـل القهر والاضطهاد واقعان على كاهـل المراة ، حتى صار ذلك القهر امرا وقعا فى كثير من البلدان وخاصة المتخلفة منها اى الفقيرة ·

أنه ليس من الغريب أن العـديد من العقول فى عصرنا الحـديث لا تزال تؤمن بمثل الافكار السابقة ، لسبب بسيط ، لان معظم هـذه العقول أميـــة لا ثقافة لهـا غير ثقافة السلطة واجهزة الحكم التى تعمى الجماهير ومن مصلحتها ان يظل نصف المجتمع اى المراة مقهورا ، فلم يدرس هـؤلاء البسطاء تاريخ البشرية ، ولم يربطوا بين الاقتصاد وعلاقته الجـدلية مع التاريخ الفلســفى والأخلاقى للبشرية ، ولسبب آخر هـو أن الحضارة التى نعيشها والأفكار التى ما زالت سائدة حتى اليوم فى معظم بلدان العالم تقـوم على ركائز أساسية :

١ ـ احتكار الرجل للمـال والسلطة والأطفال والميراث .

٢ ـ احتكار الرجل للدين والأخلاق والفلسفة والفكر .

٣ ـ احتكار الرجل للجنس والمتعـة الجنسية .

ولقـد جردت المراة من كثير من حقوقها الاجتماعية والأخلاقية ، وضيقوا الخناق عليها حتى لم يعـد فى امكان المراة أن تحيا فى عـديد من المجتمعات الا فى كنف رجل ليعولها اقتصاديا ، وليحميها اجتماعيا ، وليعطيها الشرف الذى يمتلكه وحـده ولا يمكن لهـا كما تقول د. نوال السعداوى « ان تكون امراة شريفة الا اذا أقترنت برجل ، ومعنى هـذا أن لابد لهـا أن تصبح زوجـة ، ومعنى هـذا ان تصبح خاضعة لقانون الزواج الذى وضعه الرجل ، والذى فى ظله يقودها زوجها الى السجن أو العـذاب أو الموت اذا خانته بل اذا خالفته فى الراى » .

ويكتب « جـون ستيوارت ميل » يقول « انه لن الخطـأ ان يظـل المبدأ الذى يحكم العلاقة الاجتماعية بين الجنسين قائم على اخضاع النساء بالقانون للرجال . وهـذا هـو اهم الأسباب التى تعـوق التقـدم الانسانى ولهـذا يجب علينا ان نستبدل هـذا القانون بقانون آخر يحقق المساواة بين الجنسين فى كافـة نواحى الحيـاة » .

واذا كان من حـق الرجل أن يقتل زوجته كما يقتل عبده فى العهد الأول لانشاء الأسرة الابوية ، ولم يكن لأحـد أن يسأله أو يحاسبه عن فعلتـــه وجريمته ، كما كانت له حرية قتل اطفاله • فقـد كان هـؤلاء يعتبرون ملكـا خاصا للرجل كقطعة الأرض التى يملكها وله حرية التصرف فيها • وكانوا جميعا يسمون بالعبيد (الأطفال والنساء الذين يملكهم الاب) ، بل ان كلمة أسرة Family فى أصـلها اللاتينى جاءت من كلمـــة Familia ومعناها عـدد العبيد الذين يملكهم رجـل واحـد •

فانه الى اليوم لا زال هناك ، تلك السمات لمعاملة المرأة العربية ومنها المصرية على أنها عبدة ، فلقـد أباح الاسلام والى يومنا هـذا ، معاشرة الزوج الجنسية للرقيقات (ما ملكت ايمانكم) اى الجوارى ، ولم يسمى ذلك زواجا بل سماه « تسريا » والسيد أى الرجل ليس ملزما بأن يعترف بالولد الــذى تلـده احـدى جـواريه •

وفى ظل عـدم التساوى بين الرجل والمرأة ، فلا يمكن لأى قانون أن يكون عادلا ولذلك فان كافـة القوانين الخاصة بالعلاقة بين الرجل والمرأة ، هى قـوانين غير عادلة الى يومنا هـذا • ولقـد اعطت الحضارة الذكورية منـــذ نشأتها الأولى ومنذ بداية الأسرية الابوية ، أعطت السلطة للرجل وفرضت على المرأة الخضوع بالقـوة •

ان الحضارة الحـديثة الملطخ وجهها بزيف ونفاق وظلم القوانين الذكورية الابوية الراسمالية ، يزداد احتقار الانسان لمجتمع الحضارة عندما يرى أن ظاهرة البغاء قـد بدأت مع تلك الحضارة الابوية واصابت البشر بتناقضات اخلاقية صارخة • ان البغاء فى معناه الشائع والمعروف ، هـو حـدوث عملية جنسية بين رجل وامراة ، لتلبية حاجـة الرجل الجنسية ، ولتلبية حاجـــة المرأة الاقتصادية (فى اغلب الأحيان) ولقـد اعلى المجتمع الذكورى حتى اليوم حاجـة الرجل الجنسية واشباع تلك الحاجة عن حاجة المراة الاقتصادية ، وهذا طبيعى فى مجتمع لا يساوى بين الجنسين • مجتمع قوانينه من صنـع الرجال ، عبيد المجتمع الراسمالى الابوى الذكورى •

ولقـد أعطى الرجل – الى يومنا هـذا – الحق فى اشباع حاجته الجنسية داخل الزواج او خارجه ، وخارجه هـذه هى البغاء المتمثل فى :

(أ) التمتع الجنسى مع الخليلات ٠

(ب) التمتع الجنسى مع المحظيات ٠

(جـ) التمتع الجنسى مع الجوارى « ما ملكت أيمانكم » ٠

(د) التمتع الجنسى مع المومسات (الرجل شاهـد فى حالة القبض مـع مومس) ٠

هـذا بصرف النظر – كما أشرنا من قبل – الى حـق الرجل فى تعـدد الزوجات ونحن نسأل لمـاذا لم يحرم القانون ويجرم ممارسة الرجل للجنس الا مع زوجته « زوجة واحدة فقط » وليس أكثر من ذلك كما فى حالة المرأة ٠ ولمـاذا يسمح القانون ومنه القانون المصرى للرجل بممارسة الخيانة الزوجية فى جميع الظروف وجميع الأمكنة ما عـدا بيت الزوجية ؟ ! ٠ هل هناك سبب بيولوجى يبرر اباحة ممارسة الجنس للرجل كيفما شاء دون المرأة ؟ ٠٠ العكس هـو الصحيح كما اتضح من البحوث البيولوجية الحـديثة التى اوضحت أن الطبيعة زودت المرأة بقـدرة وحاجـة بيولوجية وجنسية أشد من الرجل ٠

وبالرجـوع الى كافـة المصادر العلمية ، نجـد أن البغاء ظهر فى العـالم البشرى مع بدء الأسرة الابوية ، شأنه شأن (الرق) ٠ وان المجتمع البدائى « المشاعية البدائية » لم تظهر فيه أى بوادر للبغاء ، وذلك للمكانة العالية التى كانت تتمتع بها المرأة ٠

ويقول علماء الأنتروبولوجيا من أمثال : مرجريت ميد ، بروست ، ساجنر ، ووبويدى ، شورتز « أن البغاء لم يظهر فى المجتمعات البدائية لان الحرية الجنسية كانت ممنوحة للشباب من الجنسين ، ولان المرأة كانت لها الحرية الكاملة مثل الرجل كما أن البغاء لا يحـدث الا اذا أعطيت الحرية لجنس وفرضت القيود على الجنس الآخر » ٠

ونحن نعتقد ان البغاء ظاهرة اقتصادية ، وانه لابد - بالاضافة الى ما سبق - ان يوجد فى البلد التى لا توفر العمل لجميع أفرادها نساءا ورجالا ، اما البلاد التى تتيح العمل لجميع أفرادها رجالا ونساءا فان البغاء ينقرض بدون قوانين والدليل على ذلك أن البغاء قد انقرض فى معظم المجتمعات الاشتراكية وأصبح من المعروف الآن للرجال الذين يبحثون عن المومسات فى تلك البلدان ، ان عملية بحثهم تلك ميئوس منها تماما . وان عليهم ان يبحثوا عنها فى بلدان أخرى حيث تكون الدعارة وبيوتها جزءا لا يتجزأ من النشاط التجارى والرأسمالى فى البلاد الرأسمالية والمتخلفة ، مثل كباريهات شـــارع الهرم فى مصر وفى الاسكندرية حتى ان المجتمع المصرى وفى بلد كمصر يرى خبراء السياحة فيـه ان الراقصة الشرقية المعرى جسدها والاستربتيز (خلع ملابس النساء قطعة قطعة أمام الجمهور) من أهم معالم السياحة فى مصر . والدليل دائم عليهم فى نشرات وزارة السياحة وملصقاتها . وهـذا هو أبلغ دليل على الاتجار بجسد المرأة وبنظرة المجتمع المنحطة لها بمزيد من القهر والاضطهاد الواقع عليها .

ولا شك ان عملية الاتجار فى جسد المرأة تكون عن طريق القواد وهـو الرجل الذى أمامه مئات الفرص للافلات من القانون . ان الرجال هم الذين يكسبون من وراء البغايا ماليا وجنسيا . بل ان البلدان المتخلفة والرأسمالية تكسب الملايين من وراء البغاء . والمرأة هى الضحية وهى التى تدفع الثمن وتؤدى الضريبة وتتحمل العار وحـدها والهوان وتساق عند اللزوم الى السجن.

ان هـذه الشريحة من النساء اللاتى أطلق عليهن البغايا ، لسن الا احـد الظواهر الاجتماعية للحضارة الذكورية القائمة على الابوية وهن كبش الفـداء لهـذه الحضارة من أجـل أن تقـوم وتزدهر .

لقد استعرضنا فيما سبق امثلة من الاضطهاد والقهر الذى وقـع على المرأة ، فى مختلف العصور ، وأوضحنا علاقة هـذا الاضطهاد بتطور المجتمع الانسانى بعصورة المختلفة ، والعـلاقة الجـدلية بين الاقتصاد وبين تاريخ الاضطهاد للمرأة .

ويبقى أن نذكر اننا عـددنا فى بداية البحث مراحل تطور المجتمع بدءا من المشاعية البدائية الى الاشتراكية ، ولقـد أعطينا أمثلة لاضطهاد المرأة فى كافـة المراحل التاريخية لتطور المجتمع • ويبقى ان نشير وبشكل سريع الى حالة المرأة فى المجتمعات الاشتراكية •

فى البداية يجب أن نشير ان عمر تلك المجتمعات لم يزيد عن الستين عاما الا قليلا ولكن فى هـذه المدة القصيرة ومنذ الثورة البلشفية ، الثورة الاشتراكية الأم عام ١٩١٧ وحتى الآن • قـد حظيت المرأة فى تلك المجتمعات بدور عظيم يتمثل فى الآتى :

(من خلال أدبيات تلك البلـدان) :

١ ـ لا ديمقراطية بدون النسـاء : (لا يمكن ضمان حرية حقيقية ، ولا يمكن بناء الديمقراطية ـ هـذا دون أن نتحـدث عن الاشتراكية اذا لم تدع النسـاء الى الخـدمة العامة المدنية ، الى الخـدمة فى الميليشيا ، الى الحيـاة العامة • واذا لم ينتزعن من جـو البيت والمطبخ المبلـد للعقل) هكذا يقول لينين رائد وزعيم الثورة البلشفية •

٢ ـ أبطل قانونيا كل ما كان يجعل المرأة كائنا بلا حقوق لان نجـاح الثورة مرهـونا بمدى مشاركة النسـاء •

٣ ـ الغاء جميع القيود التى تحـد من حقوق النسـاء فى المقام الأول ، وقـد قضت سلطة السوفيتات قضاءا مبرما على مصدر الدناءة البرجوازية والاذلال والمهانة وعلى اجراءات الطلاق القضـائية وصـدر تشريع حر تمـاما بصـدد الطـلاق •

٤ ـ تم انشاء دور الحضانة والمطاعم لخلع المرأة من دونية وضعها فى الأعمال المنزلية وفقط •

٥ ـ تم تحويل الأعمال المنزلية الى نشاط عام لتشارك المراة فى الانتاج الاجتماعى مثلها مثل الرجل تمــاما ٠

٦ ـ اصبحت السياسة والاشتغال بها فى متناول كل امراة شغيلة ٠

٧ ـ أعلن فى يوم النساء العالمى ، أعلن فى الاتحاد السوفيتى أن مستوى الثقافة لشعب من الشعوب يتحــدد ، أحسن ما يتحــدد ، بوضع المراة الحقوقى ٠

٨ ـ ان ما تحتاجه الشبيبة بوجــه خاص (المراة والرجل) هــو فرح الحياة والحيوية ويجب أن توفر الثورة ذلك ٠ وقــد وفرته بالفعل للمرأة والرجل بالمساواة فى العمل والثقافة وتقلــد الأعمال السياسية ٠

٩ ـ الغاء الفرق فى الميراث بين الرجل والمرأة ، كليهما لا يرث ، لان كليهما يعمــــل ٠

١٠ ـ التعليم اجبارى للنساء والرجال على قــدم المساواة كالعمل تماما ٠

ان ما ذكرناه من امثلة لم يات من فراغ ، بل أتى بعــد جهود مضينة تم فيها القضاء على استغلال الانسان ، بالغاء الملكية الخاصة وبالمساواة فى القانون بين الجنسين ، ورغم ذلك فما زالت المعارضة بدءا من تروتسكى ١٩٢٩ وحتى الآن تنادى بحريات اوسع للنساء وتحارب البيروقراطية التى ما زالت تحجب فى نظر المعارضة بعض الحقوق عن المرأة فى تلك البلدان الاشتراكية وعلى راسها الاتحــاد الســوفيتى ٠

آن لنــا أن نختتم هــذا المبحث ، ونحن ندين كل اضطهاد وقهر وقــع على المراة وما زال واقعا عليها من جراء المجتمعات الراسمالية الذكورية الابوية وبدرجاته المختلفة سواء فى البلدان الرأسمالية المتقدمة أو المتخلفة ٠

مؤمنين بأن تقـدم المجتمع ورفاهيته ، وقفا على حرية المرأة ، مؤمنين بأن المرأة كالرجل تحتاج لتحقيق ذاتها الى عمل منتج فى المجتمع ، تحتاج الى فعل تحتاج الى أن تفكر وأن تكون أفكارها نابعة من نفسها ، متعلمة من تجاربها صادقة مع نفسها غير متحكم فيها تقاليد وعادات موروثة بالية ٠

وسوف نوضح هـذا باستفاضة فى المبحث الأخير ونرجو أن يحالفنـا التوفيق ٠ فى ذلك عبر المباحث الأربعة الأخرى ٠ المكونة لبحثنا عن اغتراب المرأة فى المجتمع المصرى ٠

المبحث الثانى

مظـــاهر اغـــتراب المـــرأة

فى موضوع مظاهر اغتراب المراة ، بل وفى موضوع المراة بالذات ، وفى المجتمعات المختلفة ومن بينها مصر بالذات ، يشعر الباحث العلمى أنه يسير وسط ارض مليئة بالالغام ، وانه فى كل خطوة من خطواته يصطدم بصواعق كهربية ، وايضا بالمقدسات الحساسة فى المجتمع ، ولا يمكن لاى باحث يجرى بحثا علميا فى أى شىء يتعلق بالمراة الا وبرزت أمامه الأفكار والتقاليد الدينية والكهنوتية ، وكم يستخدم الكثيرون سلاح الدين ويشهروه فى وجه الباحث عن الحقيقة ٠ وذلك كما تقول الدكتورة نوال السعداوى فى كتابها المراة والجنس ":

ان قمع التفكير الذاتى الاصيل النابع من نفس الباحث ، وان الالتزام بالموضوعية المفهومة فهما محدودا ضيقا ، كل ذلك يسلب البحث العلمى أصالته ، وقدرته على خلق الجديد فى الفكر ، وكما يقول « أريك فروم » أن الذاتية الأصيلة الصادقة ، اكثر موضوعية من الموضوعية التقليدية التى يفقد الانسان فيها تفكيره ويصبح نمطا مشابها للآخرين ٠

الموضوعية اذن ليست هى قمع التفكير الذاتى ، ولكن الموضوعية اذن هى الا يكون الانسان متأثرا باراء الغير وافكارهم برهبة « محاكم التفتيش » ، بل أن يكون قادرا على التفكير الحر فى الظواهر التى يراها ويكتشفها ، وبمعنى آخر أن يناضل الانسان ضد الافكار المتوارثة وأن يصبح بتفكيره السليم والاصيل فوق العلم ٠

وكم هو نادر وصعب ان يشعر الباحث العلمى انه فوق العلم ٠ ولكن لابد أن يصبح الانسان فوق العلم ليستطيع ان ينقده ٠ هذا الصعود فوق

العلم لا يقتضى فحسب الالمـام وتجميع المعلومات فى العقل ، كأى مرجع ضخم ، ولكنه يقتضى أيضا تلك القـدرة النفسية فى الانسان على استخدام عقله والتفكير بلا خـوف ولا رهبـة ٠

ان البحث العلمى كالعمل الفنى ، يحتاج الى قـدرة على الصـدق ، وقـدرة على الخلق ٠ والخلق معناه الجـديد ٠ والجـديد يختلف عن القـديم ، والا ما أسميناه جـديدا ، ولكن كم من الناس يخافون الجـديد ويفضلون عليه القـديم الذى درجـوا عليه ، وألفوه وورثوه ٠ ان هـذا الخوف من الجـديد هو الذى يجعلنا سجناء المـاضى ، ان الكثيرين منا يعيشون فى المـاضى ومع ذكريات المـــوتى ٠

كما يقول « ماسلو » : « لا يستطيع أن يتعامل مع المستقبل الا الانسان ذو التفكير الخلاق المرن ، وهـو الانسـان الوحيد الذى يستطيع أن يواجـه الجـديد بثقة وبغير خـوف اننى اعتقد أن ما نسميه الان « بعلم النفس » انما هو دراسة للحيل التى نستخدمها لنتفادى القلق الذى نشعر به ازاء الجـديد ، وذلك بأن نضع فى أذهاننا أن المستقبل سيكون مشابها للمـاضى » ٠

وكم يشتد هذا الخوف حينما يتعلق البحث بالمشاعر الانسـانية الدفينة ، أو بالرغبات أو بالغرائز أو بالجنس ، أو بعبارة أخرى بذلك المخلوق الشائك المحاط بالمقـدسات والخزعبلات على حـد سواء ، ألا وهو المرأة ٠

جاءت تلك المقـدمة كلها ، حتى نتمكن من تلمس الطريق نحـو مناقشة مبحثنا هـذا : مظاهر اغتراب المرأة بصفة عامة ، وفى مصر بصفة خاصة ٠

ـ هناك مقولة لا يعرف الباحث من بالتحـديد أتى بها ، تقول أن الرجل أكثر موضوعية ومنطقية ، اذ يعتمد الرجال على التفكير فى مواجهة المشاكل ، ولكن النساء يعتمدن على الحـواس ٠

ان هـذا الرأى بالتحـديد ، هو افتراء واضح وكذب يفتقد الى الموضوعية ٠ فاذا استعرضنا الانجازات العقلية للمرأة المعاصرة ، فى مقابل بعض الاخطـاء

الفادحة واساليب التعبير المختلفة للرجل المعاصر ، فان هـذا يؤدى الى الشك فى وجـود اختلاف فى السلوك العـاطفى والعقـلى بين الجنسـين · فالفرق بين الجنسين · ليس فى ان الرجـال يتعقـلون Reason أو يفـكرون أى يعتمدون على التفكير وأن النسـاء يشعرون Feel اى يعتمدن على الشعور والعواطف ، وانما يرجع أساسا الى نمط اظهار العواطف الذى يتميز به كل منهما الى جانب درجة الحرية فى التعبير عن الراى المتاحة لكل منهما عبر التاريخ ·

فمن المـالوف عند بلوغ سن المراهقة وتجاوزها ، أن تصبح « الانوثة » صفة ينبغى على الفتيات أن يتحلين بها ، بغض النظر عن النجاح الذى حققته الانثى ثقافيا أ وتعليميا ، فاذا حاولت الفتاة مثلا أن تنمى فى نفسها صفات أخرى مثل : الاستقلال او المناقشة نظر اليها المجتمع ، نظرته الى الخطر الذى يتهـدد العلاقات الطبيعية بين الجنسين وبالتالى يتم قمعها ·

ولا تتوقف عملية صب الفتاة فى القالب الاجتماعى عند هـذا الحـد ، فبعـد ارغامها على الكف عن منافسة الرجال فى المجال العقلى من أجل أن تصبح اكثر جاذبية ، واكثر أنوثة ، فان المجتمع يقـدم لهـا البديل ، وهـو أن تتسامى تطلعاتها ومطامحها فى انجاح حياتها الزوجية ، وفى منجزات زوجها ، ورعاية أطفالها · وهـذا يفسر الى حـد ما ، ما سجله (تيرمان) من أن تكريس النساء لطاقتهن فى الاعمال المنزلية ، يحرم الفنون والعلوم من جانب كبير من العبقرية الانسـانية ·

ومع ذلك ، فالكثير من النسـاء اللائى يتمتعن بمواهب عالية أو متوسطة ، لا يتقاعسن بالضرورة عن مزاولة النشاط الخلاق ،ولكنهن يواجهن صراعا فى انفسـهن بين مزاولة المهنة ، والاشباع الذى يولده اتقانها والابداع فيها ، وبين الحاجـة الاجتماعية والنفسية للتكيف مع القالب الانثوى التقليدى ·

ـ من ناحية أخرى ، فلقـد أجبر المجتمع المراة كما اشرنا سالفا ، وكما سنوضح فيما يلى ، حاجـة المراة الى تأكيد شخصيتها من خلال الرجل ، وذلك يجعلها تخضع روحها العـدوانية ، وتوجهها نحو بنات جنسها ، وبشكل مقنع

وغير مكشوف ، وتتخذ اشكال الغدر والخيانة والغيرة وانعدام الثقة التى تزحف وتدب اذا عثرت المراة على الرجل المناسب والمثالى ، الذى يمكن من خلاله ان تكتسب لنفسها قيمة اكبر ؛ فان جميع النساء فى هذه الحالة يصبحن أعداءا لها ، لانها اذا فقدت رجلها لواحدة منهن ؛ فقدت كل ذاتها ٠

ـ لقد علم المجتمع ، الرجل العادى ان يلوح بيديه ويقول « أنها مجرد امراة » She's only a woman ويمكن ان نستنتج من هذا انها أدنى منزلة ، وانها لا تستحق الفهم ٠

ـ من المذهل ايضا أن المراة اجبرت خلال قرون طويلة من الخضوع والتبعية على فهم واجابة طلبات الرجال ، وليت ذلك يتم بأساليب مباشرة ، فقد تربت وعلمها المجتمع ، ان يتم ذلك بأساليب غير مباشرة ٠

ومن البديهى أن ما نقوله منطقى ، حيث أن اى جماعة مقهورة ، سوف تتخذ لنفسها صورا معينة من المقاومة تكون واعية بها بدرجة أو بأخرى ، وتتدرج من التكتيك البسيط الذى يمتد عبر الاجيال ، الى الهجوم المضاد ، ولقد اطلق البعض على ذلك وعلى تلك الصور من المقاومة التى تتخذها المراة : « الاستراتيجيات النسائية » فهى تحاول انتهاز الفرص المواتية لممارسة السلطة وتستفيد بأكبر قدر ممكن من معرفتها بالعلاقات البشرية ، وتستخدم أنوثتها لتطويع مولاها وسيدها واشباع طموحها الزائف من خلاله ٠

ـ ويمكننا رصد شكل آخر جديد ، من اشكال اضطهاد المرأة وغربتها بالتالى عن مجتمعها ، فعملية التكيف الاجتماعى للفرد تتكون من النموذج او القالب الاجتماعى الذى يقدمه المجتمع ، ويتحتم عليه ان يتبعه او ينصب فيه ، والوسطاء فى هذه العملية هم الاسرة والمدرسة والمجتمع كله ٠ فلا طفل سواء كان ولدا أم بنتا ، يعتمد بصورة طبيعية على الكبار البالغين ، ليوفروا له احتياجاته العادية ، ورفاهيته الجسمانية والنفسية ؛ وبينما يتقبل المجتمع تبعية الانثى للكبار واعتمادها عليهم كظاهرة طبيعية نجد ميلا الى النظر الى تبعية الذكر واعتماده على الكبار ، كدليل على الضعف والتخنث Sissy ، ولهذا يشجع

المجتمع الصبى باستمرار على التخلى عن ذلك حتى تكون له (شخصية) ، وهكذا يتلقى الصبى (رجولته) منذ البداية ، أما البنت فتتلقن أنوثتها أيضا عندما تبلغ سن المراهقة ، ولكن من المزعج حقا أن تتجلى تلك الانوثة فى التبعية للغير ، باعتبارها من الصفات الطبيعية لها ٠

والنتيجة التى تترتب على ذلك ، أن الفتاة تبدأ حياتها متخلفة عن الولد بكثير فى تنمية استقلالها والعثور على **شخصيتها** ، **واذا حاولت أن تفعل ذلك** فسوف يكبح جماحها بدون شك ٠

– **وكثيرا ما يتردد على اسماعنا أسئلة مثل : هـل يتساوى الرجـال** والنساء ؟ ! ٠ **واذا كانت الاجابة بالنفى لابد من تحـديد المقصود بالتساوى فى** ومن أى ناحية ؟ فنحن أمام شخصية (**رجل – امرأة**) ، **وعلى ذلك فالاجابة على** هـذا السؤال تعتمد فى جانب كبير منها على دلالة كلمة **مساوى Equal** فالرجل والمرأة مثلا متساويان فى عـدد أيديهما وأرجلهما ، **الا أنهما لا يتساويان** فى القـوة العضلية ، وهما متساويان فى درجة الذكاء (**تحت الشروط الواحـدة**) ولكنهما لا يتساويان فى حجم المخ ٠

اذن نحن نفهم المساواة على أنهـا مساواة فقط فى حـق تقرير المصـير **self Determination** مع الوضع فى الاعتبار ادوار كل منهما الغير قابلة للتبادل **Interchangeable** اذن عندما نتكلم عن الرجـال والنساء فى المساواة ، فاننا نَعنَى (مساواة الفرصة) وليس تماثل أو تطابق الادوار ٠

ونحن نعتقد أنه من الحماقة أن نتكلم عن أن الجنسين احـدهما أدنى **Ferior** من الآخر دون أن يكون لدينا مقياسا معينا لما نعنيه بالاعلى والادنى ٠

ولكن المقياس العشوائى القصوى الذى فرضه المجتمع ، هـو مقيـاس الذكور ، وبالتالى فالمجتمع فى الحاضر وفى المـاضى ، ينظر الى المرأة باعتبارها فى منزلة ادنى من منزلة الرجل ٠ ذلك بمقياس الذكور فقط ، مما يدعونا الى ان

نكرر ما قلناه سابقا ، ان النساء لم تسنح لهن الفرصة لاظهار العبقرية التى اظهرها الرجال فى مجال العلم والاختراعات والفن ٠

ــ نحن ايضا منحازون لاحدث معانى الزواج ، التى تؤكد أن الاسرة والعلاقة الزواجية ما وجدت الا من اجل الفرد Individul ، فالامر اذن لا يتعلق بالله ولا بالمجتمع ، وانما « بالانا » فالزواج اذن يتعلق بالانسان وحده ٠ فاذا اراد الفرد أن يتزوج من خارج عقيدته الدينية أو طبقته الاجتماعية او مستواه التعليمى فهذا شأنه ٠

وبهذا المعنى تكون السلطة فى يد الانسان وحده ، وكل فرد مسئول عن نجاحه وفشله ٠

والخلاصة مما سبق فى استعراض هذا المظهر ، نرى ان المراة محرومة تماما من حق التخلص من الزوج ، أو فلنقل تلاقى الملايين الصعاب ، بينما الرجل لا يجد أى صعوبة فى التخلص من زوجته ٠

ــ ان التقاليد المتوارثة والمتعارف عليها فى معظم بلدان العالم المتخلف ، تجعل من رئاسة الرجل المطلق للاسرة شيئا منطقيا ومقبولا ٠ وما زال للرجل الحق القانونى فى تحديد مكان زوجته ، الى درجة يمكن معها أن يطلق زوجته اذا هى رفضت الاقامة فى المسكن الذى يختاره او الذى تقتضيه ظروف عمله بغض النظر عن ظروف عمل الزوجة ، وما زال الزوج يعتقد أن من حقه الطبيعى أو الموروث أن يعبر وحده عن راى الزوجة بل الاسرة ، ويعبرون عن ذلك بقولهم « اذا اختلف الزوجان فى أمر من الامور ، فان رأى الزوج هو الجدير بالاخذ به لانه الذكر وله الكلمة الاخيرة والحق فى اتخاذ القرار » ٠

ولعل ذلك يوضح الى أى مدى وصلت سطوة الذكر على الانثى ٠

وسوف نستمر فى تعدد مظاهر اغتراب المراة ، ولكن سوف نسلك الان سلوكا اخر فى المبحث الذى نحن بصدده الا وهو الرجوع الى مدارس علم النفس ودورها فى اغتراب المراة :

ـ لقد شاركت نظرية التحليل النفسى فى تعميق الفروق بين الرجل والمراة ، أو بمعنى أصح فى تعميق اغتراب المراة ، لقد بدأ « فرويد » حين وجد فى التشريح مبررا لافكاره فصاح بعبارة نابليون « التشريح هو المصير » Anatomy desting كما شاركت فى ذلك ايضا علوم البيولوجيا ، والاجتماع ، والفلسفة ، والحضارة الرأسمالية الذكورية ككل ومنذ وضع « فرويد » كتابه المسمى « بعض النتائج النفسية للفروق التشريحية بين الجنسين » فى سنة ١٩٢٧ ، وايضا محاولته توضيح أفكاره اكثر عن المراة فى أجزاء متعددة من هذا الكتاب ، ومنذ سنة ١٩٣٢ ، ونحن لا نظن أن أحدا لم يسمع عن ذلك الاصطلاح الفرويدى « حسد عضو الذكر » Penisenvy أو عقدة الاخصاء عند المرأة ، أو عقدة أو ديب ٠

ولنقطتف مقولة لفرويد : يقول فرويد « ونقول ايضا عن النساء ان اهتماماتهن الاجتماعية أضعف من اهتمامات الرجال ، وأن قدرتهن على اعلاء رغباتهن اقل من الرجال ٠٠ ويبدو ان طريق التطور الشاق الذى يقود الى الانوثة يستنفذ كل امكانيات المراة » الى هنا تنتهى مقولة فرويد ويجب ان نستطرد فى ذلك بعض الشىء لنوضح الى اى مدى شاركت تلك الافكار ، والى يومنا هذا فى اغتراب المراة واحساسها بالعجز والضعف وكونها كائنا ناقصا ٠

ان واحدة مثل « كارين هورنى » بالرغم من انها احد تلامذة « فرويد » ذاته الا انها لم ترث كل افكاره كقضية مسلم بها ، وانما استطاعت بذكائها وشجاعتها أن تنتقد بعض هذه الافكار وتاتى بافكار جديدة ٠

بل وكانت من اوائل طبيبات علم النفس فى العالم التى كشفت عن الاخطاء التى اعتنقتها نظرية التحليل النفسى عن المراة ٠

ولقد لخصت « كارين هورنى » افكار نظرية التحليل النفسى وافكار (فرويد) بهذا الجدول الذى نشرته فى كتابها بعنوان (سيكولوجية المراة) ، والذى يوضح الاختلافات الطبيعية بين نفسية الولد ونفسية البنت منذ الطفولة ٠

أفكار الولـد	أفكارنا (نظرية التحليل النفسى) عن تطور الانوثة
١ ـ التصور الساذج أن البنـات مثل الاولاد لهن عضو الذكر ·	١ ـ انه عضـــو الذكر وحـده الذى يمكن ان يلعب أى دور فى كـــلا الجنسين ·
٢ ـ اكتشاف ان البنات ليس عندهن عضو الذكر ·	٢ ـ الاكتشاف الحزين بأن عضـــو الذكر غير موجود ·
٣ ـ اعتناق الفكرة أن البنت ليست الا ذكرا مخصيا أو مشوها ·	٣ ـ اعتناق الفكرة بأن البنت كانت تمتلك فى يوم ما عضو الذكر ثم فقـدته بسبب الاخصاء ·
٤ ـ الاعتقاد بأن البنت تلقـــت العقاب الذى يهـدده أيضا ·	٤ ـ الاعتقاد بأن الاخصاء كان نوعا من العقاب الذى أصابها ·
٥ ـ النظر الى البنت كجنس أدنى منـه ·	٥ ـ نظرة البنت الى نفسـها كجنس أدنى من الذكر أى حسد عضـــو الذكر
٦ ـ عجز الولد عن تصور كيف يمكن للبنت أن تعوض هـذا النقص أو الحسد ·	٦ ـ عجز البنت الابدى عن التخلص من الاحساس بالنقص والوضع الادنى من الذكر ، وعليها أن تتحكم فى رغبتها على الـدوام لان تكون رجلا ·
٧ ـ خوف الولد من حسد البنت له ·	٧ ـ رغبة البنت طوال حياتها كلها فى الانتقام من الرجل بسبب امتلاكه للعضو الذى فقدته ·

وهـذه المرة لسنا وحـدنا الذين نحاول اثبات خطأ ذلك ، ولكن (هورنى) نفسـها وعبر بحوثها تثبت خطأ هـذه الافكار ٠

وتقول أنها لا تعبر عن حقيقة سيكولوجية الانثى ، وانما هى تعبر عن وجهة نظر الرجل فى الانثى بسبب تلك الحضارة الذكورية والعلوم التى صنعها الرجال ٠ وتقول (هورنى) أيضا أننا لو حررنا عقولنا من تلك الافكار الذكورية ، فاننا سنرى موضوع سيكولوجية المرأة على نحو مختلف تماما ٠

ولعل أول ما رأته الباحثة المقـدامة هـو الفروق التشريحية بين الولد والبنت وهى التى كانت أساسا لسيكولوجية المرأة فى نظرية التحليل النفسى ، وإن هـذه النظرية قـد غفلت تماما كثيرا من العوامل الاخرى ، ومنها الاختلاف فى الوظيفة البيولوجية التناسلية لكل من الذكر والانثى ٠ وأن الانثى هى التى تلـد الذكر ٠ وأن قـدرة المرأة على الانجاب (هـذه القـدرة التى لا يملكها الرجل) قـد لعبت دورا هاما فى أن يحسـد الرجل المرأة منذ القـدم ، لا أن تحسده المرأة بسبب امتلاكه عضو التناسل ٠

ـ ان محاولة الرجل لعكس الامور والحقائق المتعلقة بالمرأة شىء ثابت ومعروف فى التاريخ والعلوم ٠ ويظهر ذلك بوضوح فى نظرية (فيرنزى) ومفهومه عن الامومة ٠ انه يرى على سبيل المثال (او الاضطهاد والاغتراب بمعنى أصح) أن المعنى الحقيقى للعملية الجنسية عند كلا الجنسين ليست الا رغبة الذكر فى العودة الى رحم الام ٠ وقـد استطاع أن يحقق الرجل ذلك بواسطة عضوه الذكرى ، ولم يكن أمام المرأة الا أن تخضع لعـدوان الرجل عليها ، وأن تعـوض ذلك عن طريق حصولها على طفل ترعاه ٠٠ ولهـذا تحاول المرأة أن تجـد فى الولادة لذة تعوضها عن اللذة المفقودة مع الرجل ٠

ـ ولقـد استخدم الرجل صفة الحمل والولادة ليقيد المرأة ويكبلهـا ويربطها فى البيت لتخـدمه وتخـدم الاطفال ٠

ـ أما تلك المقولات التى يروجها تلامذة المدرسة الرأسمالية الذكورية ، ليزيدوا بها مظهرا جـديدا من مظاهر اغتراب المرأة ، بوضع كلماتهم فى أدمغتها ،

مثل أن المراة لا تشعر بلذة جنسية وانما تخضع لرغبة الرجل ، فهـذا أيضا قـد لا يتفق اطلاقا مع الحقائق البيولوجية عن قدرة المراة الجنسية العنيفة واللامحدودة كما عبر عنها (ماسترز) ، (جونسون) ، (شيرفى) ، بأنها قـدرة دائرية مستمرة تشبع ولا تشبع فى الوقت نفسه ٠

– ولقـد جاء اغتراب المراة واضحا فى هـذه النقطة عن طريق قمع هـذه القدرة الجنسية الحساسة عن طريق عملية الختان ، أو بالكبت الجنسى المفروضة عليها فى مختلف عصور التاريخ وحتى اليـوم بالقـوانين الذكرية والمحرمات والمحظورات الواقعـة عليها ٠

– ولدحض مدرسة التحليل النفسى نعود لنستشهد بـ (كارين هورنى) التى أثبتت فى ابحاثها أن الرغبة التى يظهرها عـدد كبير من النساء والبنات فى أن يكن ذكورا ليست بسبب حسد عضو الذكر Penisenvy كما يقـول فرويد والرغبة فى الحصول عليه ، ولكن بسبب حياة الانثى المفروضة عليها من المجتمع ٠ اى أن هـذه الرغبة ليست أصيلة فى المراة أو البنت بسبب تكوينها النفسى ولكنها رغبة ثانوية نشأت لاسباب اجتماعية وثقافية مؤداها مزيدا من اغتراب المراة ٠

– وبسبب نظرة المجتمع للانثى ، والكبت المستمر الواقـــع عليها ، والمحاولات الدائمة لاغترابها ، نجـد أن هناك العـديد من الابحاث والدراسات التى أجريت بالنسبة لحياة الاطفال البنات الجنسية ، قـد اتضح منها (مثل بحوث كينزى) وماسترز وجونسون أن الطفلة البنت (كالطفل الذكر) تعرف الجنس مبكرا جـدا فى حياتها ، واحيانا قبل ان تصل الثالثة من عمرها ، لكن البنت تنسى معظم الذكريات الجنسية عن الطفولة (وكذلك الولد) بسبب طبيعة هـذه المداعبات الجنسية وتلقائيتها ، وبسبب أن البنت تشعر أنها يجب أن تخفى هـذه الممارسات عن أمها وعن أى فرد فى الاسرة والمجتمع ، وما ينتج عن ذلك من احساس بالذنب لدى البنت يصيبها بالعجز النفسى عن تذكر مثل هـذه الذكريات الاثمة ، وتنساها فعلا ، لكن رغم نسيان الطفلة للتجربة او التجارب

التى مرت بها ، فانها قـــد تكون حصلت على خبرة معينة قـــد تؤثر على سلوكها الجنسى فيما بعـد ٠

وان كنا نرى ان هـذا التاثير سوف يكون بالسلب حتما طالـا صاحبه الخـوف والرعب من المجتمع ومن الاحساس بالاثم الزائف الذى فرضه المجتمع عليهـــــا ٠

ـ لقـد وجـد أن القيم الاجتماعية الضارة والخوف من عقاب المجتمع ، يفعل عند الانسان ما يفعله الالم العضوى عند الحيوان ، فتبتعـد المراة عن الرجل خـوفا من المجتمع ، مثل ما يبتعـد الحيوان عن شعلة النار أو فخ مؤلم ٠ ان معظم الاستجابات العكسية استجابات تعلمها الحيوان والانسان من خبراته السابقة ، وهى تمثل الاستجابات الطبيعية ٠

ان ابتعاد المراة عن الرجل ، أو البرود الجنسى ، او عـدم صحة العلاقة بين الازواج والزوجات ، ليست الا نتيجة التشويه الاجتماعى للاســتجابات الطبيعية فى كلا الجنسين ٠

ان الجنس فى الانسان انسانى ، من اجل الحب واللذة والســعادة والانسانية وليس من أجل التناسل فحسب ٠ ولكن التربية الخاطئة والتعليم للخاطىء ، يسبب ما سمى فى الفسيولوجيا وعلم النفس بالارتباط الشرطى ،

ان من خصائص المادة الحية ، انها تتكيف وتكيف نفسها حســب التجربة والخبرة السابقة فى جميع مراحل العمر منذ الولادة حتى المــات ٠ ولا شك ان الانسان أكثر قـدرة على التعليم والتكيف من الثدييات الاخرى بسبب تطور فص المخ الامامى عند الانسان ٠ ان الانسان او الحيوان لا يتعلم وظائفــه الفسيولوجية ولكنه يولد بها ، ولكن عملية التعلم هى التى تشــكل العلاقات الجنسية بين البشر ٠

وعملية التعلم هذه تتكون من :

التجربة السابقة ، مشاركة الآخرين عند سماع تجاربهم ، العقاب أو اللذة الناتجة ، نظرة المجتمع ، الاشياء المصاحبة للتجارب الجنسية ، الاصوات ، الروائح ، الاشكال ، حركات معينة ·· كل ذلك قد تصبح أقوى من المؤثر الجنسى المباشر ·

ومن هنا جاء خطر التعليم الخاطىء وخطر التجارب السيئة السابقة ، وخطر التخويف والعقاب ، وخطر تعليم الانثى الطفل الكذب ، وخطر تعويد الانثى على التلصص وسرقة اللذة الجنسية · ثم الوقوع بعد ذلك فريسة العذاب النفسى ، والاحساس بالذنب ، وفريسة قيود المجتمع الكهنوتية والخزعبلات على الانثى ··· وبالتالى وقوع الانثى او المرأة فريسة للاغتراب عن واقعها ·

ـ لقد جردت المرأة من كثير من حقوقها الاجتماعية والاخلاقية ، وضيق المجتمع عليها الخناق حتى لم يعد فى أمكان المرأة أن تعيش فى المجتمع الا فى كنف رجل ، ليعولها اقتصاديا ، وليحميها اجتماعيا ، وليمنحها الشرف ، الذى يمتلكه وحده ولا يمكن لها أن تكون امرأة شريفة ـ فى نظر المجتمع ـ الا اذا اقترنت برجل ، ومعنى هذا لابد لها ان تصبح زوجة ومعنى هذا أن تصبح خاضعة لقوانين الزواج التى وضعها الرجل ، والذى فى ظله يقودها زوجها إلى السجن أو العذاب ، أو الموت اذا خانته بل اذا خالفته فى الرأى ·

نحن لا نتحدث عن مجتمعات بالية ولكننا نتحدث عن مجتمع اليوم ، فهذا يحدث اليوم· ولقد وجدت المرأة نتيجة ذلك نفسها فى وضع يفرض عليها الاحتفاظ بزوجها بأى شكل ومهما كان ، حتى لا يعايرها المجتمع بكلمة مطلقة ، حتى لو كان زوجها سكيرا ، عربيدا أو زير نساء ، وله وجه قرد ، ويضربها كل يوم بالسوط (وهى عقوبة من حق الرجل حتى الان فى معظم المجتمعات) ·

انها تحاول الاحتفاظ به رغم كل هـذا ، وتخشى أن يتركها ويذهب الى امرأة اخرى ، ولهـذا تشعر المرأة بما سمى (الغيرة) أكثر مما يشعر بها الرجل ٠

ولكن الغيرة ، غيرة « المرأة » على زوجها ليست الا محاولة واعية منهـا للاحتفاظ بذلك الزوج ، الذى لو تركها ، فقـد انتهت حياتها الاجتماعيـة والجنسية والاخلاقية لانها خارج الزواج لا تستطيع أن تعيش اجتماعيـا ولا تستطيع أن ترضى رغبتها الجنسية ، فلو تشجعت ومارست الجنس خارج نطاق الزواج ، فانها لا تستطيع أن تنسب طفلها اليها ، وعليها أن تقبل الموت أو العـار أو العـذاب ، أو تعود الى جحيم أشـد خارج الزواج ، ولذلك فهى تفضل الجحيم داخـل الزواج ٠

ـ بل إن شعور « الغيرة » نفسه عند المرأة ، هـو شعور مشكوك فيـه لدينا فى كثير من الاحوال ، من اجل الحفاظ عليه حتى لو استخدمت منى ذلك التمثيل ، ولان الرجل قـد علمه المجتمع أن يكون سيدا ، فالمرأة بذكائها وحاجاتها ولخـوفها من المجتمع ، لابد أن تشعره فى كل لحظة أنها الامة وانها المحبـة حتى ولو جاء ذلك زيفـا ونفـاقا ٠

ـ ان من أخطر مظاهر الاغتراب التى لاحظها الباحث ودرسها عن قرب ، ان المرأة فى العصر الحـديث قـد خـدعت اكثر من العصور القـديمة ، ذلك أن حقيقة وضـعها الادنى وسلبها معظم حقوقها قـد أصـبح مغلفـا بالاحترام الظاهرى الزائف ، والا يتكيت ، والمعاملة الرقيقة أمام الناس ، وبسبب هـذا الغلاف الخارجى لم تر المرأة أن وضعها لا زال هـو الادنى ، وأن كان زوجهـا يفتح لهـا باب العربه ، وان يجعلها تدخل من الباب قبله ، فهو لا زال الوصى عليها (كما لو كانت طفلا قاصرا) بحكم قانون الزواج وبنوده ، ولا زال من حقـه أن يعاشر اى امرأة يشتهيها ، ويتزوج غيرها فى اى وقت ، ويطلقها فى اى وقت ، ويتحكم فى دخولها وخروجها وسفرها وجسدها وكل شىء ٠ اما هى فلا تستطيع أن تفعل اى شىء من هـذا ٠ وطبيعى قـد ترفض وقـد تتذمر ، ولكن دائما هى خاضعة للعاصفة ، فتعود لتهدأ وتستكين ، لان الطاعة والاستكانة والهـدوء من صفات الانوثة الكاملة والمرأة العاقلة ! ، أما التذمر والرفض فهى

صفات ذكرية عـدوانية تسيىء اليها فى نظر الناس ، وتشوه أنوثتها • بل قـد يجعلها المجتمع من هؤلاء النساء غير الطبيعيات او المريضات نفسيا •

ـ ولهـذا السبب تستكين المراة ، تستكين معظم النساء ، ويكبتن فى اعماقهن الكراهية للرجال وللحياة ولكل شىء بما فى ذلك أنفسـهن ، وبسبب كراهية أنفسـهن فانهن يكرهن النساء الاخريات أيضا ، وبالذات أولئك النساء اللائى يكشفن الظلم الواقع عليهن ، فكأنهن يكشفن عن الجرح العميق المؤلم الذى ينزف كل يوم وببطء ، وبسبب الالم والذعر والكراهية تمقت معظم النساء أولئك القلة من بنات جنسهن اللائى يرفضن الظلم ويحاولن الاصلاح وينادين بالمساواة والحرية للمرأة •

ولنستمر فى تعـدد مظاهر الاغتراب عند المراة بوجـه عام ، ولنوضح من مختلف النواحى ذلك القهر الذى ولد الاغتراب لدى المراة وحولها الى كائن ضعيف بل تفنن المجتمع ذلك ، وساعد فى ترويج الكثير من علوم المدرسة الراسمالية الذكورية مثل مدرسة التحليل النفسى ، ليزيد من سلبية المرأة اى غربتها عن عالمهـــــا •

ـ وأنها لقصة معروفة فى التاريخ فأصحاب السلطة متى حصلوا على السلطة ، فليسوا على استعداد ابدا للتفريط فيها ، الا بالقوة والضغط المفروض عليهم من ثورة المحكومين والمظلومين • ولم تمثل النساء ابدا تلك القـــوة الثورية التى يمكن بها أن تفرض على الرجال رفع الوصاية عنهن وقهـــر اغترابهن • لماذا لم تصبح النساء قـوة ثورية فى اى مجتمع من المجتمعات الابوية الحـديثة ؟ رغم شدة الغبن والقهر الواقع عليهن ؟ لماذا لم تصـبح النساء قـوة رافضة غاضبة وثائرة ؟

السبب فى ذلك ، هـو أن النساء لسن سعيدات ومبتهجات بحيـــاتهن المليئة بالالم • ولكن السبب فى ذلك هو أن القهر الذى وقع على المراة لم يكن قهرا قانونيا واقتصاديا واجتماعيا وجسديا فقط ولكنه كان قهرا نفسيا أيضا •

وأى دعوة تقول بسلبية المراة وانها خلقت كذلك هى عبث وكذب ، ولكن هكذا علمها المجتمع وهكذا عاشت وتعيش مغتربة عن عالمها ٠

ـ ان السبب فى عـدم غضبة المراة الجماعية لا يرجع لطبيعتهن البيولوجية كما تقول مدرسة التحليل النفسى الرأسمالية الذكورية ، ولكن السبب هـو ان الرجل حين قهر المرأة لم يسلب منها النسب والشرف فحسب ، ولكنه سـلب منها الغضب ايضا ٠ حيث جعل المجتمع الغضب من نصيب الرجال ، والرقـة من نصيب الاناث مهما كانت الكوارث التى تحياها ٠

ان المراة التى لا تبتسم دائما يشك فى انوثتها ورقتها ووداعتها ، والمراة التى تكسر أو تقطب جبينها فهى ليست امراة ٠ حيث علمها المجتمع أن ما يزيد جمالها (وهـو راسمالها) هى أن تكون مبتسمة ضاحكة بهستيرية ٠

وهكذا تعلمت المراة أن تخفى غضبها وأن تكبته ، وحين تزداد كراهيتهـا فعليها أن تتعلم مزيدا من الكبت ٠

وحين تضغط الكراهية على قلبها وصـدرها واحشائها وتكاد تختنق فهى تفضل ان تختنق داخليا على ان يخرج جزء من هـذه الكراهية على شكل فعـل خارجى أو عـدوانى ٠ ان العـدوانية اقبح صفة يمكن أن توصف بها المراة ، وهى ليست صفة فحسب ٠ انها مرض أو شذوذ ، واذا اصبحت عـدوانية فهى فى حاجـة الى عقاب أو علاج نفسى ، أو جلسات كهربية لتعود الى حالتها الاولى الهادئة الراضية المكبوتة ٠

هكذا وصلت المراة الى أقصى درجات القهر والاغتراب فى يومنا هـذا وفيما يسمى بحضارة القرن العشرين ٠

لقـد حول المجتمع المراة الى كائن غير طبيعى ، لان الانسان الطبيعى هـو الذى ينفعل حين يسيىء اليه أحـد ٠ هـذا الانفعال يسمى الكراهية ٠ وهى فى الانسان السليم نفسيا توجـه الى الخارج كرد فعل ، ولكنها عند المرأة

تكبت ، أو ينقلب مسارها الى الداخل ، الى النفس ، ولهـذا تصاب النســاء ، بالاكتئاب ، وهـو ابلغ تعبير عن الاغتراب · والاكتئاب هـو رد الفعـل الانثوى للتعبير عن الكراهية أو خيبة الامل فى شىء من الاشياء ·

وهـذا الاكتئاب ما كان ليحـدث للمراة لو أنها وجهت انفعالها الى الخارج كما يفعل معظم الرجال · ولكن الخارج هـذا (بعبارة أصح المجتمع) يرفض انفعالات المرأة الطبيعية سواء أكانت كراهية أم حبا · ويفرض عليها أن تكون مخلوقا بلا انفعالات أو انفعالات وقتية وربما تمثيلية ·

ـ ولعل دراسة زيجلر E. Zigler وفيليبس L. Phillips توضح المفهوم السابق · حيث أن هـذه الدراسة قارنت بين الاعراض النفسية للرجال المرضى والنساء المريضات ووجـد أن الرجال اكثر ميلا للعـدوان والنزوع الى الدوافع المضادة للمجتمع مثل السرقة والاغتصاب ·

ووجـد ان المريضات من النساء يملن الى امتهان النفس والاكتئاب والحيرة والافكار الانتحارية أو الاقـدام على الانتحار فعلا ·

ـ ان معظم المريضات يعانين مما سمى (بالامراض النفسية الانثوية) مثل الاكتئاب والبرود الجنسى وتسلط فكرة الاضطهاد ، أى أن أمراض النساء عامة تندرج تحت عنوان (الخـوف من السعادة) وهو التعبير الذى استخدمه توماس زاز Thomas Szazs ان الخوف من السعادة أو الخوف من الرضا أو الخوف من اللذة شىء لا يحـدث للانسان الا فى حالات الاضطهاد مثل حالات العبيد والنساء ، وكما يكبت العبد احساسه الحقيقى عن سيدة ، تكبت المرأة احساسها باللذة او السعادة خـوفا من الزوج أو الاب أو بديليهما · وهناك وجـه شبه بين نفسية المرأة ونفسية العبيد ، ولا عجب فى ذلك فالنساء اول مجموعة بشرية فى التاريخ استعبدت بمجموعة أخرى ·

ولقـد وجـد فى معظم البحوث النفسية أن مرض الاكتئاب النفسى بين النساء منتشر بنسبة أكبر من الرجال · ومنتشر بين النساء الزوجات اكثر

من النساء غير المتزوجات · واتضح أن هـذا الاكتئاب ليس الا تلك الكراهية ، المتراكمة المكبوتة التى توجهها المراة الى الداخل بدلا من أن توجهها الى الخارج :أى شكل فعل عـدوانى ·

وعندما يحـدث ذلك ، يحـدث التشوه النفسى ، والضعف ، وتجعلهـا أكثر عجزا عن التعبير عن الكراهية · ويأتى يوم تنظر فيه المراة الى وجهها فى المراة ذلك الوجـه المصطنع بالبسمة والهدوء ، فاذا بها ترى فى اعماقها ذلك الوجـه الاسود المكفهر الطافح بالكراهية المتراكمة ، ولذعرها الشـديد ، قـد تكسر المرآة دون أن تدرى ، ويكتشف الطبيب النفسى ويدرك فـورا أنها كانت تريد أن تصفع وجـه زوجها وليس وجـه المرآة · وقـد تحاول أن تصفع وجـه زوجها لتشفى من مرضـها وليزول عنها الاكتئاب الى الابد · ولكن دائما يمنعها الطبيب النفسى (الرجل) وبدلا من العلاج الصحيح ، يعطيها أقراصا مهـدئة ومنومة وينصحها باحترام زوجها وطاعته ، وهكذا تدور الدائرة ، وتعيش معظم الزوجات فى حالة الاكتئاب شبه الدائم ·

ــ وكما تقول د· نوال السعوادى (وقـد أدركت اخيرا لمـاذا كنت دائما أشعر بالحيرة حين أرى تلك الابتسامة الغريبة على وجـوه معظم الزوجات · لم اكن أعرف سر غرابتها فى عينى · ولكنى اصبحت افهمها الان · أنها تلك الابتسامة الرقيقة التى تشف من تحتها الشقاء (الذى تحركه المراة بوعى أو بغير وعى) · ولانها متناقضة فهى تبدو أحيانا مخيفة · كوجـه طفل باسم من تحته وجـه عجوز مجعـد) ·

ــ ان علاج الاكتئاب ، هو علاج الاغتراب ، هـو الاختيار والارادة ، والارادة فى حياة اى انسـان لا يمكن تحقيقها الا اذا كان الانسان مستقلا · واستقلال الانسـان له دعامتان : الاستقلال الاقتصاد والاجتماعى والاستقلال النفسى والعاطفى والشخصى · ولان المراة قـد رباها المجتمع وقـدر لهـا ، أن تعتمد على الرجل اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا وعاطفيا وشخصيا ، فلا يمكن لهـا بحال من الاحوال فى معظم الحالات ، ان تغضب اذا أساء اليها الا غضبا

مؤقتا وليس جـذريا ، وليس امامها الا الكبت ، اى الاكتئاب ، اى الاغتراب كمرض لا شفاء منه · ما دامت السلبية هى عنوان الانوثة وعلامتها الخالدة ·

– وحينما نقول المرأة العصرية أو الحـديثة ، نتصور على الفور تلك المرأة التى ترتدى احـدث الازياء ، وآخر الموضات ، تلك المشغولة ليل نهار ، بشعرها وبجسدها وجلـدها وأظافرها ومكياجها ·· وبمعنى آخر تلك المرأة المشغولة بنفسها ، او المرأة النرجسية ·

ولقـد أشيع ان المرأة نرجسية بسبب اهتمامها بملابسها وبشكلها ، ولكن الذى يتعمق قليلا انى أبعـد من السطح الخارجى للمرأة ، يدرك أن العكس هـو الصحيح ، ان حب النفس فى النساء نادر جـدا ، وأنه فى تلك الحالات النادرة التى تحب فيها المرأة نفسها فان المجتمع الذكورى لا يسمح ولا يتحمل مثل هـذا الحب ·

وقـد اتضح لعلماء النفس اخيرا ، أن اهتمام المرأة بشكلها وملابسها ليس الا رغبة فى التعويض عن حب النفس المفقود ، أو محاولة من المرأة للتعويض عن عقـد نقصها · ولجـذب اهتمام العـديد من الذكور الاخرين ، انها تحيـا بالرغبة المدفـونة داخلها : ان تطرب لسماع كلمات الاعجاب بها ، لتعويض ذلك القهر الذى عاشته منذ ان اصبح الرجل هـو السيد ·

– أن التضحية بالنفس وليس حب النفس ، هى صفة المرأة · وهى أيضا صفة غير طبيعية فى المرأة · ان المجتمع هـو الذى فرض على المرأة أن تضحى بنفسها من أجل زوجها · بل أن الثقافة والقوانين الذكورية ترغم المرأة أن تكون مضحية ، ولكن يحـدث الاثر العكسى فتعوض هـذا الحرمان والتضـــــحية بالنفس ، بالطرب لصيحات الذكورة المعجبة بها ، تلك الصيحات التى لا تعبر عن شىء سوى عن جنس مقيت ، سوى عن رؤية ذكورية ترى المرأة فراشا وفقط ·

ولقـد حـدث الاثر العكسى الاخر فمهما بلغت معظم النساء من التعليم – ولا نقول الثقافة لحرمان المجتمع المرأة من أن تكون مثقفة – فهى ترى نفسها

امرأة ، ولا تدرك ان كلمات الغزل التى تطرب لهـا ما هى الا استباحة لكرامتها ، حيث أن مبعث عبارات الغزل فيها هو مناشدة الذكر لغرائزه الجنسية ومحاولة تنفيس تلك الغرائز على من أمامه من النساء ٠

ولقـد حـدث التشوه النفسى للمرأة على المنوال المذكور فحولها الى كائن لا يدرك ان قيمة الانسان السوى تستمد من اعجابه هـو بنفسه ، وفكرته عن نفســـــه ٠

ـ ولقـد كتبت « مادلين شابســال » تقول : « ان الكتابة عملية فردية عالية المستوى وترتبط ارتباطا وثيقا بالظروف الاجتماعية ، اى تعتمد على درجة حرية الفرد فى المجتمع ٠٠ وقـد حرمت المرأة من هـذه الحرية قرونا ، فان الشىء الوحيد الذى حرم بشدة على البنات والنساء المتزوجات هـو حرية الكلام ، لان المجتمع كان يشك (وهـذا الشك فى موضعه) أن حرية الكلام ستقود الى حرية التفكير ثم الى حرية الفعل ٠

ولقـد سمح المجتمع للمرأة ، بالكتابة ، ولكن بشكل فردى وليست ظاهرة عامة ، ان هـذه القيود على « لسان » المرأة ، ثم على عقلها ، وبالتالى على « افعالها » كانت ضرورية لعملية القمع الجنسى ، لتخضع المرأة رغم طبيعتها (وليس بسبب الطبيعة ذاتها) لنظم الاسرة الابوية والزواج بالرجـل الواحـد « الاب للاطفال » ٠ وتستمر السلسلة ، ليدل ما ذكرناه سابقا على أن عمليـة القمع الجنسى تقتضى بالضرورة عملية قمع فكرى ، ومن أجل أن تنصرف المرأة تماما عن المجالات الفكرية والخلق الفنى ، أو همومها ٠ ان الولادة نوع من الخلق الفكرى وليس البيولوجى واوهموها أن فى الولادة سعادة لهـا تفوق سـعادة الرجـل الفكرية والفنية ٠

ـ ان عملية اقناع المرأة بهـذه الفكرة غير المنطقية لم تكن سهلة على الرجل ، فالمرأة انسان لهـا عقل ، وعقلها يدلها على أن ولادة الاطفال وظيفة بيولوجية لا تزيد عن اى وظيفة بيولوجية أخرى ، وأنها اذا اكتفت بحياتها على ولادة الاطفال فلن تكون أفضل من القطة التى تلـد أيضا ٠

ـ ولهـذا السبب تشعر النساء بالاكتئاب بعـد انقطاع الطمث ، وقـد فسر هـذا الاكتئاب الذى سموه « اكتئاب سن اليأس » تفسيرا خاطئا ، وارجعوه الى أسباب بيولوجية وهرمونية والحقيقة أن هذا الاكتئاب سببه أن المراة تكتشف بعـد فوات الاوان انها ضيعت عمرها هباءا فى الحمل والولادة والغسل والكنس والطبخ ، وانها قتلت طموحها الفكرى أو أنها اجبرت على قتـــــله ٠

ـ ولقد استخدم الرجل فى قمعه للمراة جميع الوسائل المادية والثقافية ، ونجحت الثقافة الذكورية على مدى القرون فى اقناع النساء عامة بأن طموحهن الفكرى ليس الا انحرافا عن طبيعتهن ، أو نشاطا ذكوريا نبت خطـأ فى طبيعـة الانثى ويجب أن يستأصل كما استأصلوا لها البظر ٠

ـ وجاء وقت أصبحت فيه النساء عقيمات الفكر ، وفقـدن اهتمـامهن بالنواحى الفكرية فى المجتمع والحياة ، ولم يشعرن باى نقص لانهن تصورن أن عقم المراة ليس الا عجزها عن ولادة الاطفال ٠

ـ وفى العصر الحـديث لم يستخدم الرجل المتحضر حزام العفـــة الحـديدى ، ليقمع المراة جنسيا وفكريا ولكنه استخدم وسيلة عصرية أخرى ، هى النظريات النفسية العلمية الخاطئة التى تصنع للمراة طبيعة مشوهة لا تقـل فى تشوهها عن فعل حزام العفة الحـديدى بجسم المرأة ، أو استئصال بعض اعضائها الجنسية ٠

ـ ان اخصاء المراة جنسيا كان يقتضى بالضرورة اخصاءها فكريا ايضا ، فالحرية فى الانسان لا تتجزأ ، واذا منحت المراة الحرية لتتكلم ، فسوف تقود حرية الكلام الى حرية التفكير الى حرية العقل الى حرية الفعل ٠٠ وهنا الخطر كل الخطر ، لان المراة التى تصبح حرة فى افعالها ، قـد تفعل اى شىء ، ومعنى ذلك انها قـد تذهب لاى رجل آخر غير الرجل المفروض عليها بالزواج ، وهنـا الخطر الذى يتهـدد المؤسسة الابوية الذكورية (وهكذا يتصور المجتمع) ٠

ـ وبعـد كل التراث والسنوات التى عاشتها المراة فى القهر ، نجـد ظاهرة باتت مفزعة الى حـد كبير ، ذلك أنها أصبحت تحب قيودها ، وليس ذلك للفروق التشريحية بينها وبين الرجل ، ولكن السبب وراء ذلك هو القهر الاجتماعى الطـويل ، وخوفها الدفين ـ الذى تربى معها منذ سنين عـديدة ـ من اية حركة او حرية وهـذا هو السبب فى ذلك الذعر الشديد الذى تبـديه الامهات (اكثر من الاباء فى معظم الحالات) حين يلمحن فى بناتهن أية حركة نحو أية حرية ، وهـذا هو سبب تلك الكراهية التى تشعر بها البنت تجاه أمهـا فى كثر من الاحيـان ٠

ـ ان العلاقة بين الام وابنتها علاقة مريضة ، بنيت على القهر والخوف ، وفى مثل هـذا القهر والخوف ، تفسد العلاقة بين اعضاء الجنس المقهور ، ان اشـد انواع الكراهية تنبت بين المقهور والمقهور ، أو بين العبد وزميله العبد ، هـذا شىء غير طبيعى ، ولكن الاشياء غير الطبيعية تنمو فى المناخ غير الطبيعى ، وفى ظـل القهر الطبيعى يكره العبد زميله بدلا من أن يحبه ، وينافسه متوهما انه عـدوه بدلا من ان يتآزر معه ضـد العـدو الحقيقى ٠

ـ وهـذا ما يحـدث للنساء ٠ ان المرأة تنافس المراة وتكرهها ٠ والام تحب ابنها الذكر اكثر مما تحب ابنتها وتتصور ان ابنها يعوضها عن الاحباط الذى حدث فى حياتها كأنثى ، اما ابنتها فليست الا مثلها انثى ، اى أنهـا تنتمى الى ذلك الجنس الادنى ٠

وهـذا الشعور من الام ينعكس على ابنتها ، فتشعر البنت بالاسى والحزن وخيبة الامل فى أمها التى كانت تظن انها ستقف فى صفها لانها مثلها ٠٠ وهكذا يتوارث المجتمع تخلفه عبر الاجيال ٠

ـ والبنت لا تكره أمها لانها اخـذت منها عضو الذكر (ابيها) مثلما يقول فرويد ، ولكن البنت تكره أمها لانها تحاول ان تشدها الى دنيا النساء المحدودة القبيحة التى تفوح منها « رائحة الثوم والبصل وغسل الصحون » والانغلاق على الحياة الثقافية والفكرية ، ورغم تعلم البنت الا أن أمها تمارس عليها دور

السجان ، اى مهمة تقييد حرية البنت • كم بنت تستطيع الغياب عن منزلها الى ساعة متاخرة من الليل ؟ كم بنت تستطيع أن تصارح أمها بأنها تحب مثلا ؟ كم بنت تستطيع ان تصارح امها أنها تعتنق مبدأ معين ؟ كم بنت تستطيع ان تصارح أمها بأمانيها فى الحياة ؟ ••• الخ •

ـ ولعله من العار ، وشيء مشين ، ان نسمع الى اليوم الاب يردد فى صلاته وفى كلامه جملته الفارغة المشهورة « يا رب استر بنتى » •• الستر عنده هو الزواج أى زواج المهم كنف الرجل ، اللهم أن تحتمى « بضل راجل ولا ضـل حيطـة » •

ـ تتعلم البنت على يد الخبرة السيئة ويد أمها ويد الاخرين ، كيـف تبدو جميلة جـذابة تجـذب عين الرجال ، بكل ما هو مصطنع بدءا من المكياج الى « الفستان » الذى يحـدد بروزات جسدها ، أى تتعلم أن تكون جـــذابة جنسيا ، ولكنها تتعلم فى نفس اللحظة وفى نفس الوقت أن كبت رغبتهـــا الجنسية • اى انها تتعلم ان تكون جنسية ولا جنسية فى الوقت نفسه • وهـذه الحالة تدفـع البنت الى الهستريا المقنعة ، للجنون الداخلى ، انفصام الشـــخصية •

ـ (ومن الجـدير بالذكر ، « ونحن نذكر ذلك على الهامش » ، أن كلمة هيستريا اشتقت من « هيستر » ومعناها باللاتينية « رحم » الام !!) •

ـ ولم يكن علاج الهستيريا والاكتئاب فى العصر الحـديث أكثر نجاحا من علاجهما فى العصور الوسطى ، وكما كانت تساق الساحرات الى كرسى الحرق ، ثم الى الكرسى الكهربى ، ثم الى الكرسى المهدىء ، سيقت نســـــاء العصر الحـديث الى الجلسات الكهربية والى الاقراص المهـدئة والمنومة ، والى « شزلونج » الطبيب النفسى تلميذ مدرسة التحليل النفسى الرأسمالية الفرويدية الذكرية ، ليقنعها أن ما تعانى منه ليس بسبب ذلك القهر الواقع عليها ، وانما بسببه رفضها لانوثتها ، ورفضها لحقيقة كونها ذكرا مخصيا ناقصا •

وينجح التحليل النفسى فى اقناع المراة بنقصها ، وانها الجنس الادنى ، وتستحق ما هى فيه من قهر وذلة ، وعليها أن تحب هذا الذل وتعشقه لانه يتفق مع طبيعتها الماسوشية ·

ـ وتعود المراة الى بيتها مستسلمة هادئة ، بل اكثر هدوءا ، ذلك الهدوء الذى يشبه الموت ، وتحاول بالجزء الباقى من نفسها وجسدها · أن تتكيف مع الواقع المفروض عليها ، وان تقبله وتحبه · وتبدأ المرأة فى محاولة تعويضية مرضية ، تعوض بها ما اخذ منها عنوة ، ولا تجد سبيلا للتعويض الا اطفالها الذكور (بناتها تكرههن لانهن سيكن ضعيفات مثلها) · انها تحب اولادها الذكور لانها تجد فى قوتهم الاجتماعية تعويضا عن ضعفها وقهرها ·

ونعود مرة اخرى للاستمرار فى تعدد مظاهر اغتراب المراة ، هذه المرة ، سوف نتناول حججا تعود أن يسوقها المجتمع المسمى بالحديث عن حرية المرأة ·

ـ حين يسمح المجتمع للمرأة بالعمل ، فهو يشترط ألا يتعارض عملها مع واجبها الاول فى الحياة من وجهة نظر المجتمع طبعا (زوجة وأم) ، واذا تعارض فلا بد لها أن تعود فورا الى البيت والى دورها الابدى (زوجة وام) ، والاحداث العديد من الخلافات التى سرعان ما تؤدى الى الطلاق · بل ان خروج المراة للعمل ليس (فى منطق المجتمع) من أجل أن تنمى قدرتها الفكرية وترضى طموحها الانسانى والفكرى ، وانما من أجل أن ترفع المستوى الاقتصادى للاسرة الابوية ، وان تساعد الاب أو الزوج فى النفقات ، ومصاريف المدارس ، ومتطلبات المنزل ··· الخ ولهذا يسمح المجتمع للمراة العاملة بحريات معينة ويحرمها من حريات أخرى ، أنه يمنعها من التطور الفكرى المستمر أو الوعى المتزايد ، والا اكتشفت الظلم الواقع عليها · ومن هنا ذعر المجتمع وقسوته على اية أمراة تظهر مزيدا من الوعى ومزيدا من الذكاء أو التطور الفكرى ·

ـ ومن العجيب ، الذى يشبه السخرة ، أن الزوج يسمح لزوجته أن تتأخر عن البيت بسبب الاوفرتيم (الاجر الاضافى الذى تحصل عليه نتيجة عمل اضافى) ، لكنه لا يسمح لها أن تتأخر فى حفل أو سينما أو زيارة ·

ولهذا تزيد نسبة الامراض النفسية فى النساء العاملات عن النساء ربات البيوت ، فالمرأة العاملة تقوم بجميع واجباتها تجاه العمل كزوجة ، ولكنها لا تتمتع ولا تحصل على الحريات والحقوق الاجتماعية او الفكرية أو الجنسية التى يتمتع بها الزوج ٠

بالاضافة الى ما سبق فهى تعود الى البيت وعليها ايضا ان تخدم هذه الزوجوتخدم أطفالها ، والا اتهمها المجتمع بالتقصير ونالها العقاب الذى يتفاوت من مجرد اللوم والتأنيب الى الضرب أو الطلاق أو الزواج بأخرى أو التشهير بأنها لا تعرف واجباتها كأنثى ، وأنها ناقصة الانوثة ، أو منحرفة أو مريضة نفسيا ٠ وتذهب المرأة الى الطبيب النفسى وتعانى من امراض سيكوسوماتيكية ، وتذهب لطبيب لا يفكر الا فى الفروق التشريحية بين الذكر والانثى بمنطق تعلمه الفرويدى ٠

وهكذا تدور الدائرة من جديد وتلف المرأة فى الدوامة ٠

– وقد يتبجح العديدون قائلين بتعال شديد : اليست المرأة العاملة اسعد حالا من المرأة غير العاملة ؟ بل أنه علاج لتخلف المرأة ، الا يعالج العمل كثيرا من مشاكل المرأة النفسية ؟

وللاجابة على هؤلاء السادة المتبجحين نقول :

أن العمل بصفة عامة ، وكما قال علماء النفس ، اهم وسيلة تربط الانسان بواقع الحياة وحقيقتها ، لان الانسان يحتك بجزء من هذه الحقيقة وهو المجتمع الانسانى ولكن العمل فى حياة المرأة لا يأخذ هذا الشكل ، وفى ظل المناخ العام الذى يقهر المرأة ، وفى ظل القانون الذى لا يساوى بين المرأة والرجل لا يمكن ان يكون مجرد « عمل المرأة » هو العلاج لتعاستها واغترابها عن المجتمع ولعلاجها نفسيا ، ان المرأة أو أى انسان لا يمكن أن يعمل عملا الا اذا تم اعداده لهذا العمل ، اعدادا سليما مبنيا على تربية سليمة ودوافع العمل الصادقة أو دوافع للعمل صادقة ٠

ان هـذه الدوافع هى التى تشكل المثل الاعلى فى حياة الانسان ، واهدافه من حياته ، والقيم التى تعيش بها نفسه ، والقمة التى رسمها لنفســـه بكل جهـده وامكانياته ، ان كل هـذه القيم والمثل تترسب فى أعماق الانسان عن طريق التربية منذ الطفولة ، والمناخ العام الذى يعيش فيه وتتمثل فيه هـذه القيم ، وتصبح مؤثرات تدفع نحو الطريق الذى يساعده على تحقيق أهـدافه ٠

وان المثل العليا والقيم التى تتمثلها المراة منذ طفولتها حتى مماتها ، فى الاسرة والمدرسة ، والشارع والصحافة والاذاعة والافلام والصور والكتب ، كلها تدفع بها لا الى طريق العمل والفكر والثقافة وانما الى اصطياد الرجل باى شكل والزواج منه بأى شكل ، والا فقـد فاتها القطار وفاتتها جنة الله المصطنعة على الارض ، ورحمتها من عـذاب السعير : عانس ٠

ـ ولهـذا تنظر المراة الى العمل كانه محطة انتظار ليس الا ٠ واذا جاءها « عريس » غنى فهى تترك العمل فورا ٠ واذا جاءها « عريس فقير » ، فهـذا حظها ، وعليها أن تعمل حتى يصبح اقـل فقرا ٠ ثم تترك العمل اذا ما سمحت الحالة الاقتصادية بذلك ٠ واذا ٠ لم تسمح الحالة الاقتصادية بأن تترك العمل أبدا فهـذا نصيبها ، وعليها أن تعمل خارج البيت وداخله ، وفى أعماقها تحسد زوجـة الرجل الذى يمنعه ثراؤه (ورجولته أيضا فى مفهومها الخاطىء) من تشغيل زوجته مثلما هى تعمل ٠

ـ واننا لا ننكر ان عـددا قليلا جـدا من النساء العاملات من يعتبرن ان العمل أهم من الزواج ، أو أن تحقيق ذاتها كانسانه مفكرة فى المجتمع أهم من الزواج وانجاب الاطفال ٠ ومن النادر جـدا للمرأة أن ترسم لنفسـها قيمــة فكرية عالية فى المجتمع ، والا اتهمت بالذكورة ، فهـذا الطموح الفكرى صـفة الرجال فحسب ٠ هـذا العـدد القليل ليس ظاهرة عامة ولكنها ظاهرة شـاذة فى المجتمع ٠

ـ ان الظاهرة العامة الجـديرة بالبحث ، هو أن تخفى المرأة ذكاؤها من اجل أن تكون مكتملة الانوثة ، وهـذا كله ناتج من المناخ العام والثقافــة

الذكورية التى تتعرض لهـا المرأة منذ ولادتها وحتى مماتها ، والدور الذى يفرض عليها كزوجة وام ، بكافة الوسائل التى توهمها بأن هـذه هى أنوثتها وهـذا هـو جمالها ، وهـذا هو سحرها وجمالها ٠ كيف يمكن لهـا ان تحـارب الطبيعة ؟ ٠٠ ان هـذا الايهام يفرض على المرأة ان ترضى بدورها وبكونها أنثى ٠٠ بل من المدهش حقا ذلك الخـداع الذى تستطيع المرأة أن تحيا بداخله كالمحارة ، أن تدعى أنها تحب دورها ، وتسعى اليه ، وتتفاخر به ، وكم من نساء يتفاخرن بأنهن ليس الا زوجات وأمهات ، وكم من نساء يتفاخرن بأنهن لازلن أطفالا ولا زلن ساذجات وكم من النساء يتفاخرن بتصرفاتهن البلهاء ، وكم هن غبيات عندما يستسلمن لهـذا الخـداع المريض ٠

– ان المرأة فى عصرنا الحـديث التى تعلمت وخرجت فيه الى العمل فى أى مهنة تشعر بالقيود من حولها وبالكراهية أيضا فى جـو العمل (المناخ العام لجو العمل) والويل لهـا لو اظهرت نبوغا وتفوقا ، أن الحرب الذكورية ترتفع ضـدها وتحوطها الكراهية العامة من كل جانب ٠٠ حتى هى نفسـها تعيش فى جـو من الشك وفقـدان الثقة فى النفس نتيجة هـذه الحرب المشـنة عليهـا ٠

– ولا يمكننا بحال من الاحوال ان ننكر أنه برغم التقـدم العلمى وازدياد التعليم فى مصر ، الا ان المرأة ما زالت تعانى من تلك النظرة اليها بأنها أولا خلقت تابعا لزوجها كزوجة وثانيا مهما بلغت من التفوق العلمى فهى امرأة ٠ ويكتب « جون ستيوارت ميل » يقول « انه لمن الخطـأ أن يظل المبدأ الذى يحكم العلاقة الاجتماعية بين الجنسين قائم على اخضاع النساء بالقانون للرجال ٠ وهـذا هـو أهم الاسباب التى تعوق التقـدم الانسانى ولهـذا يجب علينا ان نستبدل هـذا القانون بقانون آخر يحقق المساواة للجنسين فى كافة نواحى الحيـاة ٠

ولكى نستطيع أن نسلك مسلكا آخر فى هـذا المبحث علينا ان نختم هـذا الجزء بمراجعة « فرويد » ذاته لمدرسته وارائه ومبادئه ٠

حيث يقرر فرويد أن العمل المهنى فى المجتمع هو الذى يحفظ شخصية الفرد وسلامته الداخلية اى صحته النفسية ٠

واذا به فى سنة ١٩٣٢ ينصح تلاميذه بألا يحددوا الصفات النفسية أو الشخصية للانسان حسب الذكورة أو الانوثة بما فى ذلك صفة السلبية والايجابية التى درج فرويد ومدرسة التحليل النفسى على اعتبار ان الاولى صفة المراة الطبيعية والثانية صفة الرجل الطبيعى ٠

ويكفى بأن فرويد اعترف أخيرا بأن معلوماته عن المراة قليلة جدا وكتب يقول « اذا اردت أن تعرف المزيد عن الانوثة فحاول أن تعرف ذلك من تجاربك فى الحياة ، او اقرأ الشعراء ، أو انتظر حتى يستطيع العلم أن يزودك بمعلومات اكثر عمقا واكثر منطقية »٠

ـ ولقد كان « الفريد أدلر » هو أول طبيب من أطباء علم النفس يرفض أفكار فرويد عن التشريح وعن الفروق التشريحية بين الجنسين ، واول من ينبه الاذهان الى الاسباب الاجتماعية فى الفروق الجنسية والنفسية سواء فى مرحلة الطفولة أو مراحل العمر بعد ذلك ٠

وقد كتب ادلر يقول : « أن الاسباب الاساسية لهذه الظاهرة غير السعيدة فى حياة الاطفال والرجال والنساء ترجع الى الاخطاء فى حضارتنا » ٠

ان ما يميز حضارتنا هو الاضطهاد ، وهذا الاضطهاد يمتد ويؤثر فى جميع نواحى حياتنا ٠٠ ان هذه الاكذوبة بأن المراة جنس أدنى ، وما يقابلها من اكذوبة أخرى بأن الرجل جنس أعلى ، يفسدان على الدوام علاقة المراة بالرجل ويشوهان الانسجام بينهما ٠ وقد نتج عن ذلك حدوث توتر غير طبيعى فى جميع العلاقات الجنسية ، هذا التوتر يهدد ، بل أنه يقضى تماما على اية فرصة للسعادة بين الرجل والمراة ٠

ان جميع اشكال الحب فى حياتنا قـد تسممت ، وشوهت ، وفسدت بذلك التوتر وهذا هو السبب فى اننا من النادر جدا ما نصادف زواجا سعيدا صادقا ٠ وهـذا هو السبب فى ان كثيرا من الاطفال يكبرون ويكبر معهم الشعور بأن الزواج شىء كريه بالغ الصعوبة والخطر ٠ ويكفى أن الاطفال يجبرون على ان يتبعوا ذلك السلوك الشائع وهو الغاء واحتقار الجنس الاخر (النساء) ٠

ولقـد أوضح بعض علماء علم النفس المتنورين فى السنوات الاخـيرة أسباب الاضطرابات النفسية التى يعانى منها الازواج والزوجات ٠ ويسمونها « أمراض الزواج النفسية » واهمها تلك العلاقات السادية الماسوشية التى تتميز بها علاقة الرجل والمرأة الجنسية وغير الجنسية ايضا ٠

ومن العجيب أنه قـد وجـد أن كلا الجنسين يمارسان السادية والماسوشية معا واتضح ان الماسوشية والسادية وجهان لعملة واحـدة ٠ وأن الشـخص السادى لابد أن يكون ماسوشيا أيضا سواء كان ذكرا ام انثى ٠

ولقـد وجـد أنه فى ظـل القانون الجائر للزواج ، ان الازواج والزوجات يصـابون جميعـا بالسادية والماسوشية أو Sadomachasism السادماسوشية وأن هذا المرض النفسى ينتقل الى الاطفال بالطبع منذ أول يوم من ولادتهم ، لانهم يعيشون فى جـو « ساد وماسوشى » ويلقنون عن طريق التربية الخاطئة المبادىء الساد وماسوشية ويصبح الطفل مزدوج الشعور ٠

وهكذا يدور افراد الاسرة الابوية فى دوامة ازدواجية المشاعر ، ويتمزقون (منذ الولادة حتى الممات) بين مشاعر الحب الانسانية العظيمة بينهم ، وبين مشاعر الكراهية المفروضة عليهم اجتماعيا من قانون الزواج الجائر ٠ وحيث أن الزواج هو مصير الناس جميعا ، فان العلاقات بين البشر قـد فسدت وتمزقت بين الحب والكراهية ٠ ولم ينتج عن ذلك سوى ذلك الخلل الانسانى فى العلاقات جميعا سواء على مستوى الافراد أو الجماعات أو الشعوب او الدول ٠

ان جملة ما استعرضناه سالفا ، لا ندعى انه حصرا عاما وشاملا لكافة مظاهر اغتراب المراة ولكننا حاولنا رصد ابرز الظواهر الواضحة التى لاحظناها ، وتلك الظواهر التى رددنا فيها على مدرسة التحليل النفسى وعلى فرويد رائدها بالذات •

ولا شك أن كافة تلك الظواهر تأخذ صفة العمومية ، بمعنى ان المراة فى كافة المجتمعات والمتخلفة منها على وجه الخصوص تشترك فيها ، وتعانى منها ، ولم نحاول ان نخوض فى مدارس أخرى غير مدرسة التحليل النفسى ، لاننا راينا أن شهرة هذه المدرسة وما غرسته فى عقول وأدمغة المراة بصفة خاصة ، وعقول العديد من تلامذة فرويد حتى اليوم بصفة عامة ، قد أصبحت عائقا فى سبيل حصول المراة على حريتها وعلى حق تقرير المصير ، وعلى قدرتها فى التحرر من غربتها ، وأغلال العلاقة التى سلسلت بها ، وهى العلاقة التى استمدت جذورها من المدرسة الراسمالية الذكورية •

وان كان مبحثنا هذا ، وبحثنا بصفة عامة يتحدث عن اغتراب المراة فى المجتمع المصرى ، فاننا نرى ان ما سبق الاشارة اليه ، ما هى الا ظواهر اغتراب أيضا للمراة المصرية بوجه عام •

والان يجدر بنا أن نصل الى صلب المبحث وهو اغتراب المراة المصرية بصفة خاصة ، مكررين أننا لا نغفل ما سبق ان ذكرناه فى هذا المبحث وفى النقاط سالفة الذكر ، عن مظاهر اغتراب المراة بصفة عامة ومنها المراة المصرية • وأن النقاط السابقة تنطبق على المراة المصرية شكلا وموضوعا • سواء فى الحضر ام فى الريف •

ان البعض يتصور خطاءا ، ان قضية المراة فى مجتمعنا قضية جنسية اجتماعية محدودة بحدود الاسرة •

والبعض الاخر يتصور خطاءا أيضا ، أن قضية المراة فى مصر ، ان المراة قد نالت الكثير من حقوقها ، ويضربون مثلا على ذلك بقوانين

الاحوال الشخصية (مثل القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ الخاص بأحكام النفقة وبعض مسائل الاحوال الشخصية معدلا بالقانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩) ٠

وهناك أيضا من يتصور ان قضية المراة فى مصر ، تأتى فى مرتبة أقل أهمية ، بالقياس للمشاكل العامة التى يعانى منها المجتمع وخاصة مشاكلة الاقتصادية ٠

ولعلنا نستطيع ان نقول بثقة ، أن كافة هذه التصورات خاطئة بل وساذجة ٠٠

ذلك انه كما يقول « انجلز » : « أن هناك علاقة وثيقة بين الاضطهاد الجنسى والاضطهاد الاقتصادى » وأوضح ان النشاط الاقتصادى والعلاقات الجنسية (بقاء النوع البشرى أى الزواج) هما الاساس المادى للحياة الاجتماعية البشرية ، وان العامل الحاسم فى التاريخ هو انتاج البشر (العلاقات الجنسية — الزواج) وانتاج وسائل الحياة من طعام وملابس وسكن (النشاط الاقتصادى) وقد وضع « انجلز » انتاج البشر وانتاج وسائل الحياة فى مستوى واحد ٠ اى انه باختصار وضع الاقتصاد والجنس فى مستوى واحد كشرطين أساسيين لتطور المجتمع ٠ كما أنه وضع التحرر الاقتصادى والتحرر الجنسى فى مستوى واحد ايضا كشرطين اساسيين لتحرير المجتمع ٠

ومعنى ذلك فى رايه أن المجتمع الذى لم تتحرر فيه النساء لا يمكن أن يكون مجتمعا حرا عادلا مهما أعطى كذبا للعدالة الاقتصادية للعمال والفلاحين وحررهم من استغلال الاقطاعيين والراسماليين ٠

ونحن لا نخفى أننا منحازون للاشتراكية العلمية منهجا للبحث والدراسة ، ونحن نؤكد الان موافقتنا على كلام « انجلز » جملة وتفصيلا ٠

وبشكل عام فان الاغلبية الساحقة من النساء لازلن اميات كادحات ليل ونهار فى الحقول بلا أجر ، وفى المصانع والمكاتب والمستشفيات والمدارس

والبيوت ، يعملن ضعف الساعات التى يعملها الرجل بسبب الجمع بين العمل داخل البيت وخارجه ، ويعشن فى ظروف اقتصادية واجتماعية سيئة ، خاضعات بحكم الطاعة لسلطة الزوج ، محكومات داخل الاسرة وخارجها بالتقاليد العتيقة والقيم البالية الاخلاقية المزدوجة التى تحد من حرية المراة وتشد من اغلالها ، وفوضى الرجال الجنسية ، وتعدد الزوجات والطلاق بغير سبب ومآسى العذرية والشرف والختان ... الخ .

ولا شك أن مشاكل المرأة المصرية تختلف باختلاف طبقتها الاجتماعية ، وتزيد المشاكل والمآسى كلما هبطت المراة فى السلم الاجتماعى ، الا أن هناك ماساة مشتركة تشترك فيها جميع النساء وهى ماساة الزواج والطلاق والازدواجية الاخلاقية .

وسوف نعدد بعض مظاهر اغتراب المراة المصرية فى المجتمع المصرى ، وسوف نرد ونفند اى دعاوى تدعى كذبا حصول المرأة على حريتها فى المجتمع المصرى .

كما أننا سوف نستعرض ونستعين الان ببعض الجرائد والدوريات المؤثرة على الراى العام لنرى كم هى مضطهدة ومغتربة المراة فى الواقع المصرى .

اولا – امراة المدينة او الحضر :

– تتعلم المرأة المصرية ، منذ ولادتها ، وتسمع دائما كلمات العيب والحرام ، ويضعون فى أدمغتها أن العفة والشرف مرتبطان بغشاء البكاره ، وأن البنت يجب أن تكون خجولة ... الخ .

هذه التربية التى تعلمتها كل بنت مصرية خاصة فى الاسر الفقيرة والبرجوازية الصغيرة ،مبعثها تلك الاضحوكة المسماة : نحن أبناء مجتمع شرقى ونحن بلد اسلامى ونحن حامين لحمى الشرف !

وتنشا البنت المصرية مشوهة غير قادرة على فهم شىء مما يدور حولها ، تنفذ – فى معظم الاحيان – ما علمتها الاسرة وما علمها المجتمع .. دون أن

تفهم شيئا ، وان فهمت ولم تقتنع علموها ان تكبت أحاسيسها ومداركها وعقلها·

ورغم ذلك كم هى تعانى من الاغتراب وسط التنشأة سالفة الذكر ، ووسط تخبط المجتمع الاستهلاكى المصرى الذى تحيا فيه :

– هى تربت على الشرف والعفة والخجل والعيب والحرام ، وامامها وهى فى منزلها أو لو اسعدها الحظ بالذهاب الى السينما مثلا ، وهى تسمع الاذاعة ايضا بالاضافة الى الاذاعة المرئية كما سبق أن أشرنا · ظاهرة انتشار الافلام الجنسية الصارخة الصريحة وذات الايحاءات التى تدرك لاى بنت خرجت من الطفولة المبكرة تلك الافلام الممتلئة بالاثارة والمزودة بمساحات عظيمة من العرى الجسدى والتأوهات ·

– وأيضا غزو السوق بالمستحضرات والبضائع الجنسية المثيرة ، التى تدرك البنت على الفور أى هوة وقعت فيها وسط هذا السوق ووسط ما سمعته وتعلمته زيفا ونفاقا فى اسرتها ·

– ومن خلال دراسة صفحات المراة فى صحيفتى الاهرام والاخبار خلال أعوام الستينات والسبعينات ومجلة حواء خلال السبعينات لاحظت الباحثة الدكتورة/عواطف عبد الرحمن فى بحثها : (الصحافة ودور المراة المصرية فى التنمية خلال الستينات والسبعينات) ، أن صحيفة مثل الاخبار انفردت باستخدام تعبيرات ومصطلحات غريبة على المجتمع النسائى المصرى مثل (البيبى دول) (البونى سكس) (المايوهات المبطنة) ، وبالنسبة لمجلة حواء فان ٨٥٪ من محتويات العدد الاسبوعى تتضمن موضوعات تدور حول الجمال والمكياج والمنزل والمطبخ والتطريز واعلانات عن سلع كمالية أجنبية فى أغلب الاحيان ·

– لو رصدنا الثلاث ظواهر السابقة ، فاننا نخرج بنتيجة واحدة ، أو بسؤال واحد لمن هذه الافلام · لمن الاثاره · لمن المستحضرات الجمالية · لمن الاعلانات عن السلع الكمالية ·· لمن · ولمن · ؟

الاجابة الوحيدة أن تلك الاثارات والمستحضرات والاعلانات لشريحة واحدة من نساء المجتمع شريحة من شرائح البرجوازية الكبيرة التى سوف نتناولها بالتفصيل قبل نهاية البحث · ولكننا نتحدث عن الـ ٨٥٪ من نساء أو أناث مصر الفقيرات ·

ان ما تقدمه أجهزة الاعلام من صحافة واذاعة مرئية وسينما ومسرح اى (المجتمع) تعمل بكل جهدها على تثبيت الصورة التقليدية للمراة كانثى فضلا عن استثارة التطلعات الاستهلاكية الباهظة لدى القارئات الفقيرات ، ولدى الاميات اللاتى ينقل اليهن حديث الصحافة ·

انه مزيد من الاغتراب الواقع فوق كاهل المراة المصرية ، ومزيد من انفصام الشخصية المقنعة ، وهى تحلم وتتمرد على واقعها فى داخلها ، هى تتمنى ولكنها تتخبط ، هى تريد ولكن الواقع يقمعها : سواء بتربيتها او بنمطها الفقير استهلاكيا واقتصاديا مزيد من القهر والبؤس الواقعين عليها · ومزيد من العلم الخاطىء لاساسيات الحياة : مثل الحب ، والجنس ·

ـ كم هو بشع وتخلف واحتقار للانسان ، أن لا يدرس للبنت فى المدرسة مادة تحدثها عن الجنس ، بل أن هناك الان درسا من دروس « الاحياء » لا يتجاوز عشر صفحات سواء فى الاعدادى او الثانوى ، لا يجرؤ مدرس أو مدرسة على تدريسه للبنات ويستغنى عن أسئلته فى نظام الامتحانات البغيض لدينا ، وكم هو بشع وتخلف ان لا يجرؤ أب أو أم ، أن تجيب صغيرتها على سؤال : « انا جيت ازاى يا ماما أو يا بابا » · وكم هو مضحك أن تكون الاجابة ـ هذا اذا لم نضرب البنت لمجرد هذا السؤال ـ « وجدناك فى صفيحة الزبالة » ، « وجدناك على الباب » ، « ربنا جابك » ··· الخ ·

وتخرج البنت للحياة سواء فى العمل أو المدرسة أو من خلال حديثها مع صديقاتها ـ ان جاز التعبير ـ لتكتشف من اين جاءت ، وتحلم البنت الحلم المرضى ، حلم اليقظة أن تنجب هى الاخرى ، حلم بالجنس مرضى لانه جاء بطريق خفى لانه محظور ومحرم أن تسمع أو تتحدث عن الجنس ·

مزيد من الاغتراب ، هى تعلم ، وهى تكبت ما تعلمه ، لانها لابد ان تكون خجـــــولة ·

ـ شيء آخر عجيب ، فى الواقع المصرى كم بنت تستطيع أن تقول لمن تريده **أنا أحبك** قبل ان يقولها هو ؟ ·· أولا هى لا تعرف بدءا ذى بدا ما معنى الحب ، ولكنها اذا اردنا ان ننصفها بشدة قلنا انها تميل فقط اليه · ثانيا : حتى هـذا الميل او الشعور المجهول لديها التى تسميه حبـا ، قـد تربت وتعلمت ان يبدأ الرجل هـو بأن يقول لهـا ذلك ، لانه البادىء بكل شىء ·

ورغم ذلك تعلمها امها والمجتمع ان تفتن الرجل ، أن تثيره أن تجعـــله يشعر بها ككائن للامتاع فقط دون أن تتعلم لمـــاذا تفتن الرجل وتثيره ! ، الا **لشىء واحـد ان « يقع » اى يتزوجها ، أى لان الزواج « ستر من الله »** ·

كم هـو بشع أن تحيا المرأة المصرية دون حق أن تعرف معانى مشاعرها لـماذا تحب ؟ ولـماذا تكره ؟ دون أن تعبر حتى عن أحاسيسها · كم هـو اغتراب مميت ان تحس وتشعر دون أن تقـول ، ان تظل صامته ، ليتحـدث جسدها ·

وانا كباحث ادرك وأعلم جيدا منذ أن وعيت على الاهتمام بقضايا المجتمع ، أنه حتى الكثيرين من المرتبطين معا أمام المجتمع ، لا تستطيع البنت ان تقول أو أن تعبر عن احاسيسها ·

ذلك أنها قـد تلعمت أن تكون « تقيله » وأن لا ترخص نفسها ·

كم هـو بشـع منحط وقـذر ، ن تسمى المرأة او البنت التى تعبر عن احاسيسها أنها رخيصة · مزيد من الكبت والاغتراب ·

ـ ان الامثلة الشعبية المصرية ، لم تنزل كالصاعقة علينا ، ولكنها تراث وتاريخ ·

المثل الشعبى = مجموع ما تعلمناه وتربينا عليه = ترجمة للواقع

ولعلى استعين ببعض تلك الامثلة جمعها الدكتور « سيد عويس » فى كتابه (حديث عن المراة المصرية المعاصرة « دراسة ثقافية اجتماعية ») ·

هناك مثل شعبى يقول : « مالت لك مالت لغيرك » ·

لندرس معا ترجمة هذا المثل الشعبى المتداول · انه يقول صراحة : حاذر ايها الرجل السيد من المراة التى تهواك وتحبك (هذا ان عرفت المراة ما معنى الحب ·· أنا اكرر ذلك) ، ولتشك فيها وترتاب منها فهى متى مالت اليك ، احبتك ، فقد أحبت غيرك ·

هكذا يغرس المجتمع فى ذهن الرجل ، مدى ضآلة وحقارة المرأة ، وانه يجب أن يتجه الى المراة التى لا تعبر ناحيته عن عواطفها واحاسيسها ·

ومن ناحية اخرى ينكر المجتمع على المراة أن تحب من قبل زوجها ، أى ينكر عليها حريتها فى أن تمارس التجربة وان تتعلم منها ، أى ينكر أننا جميعا ابناء التجربة ·

ولذلك نجد ان معظم من خضن تجارب علاقات من قبل ، لا يمكن أن يصرحن بها لازواجهن ، فهكذا علمهن المجتمع ، أن الزوج هو مثل الرب المحاسب على الماضى والحاضر ·

مزيد من الاغتراب وتحقير شأن المراة فى المجتمع المصرى ·

ان هذا المظهر أيضا ليعبر بوضوح وجلاء عن مدى ما غرسه المجتمع الذكورى فى عقلية الرجل من فقدانه للثقة فى المراة ومعاملتها ككائن ناقص وعضو مراقب ومشكوك فيه ، وما غرسه أيضا بالتالى فى عقلية المراة من كونها عضو عليه أن يقبل ما هو فيه ، حتى لو حقرها الاخرون وشككوا فيها ·

بل انه من المؤسف ومن المأساة ان تردد المراة نفسها مثل هـذه الامثلة الشعبية التى تعبر عن احتقار المجتمع لها ، ولكنها كما قلنا من قبل تحيـــا باحساس العبيد والمقهورين ، وهؤلاء يجـدون لذة فى استعذاب الالم ٠

ـ ولنعـدد أيضا مظاهر اغتراب واحتقار المراة فى المجتمع المصرى ، ٠٠ لقـد اصبح من ابشع التهم التى يمكن ان توجـه الى رجـل ان يقال له « انت امراة » .. انها سبة فى جبينه ، ووصمة عار أن يتهم بانه امراة .

ـ تلك نظرة المجتمع للمراة وتلك تعاليم وتربية المجتمع الذكورى للرجل ايضا ، ان يفزع وأن يهب للدفاع عن كرامته لمجرد انه اتهم بانه امراة ٠

تلك تعاليم المجتمع ، وتلك قيمه ، وهـذه هى مبادئه التى يغرسها فى نفوس أبنائه ، خاصة تلك المـاسوف عليها المراة ٠

ـ ولقـد بات من الشائع والمعروف انه اذا أراد رجل أن يحقر آخر ، سبه وشتمه بأعضاء أمه التناسلية ، ولم نسمع على الاطلاق أن رجلا شتم آخر او سبه ، بأعضاء أبيه الذكرية ٠٠ ان هـذا المظهر يوضح بجلاء أيضا شيئين : ان اعضاء الرجل الجنسية مقـدسة ولهـا قيمتها ، أما أعضاء الانثى التناسلية فهى تحظى بحقارة متناهية والشىء الثانى : أن اعضاء الانثى التناسلية هى وصمة عكس أعضاء الرجل ٠

فى ذلك المظهر نجـد أن المجتمع قـد ربى صغاره وكباره من الرجال على الاستخفاف بالمراة وقـد تشعر المراة وتسمع ذلك كل يوم خاصة فى الاحيـاء الفقيرة التى اسموها شعبية ، وقـد تضحك وقـد تفعل أى شىء ، بل قـد تردد نفس الالفاظ ، وقـد تفعـل اى شىء ، عـدا شىء واحـد : أن تمتعض مـن الاستخفاف بها واستباحة جسدها بأجزائه المختلفة ٠

انها تفعل ذلك بوعى ، ذلك انها قد تربت على أنها « درجة ثانية » فى المجتمع وقـد تعودت الاغتراب وتعودت احتقار شأنها ٠

ـ انه من المفزع أيضا ، ان تفصل البنت عن الولد ، عقب بلوغهـــا مباشرة ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، نجـد أن هناك مدارس ابتدائية مشتركة أو باتت معظم المدارس الابتدائية مشتركة ، ولكن كم مدرسة اعـدادية مشتركة نحن بعـد ملاحظة متأنية لم نجـد ذلك الا فى بعض القرى التى لا توجـد بهـا اماكن تصلح كمدارس او لضآلة عـدد المدارس ، ولو حـدث ذلك ، فممنوع منعا باتا ان يجلس الطالب الاعـدادى بجـوار زميلته بل البنات فى صف ، والاولاد فى صـف آخر ٠

حتى عندما خطط المجتمع اشتراك البنات والاولاد فى المدرسة معا ، كان ذلك للضرورة القصوى لعـدم وجـود امكانيات لبناء مدرسة بنين ومدرسة بنات ٠

رعب ولده المجتمع فى نفس البنت ، حتى أنها لو قابلت زميلها الذى كان معها فى المدرسة الابتدائية فهى لا تكلمه فور انتقالها الى المرحلة الاعـدادية حتى لا يقال عنها متفسخة ٠

وهـذا يحـدث فى نطاق المنزل الواحـد أو الحى ، فنجـد الصبية فى الطفولة المبكرة يلعبون معا ، ومتى بدأت البنت فى البلوغ امتنعت تماما من الحـديث مع صـديق طفولتها لان ذلك « عيب » من وجهة نظر المجتمع ٠ واذا حـدث ذلك فيكون فى الخفاء فى الظلام وبعيدا عن عيون الناس والمجتمع ٠

ان ما يغرسه هنا المجتمع فى نفس البنت انها كائن محظور عليه تماما ان يتعامل مع الرجل وهـذه صفة أو احـدى صفات العفة والشرف ٠ وتتصـنع البنت الخجل والحياء متى قابلت رجلا أو زميل طفولة ٠٠٠ انها صفة الانوثة ٠

هكذا يربى المجتمع الجيل الجـديد على العقـد النفسية ، والبعـد عن مواجهة الواقع ، ويدفع البنت دفعا الى التوارى والرجوع خطوتين للوراء ومعها المجتمع كله ٠ مزيد من الكبت والاغتراب تعانى منه المراة فى المدرسة والمنزل والحـــى ٠

– ان الرجل المصرى ، الذى علمه المجتمع ان تكون المراة متاعا فقط ، واستسلمت المرأة الى ذلك ، يعامل المرأة معاملة اقـل ما توصف به هـو الاحتقار ذاته ، ان سوء المعاملة هى سمة وظاهرة فى معاملة الرجل للمراة ، وذلك بالقياس للمنطق العلمى الصحيح الذى ندافـع عنه وهـو أن المرأة كائن مساوى للرجـل تمـاما ٠

انه يكتب الازجال والاشعار فى تعـديد صفاتها الخسيسة ويحـكى القصص والروايات عن ذلك ، ويظهر ذلك فعلا وعملا ، ويستخدم اشـارات اليد والاصابع والوجـه للدلالة على ذلك ايضا ، حتى عبارات غزله ومعاكسته للمرأة تبدو سافلة منحطة ، قـدر تقييمه للمرأة ٠

ولنستعين بالدكتور/سيد عويس وهـو ينقل لنا احـدى المواويل الشهيرة التى يتغنى بها العديد من الرجال سواء فى الريف او الحضر :

« كيـد النسا كيـد او ابـو زيد يميـل منهم
لو عنتر بن شداد ليشوف العـذاب منهم
لهم فعـل بطـال زالت الجبـال منهم
الواحـدة منهم فى كل بلـوة تلقـاها
قاعـده تقلب فتن لاجـل الخراب والشر
وتكره الطيبه وفى الرديه تلقـاها
ومطـاوعه ابليس على فعـل النكد والشر
وكل سـيره مـع الخاليـق تلقاها
هم النسا على الدوام وجودهم اساس الشر
والعقل لـو غاب يكون السبب منهم »

ان تلك التعبيرات التلقائية ، هى فى حد ذاتها فلسفة فكرة الرجل المصرى عن المراة ، وهذا ما تسمعه المرأة ، وهذا من كثرة سماعه يصبح شيئا أساسيا فى حياتها وفى فكرتها عن نفسها واحساسها بكونها هى هكذا ، كائن قابل لان يتغنى الناس عنه (مجتمع الذكورة) بصفات مرضية ·

وهكذا تحيا المرأة المصرية تحت اقصى شروط الاغتراب ·قبولها بالامر الواقع حتى لو كان الحط من شأنها هو ذلك الامر الواقع ·

وعلى صعيد آخر ، نجد ان الرجل يهوى المرأة ويعشقها ، وقد يبدو ذلك متناقضا مع ما قلناه سابقا ، ولكن ليس فى الامر تناقض على الاطلاق ، فكلمات الغزل التى يكتبها الرجال فى المراة وحديث الاغانى عن الحب والهجران واللوعة من ألم فراق المراة ، والظاهرة التى باتت شائعة وهى الكتابه على العربات (الاجره ــ النقل) وهى أجهزة اعلام متنقلة (كما يقول الدكتور/ سيد عويس) والتى تتحدث عن الغزل ومناجاة المرأة ·· ليست كلها الا مظهرا لشىء واحد ، هو أن الرجل لا زال ينظر الى المراة على انها متاعا وفقط ، ولعلها أن ان تكون متاعه الوحيد المرموق ·

والمرأة راضية بذلك ، بل تفتن بذلك ، هذا الامر المرضى الذى نشأ وتولد عندها منذ أن وعت الحياة ، ومنذ ان تعلمت أن تتكيف مع اغترابها واضطهادها تحت ظروف التربية الذكورية ووسط علاقات الانتاج الراسمالى فى المجتمع الاستهلاكى الذى ثقافته الوحيدة هى تغييب الادمغة · لافراد المجتمع كله ، وعلى الاخص المراة ·

ــ ونلاحظ ظاهرة أخرى جديرة بالبحث ·· نلاحظ ذلك الاهتمام البالغ بانجاب الاطفال ، نلاحظ ذلك اليوم الان فى المجتمع المصرى خاصة فى محيط الاسر الفقيرة والبرجوازية الصغيرة ، عندما يتزوج أحدهم ومرت فترة ولم ينجب ، نلاحظ التساؤلات من الاقارب المقربين وغير المقربين ومن الغرباء عن هذا الحدث المتوقع ترى هؤلاء جميعا يتساءلون السؤال التقليدى « مافيش

حاجـة جيا فى السكة ، ولا يعتبر احـد هـذا السؤال فضولى او امرا معيبا ٠ لسبب واحـد هـو أن الزواج كما علم المجتمع أبناؤه هو من اجل الانجـاب بالدرجة الاولى ، وخاصة بالنسبة للمراة فهو عنوان ودليل دامغ على أنوثتها ٠ فما هى المراة فى نظرهم ؟ لا شئ سوى جسد ممتع تبذر فيه بذرة لينشـأ جنين ، وليوضع على صـدر الام لترضعه ، وهى ممتلئة بالنشوة ٠

ـ بصرف النظر عن احساس ألامومة ـ لانها قـد عملت ما عليها وحققت رسوخها فى المجتمع بالانجاب ٠

أى معاناه تعانيها المرأة التى لم تنجب أنها تشعر بالنظرات والتساؤلات من حولها ، تحاصرها وتشعر فى أعماقها بشعوز بفقـدان شئ ، بشئ من النقص دون أن يعرفوا أى حقائق عن سبب عـدم الانجاب هـذا ٠

لان المجتمع قـد حـدد لهـا صورتها ووضعها ومكانتها بكونها آلة حمـل وولادة وامتـاع ٠

مزيدا من الاغتراب للمرأة المصرية ، ومزيد من العقد النفسية ، وسوء التكيف مع المجتمع ٠

ـ ولنعود مرة أخرى للامثال الشعبية ، للتراث ، لثقافة المجتمـع للرأسمالية الذكورية القاهرة بالضرورة للمرأة ، حيث يقول المثل الشعبى :

« سيدى وسيد أجـدادى اللى يشيل همى وهم ولادى »

تقوله المرأة ، ترددم ، الرجل هو السيد ، هو سيدها ، وسيد أجـدادها ، هو عالمها ، لانه هو فى النهاية ، سواء كانت عاملة أو غير عاملة ، هو المسئول عنها وعن ابنائها اقتصاديا ٠

وكما قلنا أن المثل الشعبى ما هــو الا ترجمة عن واقع ، فهــذا هو واقع النساء اليوم معظم النساء — انها كائن مطيع هادىء وديع ، حتى — وهـــو دائما كذلك — لو كان تمثيلا من أجل ارضاء الزوج ليهب المرأة حق الحياة ، وحق أن تتمتع بالشرف حين تنتسب اليه مهما كان ٠

اليس ذلك اقسى مرارة ، من الظواهر العامة التى عـددناها فى بداية البحث من قبل ، وكم هى مغتربة تلك المرأة المصرية عن واقعها وكم هى مضطهدة٠ كم هى قـد تعلمت كيف تتكيف مع هــذا الاغتراب والاضطهاد ٠

— ولنستمر فى الامثال الشعبية أيضا ، لنوضح ظاهرة أخرى باتت غاية فى الخطورة والالم ٠

يقول المثل الشعبى : —

« سمى ابنك (شحات) ولا (خيشه) ولا (شمردل) عشان يعيش »

اى انعــدام للثقافة العامة تعانى منه المرأة ، خاصة وان نسبة الامية التى تعانى منها المرأة فى الحضر والريف على السواء : كبيرة ، أن الحياة ترتبط عندها بالاسم ولا تفهم معنى أن للخلايا فى الجسم مدة محــدودة بعــدها يفقد الانسـان الحياة بعــد توقف تلك الخــلايا ٠

انها أمية تعليميا ، وان لم تكن كذلك فهى أمية ثقافيا ، تتحكم فيهـــا عادات وتقاليد متوارثة ، فلا تخلو أسرة من عادات « السبوع » مثلا ٠٠ تلك العادات والتقاليد المحفورة فى ذهنها والتى تحيا معها وتدفعها دفعا للتخلف ٠

— ويشارك المجتمع وبقصد ، وبشكل مقصود ، فى ذلك من أجــل مزيد من التخلف للمرأة ، وبالتالى مزيد من العجز والاغتراب لهــا ٠

ـ وحتى الزواج نفسه ، يتم من أجل أسباب عـديدة فى المجتمع المصرى من اهمهـــا :

ـ لتشعر الزوجة بالاستقلال وتبدأ حياة الانوثة (الحياة الكاملة المحترمة فى نظر المجتمع) • ويقول المثل الشعبى : « قعدتى بين اعتابى (اى منزل الاسرة التناسلية) ولا قعـدتى عند احبابى » أى أعضاء الاسرة التوجيهية (وضـل راجل ولا ضـل حيطة) • أى ان العامل الثقافى هنا هو ما يتعلق بقيمة ستر (عرض الفتاة البكر) وبقيمة تجنب (بوارها) أى أن لا تكون (عانس) • ذلك هـو فقط المعيار الثقافى للزواج فى اغلب الزيجات •

ـ وايضا لتشعر الزوجة وليشعر أهلها أنه قد خف عنهم عبء مصاريفها، فهى فى (كنف رجل) • أى ان المحرك للزواج هو عامل اقتصادى أيضا نكرره وهـو رفع العبء الاقتصادى من على كاهل (الاسرة التوجيهة) •

ولعله مما يؤكد اهتمام المجتمع المصرى بالزواج بهـذا الشكل الداعر ، هـو ما يملأ مناخه الثقافى الاجتماعى من الخرافات المتعلقة بالزواج • ويجـدر بنا أن نلاحظ أن مفهوم الخرافة قـد يعنى لغة (الحـديث المستملح من الكذب) ويقصد بهـذا المفهوم فبساطة ، الايمان الفاسد ، وهو ضـد الايمان الصادق ، بالمبادىء والمثل والقيم • وهو كما يقول الاستاذ/السيد سابق (ويلاحظ أن مفهوم الخرافة قـد يعنى فى ضوء مفهوم « العلم » ان يستند الشخص منا الى الاسباب غير الطبيعية لتفسير أو حـل مشكلات طبيعية ، فيعزوها الى علل غير صحيحة أو غيبية لا يستطيع تحـديدها أو التحكم فيها) •

وفى ضوء المناخ الثقافى العام للمجتمع المصرى ، ولتربيته لابنائه ، نلاحظ العـديد من هـذه للخرافات التى تتعلق بالزواج مثل :

ـ اللى تقرص العروسة ليلة دخلتها تحصلها فى جمعتها •

ـ فى كتب الكتاب اذا انحطت حتة سكر تحت لسان العروسة وبعـدها اتحطت فى كوباية وشربها العريس يتفقوا مع بعض •

ـ عروسة الاثنين يزورها الحسن والحسين ·

ـ الست اللى جوزها يخس ويعيا يبقى فخـدها مالح ·

ـ رش الملح فى زفة العروسة يمنع الحسد والعين ·

ـ الست اللى تاخـد فردة جزمة من واحـدة تانية تاخـد كمان عريسها او (جـوزها) ·

ـ البت اللى تبص فى المرايه بالليل تبور اى (لا تتزوج) ·

واذا عـددنا مثل هـذه الخرافات واستطردنا فيها فاننا لن ننتهى :

اى رعب وخوف يسيطر على عقلية المراة ، وأى احتقار وجهالة تحياها ، حيث تتحكم فيها مثل هـذه الخرافات وتسير حياتها ·

وخاصة تلك الاحياء الفقيرة جـدا ، التى لا يمكن أن تعثر فيها على مفهوم أو فكرة عن الحب والزواج ، وقـد جربنا ذلك وعانينا الكثير من أجل الحصول على استمارة جمع معلومات منهن ·

وقـد تخرج فقط بفكرتهن عن حياتهن المتخلفة (لقمـــة القوت ودفس القرموط) !! أى حياة يحياها هؤلاء البشر من النساء ، اى استكانة ومهانة وغربة عن المجتمع يحيون فيها ، تسير حياتهم ألاقدار والخزعبلات والخرافات· ولا شيء أسمه علم أو ثقافـة ·

انه ابشع مظهر فى رأينا من مظاهر اغتراب المراة المصرية ، ألا وهـــو سيطرة الخرافات عليها الى حـد بعيد يكاد يكون المحرك الاساسى لحياتها ·

ـ هـذا ما يدفع المراة لعرض نفسها فى سوق الزواج ، الحى الفقير والمتوسط ، تفعل فيه المرأة كل ما يحط من شأنها من أجل لفت نظر الفتيان الذين

فى سن الزواج . اذا كانت تلبس فستانا فهى تفعل ذلك واذا كانت تلبس ملاءة سوداء أو منديل راس (ابو أوية) فهى تفعل ذلك . ان تلك الملابس لا يخفى على أى ملاحظ متانى أنها صممت خصيصا من اجل الاثارة الجنسية ، انها تظهر ما بطن وان تبطن ما ظهر . ليس من اجل شىء سوى الزواج .. سوى الستر !

– ومن الملاحظ فى أوساط الاسر الفقيرة والبرجوازية الصغيرة ، عدم وضوح الرؤيا عن الحب لدى المراة فيها على الاطلاق (وسوف يتضح ذلك عندما نبحث الاستمارات المستعان بها فى هذا البحث) وهم يخلطون بين مفهوم الصداقة والحب . والحب والرغبة فى الجنس . ولكنهن بصفة عامة لا يعرفن شيئا عن الحب كمفهوم انسانى راقى ، رغم امانيهن بالحب والموافقة عليه .

ومن العجيب ان المراة تدرك ذلك ، تدرك ان ما تحيــــاه (فى الاسرة التناسلية) معظم الاسر – ليس حبا ولذلك تقول « الحدوتة الشعبية » :

(الستات طلبوا من ربنا انه ياذن لهم بتعدد الازواج زى الرجالة ، وكتبوا جواب ربطوه فى رجل غراب عشان يجيب لهم الرد من عند ربنا .. وكل ما سمعوا غراب بيزعق يقولوا خير لانهم بيفتكروا ان الغراب جايب لهم الرد) ولعل الحدوته هنا توضح لنا بجلاء كامل مدى حلم المراة بحريتها ، وبرفض ما هو مفروض عليها . اى رفض غربتها ، ورفضها لما يتمتع به الرجل اكثر منها من حرية .

ولعل ما عددناه سابقا من المظاهر التى تعانى منها المرأة والتى تسبب لها القهر والغربة عن مجتمعها ، ليست على سبيل الحصر ، بقدر ما هى ظواهر بادية للعيان وواضحة .

ونحن قد حاولنا فى الظواهر التى رصدناها حتى الان فى موضوع اغتراب المراة فى المجتمع المصرى ، أن نؤكد على مفهومين :

المفهـــوم الاول :

هـو احساس المراة بالاغتراب فى مجتمعها ، ورغم احساسها بذلك ، الا انها تحاول التكيف الكاذب مع المجتمع ، لاحساسها بالقهر المتواصل .

المفهـــوم الثانى :

ان ما يتعلق بمفهوم الرجل المصرى عن المرأة ، هـو مجموعة من الانحرافات الفكرية والامية الثقافية التى تنسج فى مخـه شبكة من التقاليد والعادات والتربية الخاطئة تشبه شبكة نسجها عنكبوت . ويبدو ذلك واضحا فى كل ما صورناه وعـددناه عن مفاهيم الرجل عن المرأة .

ولعل أبرز ما يوضح دور المجتمع المصرى الذكورى المتخلف فى نظرته للمرأة ، وانعكاس علاقات انتاجه الرأسمالية الاستهلاكية ، فى تركيز المفهوم الثانى لدى الرجل ، هـو العمل بكل الوسائل على الاتجار بالمرأة عن طريق تكوينها البيولوجى وقـد نجـد ذلك فى الاعلانات والدعاية للافلام ، وفى الدعاية عن الروائح العطرية وعن « أحمر الشفاة » وحتى الاعلان عن شراب «الكوكاكولا» ونجـد هـذه الاعلانات فى الجريدة اليومية ، وفى الصفحة الاولى للمجـــلة الاسبوعية ، وعلى الشاشة الكبيرة والصغيرة ، ويتفنن الاعلان ومصمموه وموجهى الثقافة فى مصر وهم من الرجال ومعظمهم متخلف فى رؤيته للمرأة ، فنجدهم يتملقون شهوات الرجال ، فيرسموا جسد المراة ، بدون اى قداسة هى حق لهـا ، عاريا مره ، او شبه عارى مرة أخرى أو يرسموا جزءا مثيرا من أجزائه عـديد من المرات .

وهم اذ يفعلون ذلك يروجون لبضاعتهم عن طريق الترويج لجســــد المراة ذاته دونما حياء ، او احترام لذلك الجسد .

وقبل أن ننهى الجزء المتعلق بالمدينة او الحضر والمراة التى تحيا فيها ، لابد من الاشارة الى مظاهر غاية فى الخطورة فى المجتمع .

الا وهو البغاء .. ان البغاء فى حد ذاته عامل اغتراب لشريحة كبيرة من النساء بصرف النظر عن أصولهن الاجتماعية . ولقد وجد الباحث أن الدافع الى البغاء عند معظم هؤلاء النساء قد يكون دافع اقتصادى ، او محاولة انجرار وراء مزيد من المال فى مجتمع استهلاكى ، ولكن السبب الرئيسى هو عدم ايمان المراة بنفسها واحتقارها للمجتمع وتصورها انها تفعل شىء مشروع ما دام المجتمع كله « شيلنى وشيلك » كما قالت لنا احدى هؤلاء السيدات . هو احساسها بالغربة عن المجتمع ومحاولة انتقام من الرجل غير ظاهرة .

وكانت هذه الظاهرة معترف بها (البغاء) حتى عام ١٩٤٩ ، وعلى الرغم من الغاء البغاء العلنى ، الا أنه لم ينتهى بل حل محله البغاء السرى ، وأحيانا شبه العلنى فى الكباريهات والملاهى الليلية والفنادق وغيرها .

ولعل الاحصائية توضح مدى المهزلة التى يحياها هذا المجتمع ونساؤه على وجه الخصوص ، فقبل البغاء العلنى أى قبل ١٩٤٩ كانت عدد البغايا حوالى ٥٠٠ بغى فى مدينة القاهرة مثلا ، بينما ارتفع عدد مرات القبض على البغايا فى خلال عام واحد (١٩ اكتوبر ١٩٥٧ ــ ١٨ اكتوبر ١٩٥٨) حوالى ٢٣٢٩ مره ، وكان عدد البغايا المقبوض عليهن خلال نفس العام ١٠٥٥ بغايا . اى أن عدد البغايا المعروفات للشرطة فى مدينة القاهرة وحدها قد تضاعف فى اقل من عشر سنوات . ويلاحظ أن هذا العدد يمثل الحالات المنظورة فحسب . ولا يخفى على احد أن هناك المئات غير المعروفات للشرطة والمتستر عليهن . هذا فى القاهرة وحدها . فما بالك بالجمهورية ومدنها ، وباحصائيات ١٩٨٠ ــ ١٩٨١ التى لم نتمكن من العصور عليها حتى الان .

ان المراة التى تشترى ما هى الا سلعة ، والسلعة عندما تكون جسدية ، اى انسان ، فاى غربة يحياها واى مجتمع ذلك الذى تحيا فيه المراة .

هكذا نكون قد حاولنا رصد ابرز الظواهر التى استطعنا ملاحظتها ، فى اغتراب المراة فى المدينة أو الحضر .

ثانيا – المرأة فى الريف المصرى :

نبدأ حديثنا الان بما تقوله الدكتور/سامية الساعاتى أستاذة علم الاجتماع المساعدة بجامعة عين شمس (فى الندوة عن الفلاحات) المنشورة فى العدد ١٣٠٢ بتاريخ الخميس ١٨ ديسمبر ١٩٨٠ فى مجلة صباح الخير ، حيث تؤكد فى بحثها : (على أن الاوضاع وأساليب المعيشة فى الثقافة الريفية هى التى تحدد نماذج السلوك وتعين القيم المتصلة بها ، فالثقافة الريفية لا ترضى عن الزوج الا اذا كان مسيطرا على زوجته وسيدا لها ، فالزوج فى علاقته مع زوجته ، لابد أن يظهر البرود واللامبالاة ، والاستخفاف بأرائها ، وعدم الاستماع اليها ، أما الزوجة فعليها ان تخدم زوجها وتحترمه وتطيعه ولا ترد الاهانة · بل أنه من الامور التى تعيب الرجل أن يكون لزوجته أى تاثير عليه أو نفوذ من أى نوع ، ولكن هناك علاقة موجبة بين عدد الصبيان الذين تنجبهم الزوجة وبين سيطرتها · فكلما زاد عدد الصبيان الذين تنجبهم الزوجة زاد احتمال سيطرتها فى الاسرة ، فالذكور هم اليد العاملة والجلابة للرزق والخير ، وانهم مصدر طمانينة الاسرة على ممتلكاتها وتخليد أسمها وحماية نسائها والدفاع عن شرفها ، فالذكور كما يقول المثل « يا خدوا التار وينقوا العار » كذلك فالريفيون يجدون فى تربية الذكر أسهل بكثير من تربية الانثى · فالبنت كانثى ترتبط فى أذهانهم بفكرة احتمال جلب العار لاهلها اذا هى فرطت فى عرضها ، لذلك فخلف الانثى « هم بالليل والنهار » أو كما يقول المثل الشعبى « يا مخلفة البنات يا شايله الهم للممات » ·

هكذا نبدأ ، حين تتحدث الدكتور الفاضلة ، عن قضية الفلاحة المصرية التى تشكل ٨٠٪ فأكثر من نساء مصر ·

– الفلاحة المصرية التى تعانى من شطف العيش فى بيوت من الطين وعليها ان تخرج كل يوم مع شروق كل شمس لتعمل وسط الروث والبهائم لتعود الى بيتها طاحنة وخابزة وخادمة فى منزل الزوجية ، تلك الفلاحة المصرية ، التى سحقت شخصيتها عن طريق الرجل سيدها الذى يستطيع أن يتزوج عليها

ويطلقها ويعتبرها رغم عملها المضنى فى اليوم وكل يوم ، مخلوق أو كائن لا معنى له سوى انجاب الاطفال ٠

ـ الفلاحة المصرية التى هى فى الاساس منتجة تعامل من قبل زوجها على أنها مستهلكة وفقط ولذلك تقبل الاهانة وتقبل الاستغلال من زوجها ٠

ـ الفلاحة المصرية التى يمكن ان تطلق من زوجها اذا لم تنجب له الولد ، وتعتبر منبوذة فى كثير من الاحيان ، لو اتت بالانثى ، مع أن الاب هو الاساس فى تحديد جنس الجنين ٠

ـ الفلاحة المصرية المرهقة بالحمل والولادة والتى يمارس معها زوجها الجنس من أجل امتاع نفسه وفقط وكانها آلة عليها أن تعطيه وفقط ، وهو حتى فى الاصل جاهل وغير متحضر بأى شكل من الاشكال فى ممارسته للجنس معها ٠

ـ الفلاحة المصرية التى يستخدمها زوجها ، بالاضافة لكونها عامل بلا اجر ويستغل فائض القيمة الذى تحققه ، كآلة للانجاب لاثبات فحولته ولعمل « عزوة » ٠ دون أى اهتمام بمدى ما تبذله من جهد فى الولادة والانجاب ٠٠ ويعبر الرجل الفلاح عن ذلك « يكبر الجرن ولا شماتة الاعدا » « وامشى على عدوك معرش ولا تمشيش مكرش » ٠

ـ الفلاحة المصرية التى رغم كل ما تبذله من عناء ورغم كل الغبن الواقع عليها ، ورغم الم الحمل المتكرر بالاضافة الى عملها طوال العام فى الحقل ، فهى مرغمة على الانجاب من أجل الحفاظ على زوجها ٠

ـ الفلاحة المصرية الامية ثقافيا وتعليميا والمورثة لجيل باكمله هذا الجهل ٠

ـ الفلاحة المصرية التى أمتلأ عقلها بالخزعبلات ، والمحرومة من كل معانى الحضارة والثقافة ، والتى يمتلأ كل عام ضريح الائمة (مثل الامام الشافعى وهى الظاهرة التى لاحظها الدكتور/سيد عويس) بشكاويها اذا جاءها الحظ ووصلت القاهرة ، أو حـديثها لامواتها وشكوتها لهم همها وبؤسها ، ووجـد ان معظم الرسائل سواء المرسلة من نساء يعشن فى المدينة من اصل ريفى أو من ريفيات يحيين فى الريف أن شكواهن من الضرب (بالبلغة) ومن الظلم الواقع عليهن والشكوى من (أهانونى وحبسونى وعرونى) ، والشكوى من طـلاق الازواج ٠

ـ تمتلأ صناديق النذور كل عام بالجنيهات المكونة من قروش قليلة ، دفعتها مطحونات من أصل ريفى ، نساء مطحونات من خوف الخوف ، اى من غضب الذكور الذين من حولهن ٠ أو طمعا فى الانجاب بذكر يرضى زوجها ٠

ـ الفلاحة المصرية التى أهملتها الصحف القومية ، لانه لا توجـد صحافة شعبية فى مصر (كما يقول الدكتور/يوسف ادريس فى ندوة الفلاحات المشار اليها سابقا) ونحن نضيف أنه لا توجـد صحافة عـدا صحافة الاثارة ومدرسة (ليس المهم أن الانسان عضه كلب ، بل المهم أن الكلب عضه انسان) ٠ والتى اهملتها كافة اجهزة الاعلاماللهم الا عندما يتذكرون برنامجهم الفاشـــل فى تنظيم الاسرة فيوجهون حـديثهم للفلاحة المصرية وبصورة تهريجية لتحافظ على جسدها ! اى جسد هـذا ؟ مرة اخرى المرأة لديهم جسد متعة ٠

ـ الفلاحة المصرية الكادحة التى تعمل ليلا ونهارا فى الحقل والبيت ، وتترك طفلها العارى الارداف على الارض ، يبكى ويزحف ويلعق التراب بأنفـــه ولسانه ، ويبول ويتبرز عـدة مرات على الارض ، ويلعب بأصابعه الصغيرة فى التراب المبلل بالبول والبراز ٠ وحين تنتهى الام الفلاحة الكادحة من عملها تنتبه الى طفلها ، وتدس فى فمه ثديها الضامر الناحل (من قلة التغـذية وكثرة الاجهاد) ، ويصرخ الطفل من شدة الجوع وهو يشد حلمة الثدى الخالى من اللبن تقريبا ٠ وقـد يصاب بنزلة معوية ، ويموت وتدفنه الام كما تدفن أرنب ٠ فهى أرنبة سوف تنجب من جـديد ٠

ـ الفلاحة المصرية التى تنظر الى بنت المدينة ، على انها المثل الاعلى رغم كل تخلفاتها السابقة التى عـددناها ورصـدناها (فى المرأة فى الحضر او المدينة) وتحاول تقليدها ولا تجـد وتحبط وتشعر بالمرارة ٠

ـ الفلاحة المصرية المراهقة التى تتفنن فى اثارة الرجل ليتزوجهـــا بجلوسها على « الترعة » رافعة جزء من ملابسـها للاغراء ، وتسكب بعض المـاء من « البلاص » على صـدرها حتى يلتصق به « الملس » و « تتقصع » ٠ انها لا تملك الا جسدها ٠ الا الدعـوة الصريحة للرجل ان يتفرج ويعاين السـلعة (هى) ويشتريها (يتزوجها) ٠

ـ الفلاحة المصرية التى ما زالت الى اليوم تشرب المـاء الملوث ، وتأكل اقـل القليل ، وعليها الا تشكو كفى أنها فى كنف رجل فحل ينجب الدستة من الاطفـــال ٠

اى اغتراب تعيش فيه هـذه الفلاحة المصرية ، وأى غبن واقـع عليهـا ، واى عار فى جبين المجتمع أن تعيش الفلاحة المصرية فى ظـل هـذه الشروط ٠ واى جيل سوف تنجبه ، جيل من البؤسـاء ، تسلمهم لأب جاهل يعلمهم الاخـذ بالثأر ، وبحقارة الانثى ، واحتقار الأم بالدرجة الأولى ٠

لقـد رصـدنا وبشكل سريع ابرز الظواهر التى تعـانى منها الفلاحة المصرية فى مصر ، وتزيد من غربة المرأة المصرية ، ولنقف جميعـا خاجلين من اغترابها والغبن الواقـع عليها ٠

ولنا ان نضيف أنه حسب احصائيات الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء أن احصاء ١٩٧١ تبين منه أن معـدلات الطلاق فى الريف تصل الى ٧ر١ فى الألف بينما فى المدينة يصل الى ٦ر٢ فى الألف ولا يعود ذلك الى تماسك الأسرة الريفية بل أن المرأة الريفية ٠ ما زالت لا تعمل (فى وظيفة) بل هى اجير فى الحقل بلا اجر ولذلك فهى تعتمد على زوجها اقتصاديا بصورة مطلقة ومن ثم فهى تحرص على ارضائه لانه يمثل عائلها الوحيد وجـدير بالذكر أن الزوجـة

الريفية بالرغم من فشل زواجها ، وعـدم حبها لزوجها وتعاستها الشخصية ، فهى تتحمل استمرار الزواج لاعتمادها اقتصاديا — كما أشرنا من قبل — على الزوج وخوفها من سخط المجتمع وتقولات الناس اذا طلبت الطلاق ٠

مزيد من الاغتراب ومزيد من القهر يقع فوق ادمغة ونفسية المرأة الريفية التى ضاعت شخصيتها ، وأصبحت المعادلة تقول :

امراة ريفية = أمرأة ساذجة أو بلهـاء

حتى أصبح من المعتاد عندما تسب أمرأة امراة أخرى ان تقول لها يا فلاحة ! ٨٥٪ من نساء مصر اصبحن وصمة عار فى جبين هـذا المجتمع ٠

ثالثا — المرأة فى الطبقة البرجوازية الكبيرة :

هـؤلاء لا تتعـدى نسبتهن ٥٪ من تعـداد نساء مصر ، وهن حالة شاذة وغريبة فى نوعية اغترابهن ، فان كان الاغتراب عند المرأة فى ادينة — سواء من الطبقة الفقيرة (البروليتاريا وحثالة البروليتاريا) والبرجوازية الصغيرة — راجع الى عوامل عـددناها مرتبطة فى الأساس بقيم وتقاليد وعادات المجتمع وفى العلاقة الجـدلية بين ذلك وبين علاقات الانتاج الرأسمالية فى المجتمع المصرى الرأسمالى ٠

الا أن المرأة فى الطبقة البرجوازية الكبيرة ، هى المستهلكة بشكل دائم وهى المتحكمة فى السوق وهى المجاب لها كل مطالبها ، وهى الخاوية عقـلا والجاهلة ثقافيا ٠ فحياتها فى الأساس تعتمد على الاستهلاك وتخضع لقوانين المضاربة فى السوق ٠

ان معظم الزيجات عند تلك المرأة التى أصلها الاجتماعى من البرجوازية الكبيرة ، زواج قائم فى الاساس على « الحسب والنسب » ٠

فلابد أن تتزوج من طبقتها ، ورجلها دائما مشغول بعالم جمع المـــال والمضاربة والاستغلال ، وينعكس هـذا النمط عليها بشكل دائم ، فهى مستغلة ايضا ، عاطلة لا تمارس أى دور من أدوار الحياة للمرأة •

ـ انها لا تنجب كثيرا وهـذا شيء جيد ولكن ما هـو المحرك لذلك ؟ ، هـو المحافظة على جسدها ليس من أجل زوجها ، بل من أجـل الاستعراض ، فزوجها دائما بعيدا عنها ، وعيون الآخرين ونظرات الاعجاب الجنسية تهواها وتعـوض لهـا النقص الذى تعانيه •

ـ انها تستخدم فى كثير من الأحيان كوسيط فى أعمال زوجها ، يستخدم زوجها جمالها المصطنع بكل ما أنتجه السوق من أحـدث الموضات والمساحيق والعطور ، ليؤثر فى عقـد صفقة تجارية •

ـ ولذلك فزوجها هنا لا يفرض عليها القيود التى رصـدناها فى الأسر المتوسطة والفقيرة ، ولكنه يترك لهـا حريتها ، وهى دائما تسيء استخدام هـذه الحرية بشكل المشاعة التى نحن ضـدها بالضرورة •

ان علاقاتها دائمـــا متفســـخة ، فمعظمهن لهن Boyfriend وهى تسمية مغطاة للعشيق الذى يحل محل الزوج •

انها بالطبع تنعكس عليها علاقات الانتاج التى يمارسها وسطها الاجتماعى فهى مستغلة للفقيرة (للخادمة) وهى قـد انطبع فى ذهنها أنها تستطيع شراء كل شيء بالمـال •

If you have money, you have the world

تلك هى قيمها التى تعلمتها •

ـ انها لو خرجت للعمل فلشيء واحـد لمزيد من الاستعراض مخلة بكل قيم العمل الذى ذكرناها من قبل •

ان المرأة فى الطبقة البرجوازية الكبيرة تعانى من اغتراب من نوع خاص ، هـو ذلك الاغتراب المتمثل فى عـدم احساسها بالثقـة فى احـد ، لانها فى علاقة جـدلية مع علاقات انتاج راسمالية بحته انها تعـــانى من زواج متفسخ ، وباحساس أن كيانها دائما مهان بتعـدد علاقات الزوج النسائية ايضا كعرف فى مثل هـذه المجتمعات الرأسمالية الكبيرة ٠

ومعاناتها الشديدة وحيلها التعويضية لتكون محط اهتمام ، وايضـــا منافسة مع من هن أكثر منها ثراءا ، انها تعانى من انحراف اخلاقى بشع ٠ فهى بنت النادى دون ممارسة شىء من العلاقات الاجتماعية السوية وتعانى من عقـد الاستعراض المرضية فتمتلأ صفحات الاجتماعات فى المجلات الأسبوعية بصور نساء هـذه الطبقة وهن يشتركن بأفخر الأزياء وأرقى العطور وأحـدث الموضات فى حفل التبرع لمرضى الجـذام !! على سبيل المثال ، هن يحسن من أجـل أن يقـول الآخرون ذلك ٠

ان حياة نساء تلك الطبقة هى اغتراب عقـد نفسية بشكل جلى وواضح ٠٠ البحث عن الرجل العشيق ، والاستهلاك الشره ، والاستغلال المتواصل ٠

رابعا ــ المرأة العاطلة فى المدينة :

رصـدنا هنا ونقصـد المرأة العاطلة لانها مأساة مضاعفة فى اغترابها ، وتختلف غربتها ومآسيها وتتضاعف ٠

فبرغم اقرارنا بأن المرأة العاملة الكادحة ترهق جسديا ونفسيا بسبب العمل المتصل داخل البيت وخارجه ، الا ان المرأة العاطلة تتعرض ايضا لمـآسى من نوع مختلف ٠ وكلاهما الكادحة والعاطلة ، تتعرضان معا لمشاكل الزواج والطلاق والعـذرية والختان والحمل والاجهاض والشرف وغير ذلك مما تتعرض له النساء من مختلف الطبقات عدا الـ ٥٪ من نساء مصر من الطبقة البرجوازية الكبيرة ، وتزيد هـذه المشاكل بالطبع كلما هبطت المرأة فى السلم الاجتماعى ٠

لكن المرأة العاطلة لها مأساة أخرى ، فالمرأة العاطلة داخل البيت وخارجه امرأة مستهلكة فقط وهى بذلك عكس الفلاحــة المصرية المنتجة فقط وتــكاد لا تستهلك شــــيئا ٠

والمرأة المستهلكة كسولة جسدها سمين ممتلىء باللحم وتضع على وجهها كم هائل من المساحيق ، كسولة ليست جسديا ولكن عقليا فالعمل مهمـــا كان هــو جزء من الاحتكاك بالمجتمع سواء بالسلب أو بالايجاب وفرصة المرأة العاملة أكبر فى ذلك من المرأة العاطلة ٠

وقــد يتصور الناس أن البطالة المفروضة على بعض النساء ميزة تعطيهن الراحــة (كما رصــدنا ذلك من قبل المرأة العاملة نفسها) ٠ وهــذا صحيح من ناحية الارهاق الشديد الذى تتعرض له العاملة والفلاحة الكادحة ٠

لكن البطالة أيضا نوع من الاستغلال ، والارهاق النفسى ، العمل رغم كل ما قلناه ، الا أنه يحقق للانسان ذاته ، وهــذا محرومة منه المرأة العاطلة ٠

ونرصــد ظاهرة عند معظم العاطلات عن العمل ، وهى الاستهلاك الشره فى الطعام والشراب والملابس والمساحيق الذى تمارسه مثل هؤلاء العاطلات عن العمل وليس ذلك من وجهة نظرنا الا تعويضا عن سعادة العمل والانتاج التى يحرمن منها (انهن يرسمن صورة مثالية للعمل فى أذهانهن بعيدا عمــا هــو مطبــق فعــلا) ٠

ولذلك فان المرأة منهن ما أن تغسل وجهها وتزيل منه المساحيق حتى يظهر وجهها شاحبا رغم (امتلائه باللحم) فى كثير من الأحيان ، وهو انعكاس عن الشقاء الذى تعيشه فى الفراغ القاتل والملل ، والتناقضات الصارخة التى تعيشــــــها ٠

فالمرأة منهن لو كانت حتى متخمة الا انها محرومة ، وهى مشبعة لكنهــا فارغة وهى مكتظة بالشهوات وهى عاجزة عن الاستمتاع بشىء ٠ وهى فى كل

تصرفاتها مستهلكة فقط ، ومنفعلة فقط لا تجرؤ على الفعل بسبب التقاليد والمحظورات • وانعدام ثقافتها بشكل عام ، وقد تقدم على اى انحرافات لتعويض نقصها •

انها تردد النكات الجنسية الرخيصة وتتحدث عن الجنس والأفلام الجنسية وتمارس الحب نظريا فقط ، وان مارسته فى الواقع فهى تشعر على الدوام بالندم والاثم • والزوجة من هؤلاء تتساوى مع غير المتزوجة فى الحرمان العاطفى والجنسى ان علاقتها بزوجها لا تسبب لها الرضا فى معظم الأحيان ، وانما النفور والكراهية فمعظم هذه الزيجات تمت لأسباب نفعية اقتصادية واستغلالية ولم تتم بسبب الحب أو التفاهم والتجاوب •

كما أن علاقة الزوج – هنا أوضح – بزوجته ، هى علاقة صاحب السلطة بالخاضع للسلطة • بسبب قانون الزواج والتقاليد والعرف •

وعلى ذلك نرى بوضوح ان العلاقة الزوجية فى هذه الأسرة منفرة كريهة يهرب منها كلا الزوجين ويذهب كل منهما الى حيث يعوض ذلك الحرمان بطريقة أو بأخرى •

ان مظاهر الاغتراب واضحة وجلية فى غياب العمل المنتج نلاحظها على هذه المراة العاطلة فى جريها الجنونى وراء الموضات والأزياء والمساحيق الجديدة والتظاهر بالجاذبية الجنسية المتأججة تعويضا عن النقص الموجود لديها •

الآن يمكننا أن نقول – ونحن صادقون مع أنفسنا – اننا حاولنا رصد ظواهر اغتراب المراة بصفة عامة وخاصة فى العالم المتخلف أو الفقير ، وهى سمات وظواهر عامة تشترك فيها المراة فى كل هذه المجتمعات ومنهن المراة المصرية • ورغم ذلك رصدنا بعضا من مظاهر الاغتراب لدى المراة المصرية على وجه الخصوص •

ونحن لا ندعى بحال من الأحوال ، أننا قد رصدنا كافـــة مظاهر الاغتراب ، ولكننا رصدنا – من وجهة نظرنا – اهم مظاهر الاغتراب لدى المراة بصفة عامة والمصرية بصفة خاصة ، محاولين تبيان اى قهر وبؤس وعقد نفسية تحيا فيها المراة ٠

وسوف نستكمل رصد البعض من الظواهر عن اغتراب المرأة المصرية فى المبحث الخاص بتفريغ استمارات جمع المعلومات والتعليق عليها ٠

ونحن قد اتبعنا فى منهج هـذا المبحث أسلوبا أو طريقة ، قد تبدو مخالفة للمعتاد ، فقد اعتاد الباحثون ان يعرفوا الظاهرة الذين هم بصدد بحثها ، ثم يستعرضونها ويوضحونها ٠

أما نحن فقد فعلنا العكس لقد رصدنا الظواهر قبل تعريف الظاهرة متبعين طريقة الوصول من الجزئيات الى الكليات ٠٠ من رصد الظاهرة الى التعريف الجامع والشامل للظاهرة نفسها : الاغتراب ٠

ذلك ما دفعنا اليه ، هـو انه على الرغم من كثرة ما كتب حول الموضوع : الاغتراب أو ربما بسبب كثرة ما كتب وبسبب تضارب الاراء والاتجاهات ، فان مفهوم الاغتراب نفسه لا يزال يعانى من كثير من الغموض ، وقد يبدو ذلك طبيعيا ، اذ أن من الصعب تعريف المفهومات الانسانية الأساسية تعريفا دقيقا ٠ ومن هنا تضاربت الأقـوال والآراء ٠

ولا شك أن لدينا مفهوما عن الاغتراب سوف نعرضه ، ولكن نعتقد أن طريقتنا فى هـذا المبحث كانت هى الأساس فى الوصول بنا الى التعريف الذى سوف نستعرضه تفصليا عن الاغتراب ٠ فنحن نفضل أن يأتى التعريف من واقـع ملمـوس ٠

وعلى ذلك فسوف نستعرض الان مفهوم الاغتراب بصفة عامة وما قصدناه به ، لنصل الى مفهومنا عن اغتراب المراة فى المجتمع بصفة عامة وفى مصر بصفة خاصـــة ٠

ان استعراض البحوث المتعلقة بمفهوم الاغتراب Alienation يكشف عن تنوع استعماله وتعدد معانيه ، والواقع ان بعض هذه المعانى تعانى من الغموض الى درجة تكاد تنتفى معها قيمتها العلمية .

فكثير من الباحثين الميدانيين قد استثمروا هذا المصطلح بمعنى انعدام السلطة والانخلاع ، والانفصام عن الذات ، و « الأنوميا » Anomie والاستياء أو التذمر أو العداء ، والعزلة ، وانعدام المغزى فى دافع الحياة والاحباط Frustration ، وغير ذلك من المعانى .

ان بعض هذه الفروق فى المعنى قد تكون ثانوية وهامشية ما دام المضمون الجوهرى يظرهـ فيها جميعا بشكل او بآخر . وما عدا ذلك فان البحوث التى تبتعد عن المعنى المشترك غالبا ما تعطى هذا المفهوم مضامين تختلف كثيرا عن فحواه وبالتالى تسبب تشويشا فى الظواهر المربطة به . والملاحظ ان الجانب المعرفى Congnitive Aspect لهذا المفهوم قد تعرض بالتحليل المسهب فى عدة اختصاصات ، ولا يزال الباحثون المعاصرون يعكفون على فحص لتشخيص دلالته .

ومما يسهم فى تشتت هذا المصطلح هو استعماله من قبل الناس غير المتخصصين ، وفى المجالات غير العلمية بشكل يغلب عليه الطابع الذاتى أو العاطفى .

غير ان هذا الاتساع فى معانى المصطلح ، وتعداد مذاهب القائمين على دراسته ، لا يبرز فى تعريفات المعاجم اللغوية الأجنبية المختلفة ، وقد استهوى مفهوم الاغتراب عددا من الفلاسفة والمفكرين القدامى « كتوماس هوبز » Thomas Hobbes وجان جاك روسو وفتشه وشيلر وهيجل ، ولكى تتبلور معانى هذا المصطلح ندرج مضامينه الآتية :

(أ) الاغتراب بمعنى الانفصـــال :

ويصف هـذا الاستعمال أو المعنى تلك الحالات الناتجة عن الانفصال الحتمى ، المعرفى لكيانات أو عناصر معينة فى واقـع الحياة ، يضاف الى ذلك أنه مع هـــذا الانفصال كثيرا ما تنشأ حالة من الاحتكاك والتوتر بين الأجزاء المنفصلة ، وقـد برز هـذا المعنى فى كتابات هيجل Hegel باعتبار الـكون نظرة مكونا من أجزاء منفصلة ومتفاعلة ولكنها متكاملة ٠

(ب) الاغتراب بمعنى الانتقـــال :

عندما يرتبط الاغتراب بعملية التخلى Renunciation عن حـق من الحقوق التعاقـدية Contractual Rights فانه يكتسب معنى مختلفا عن معناه السابق ٠ فالاغتراب فى هـذا المعنى قـد وظف فى البحوث التاريخية الانجليزية ، حيث كان يقصـــد به نبـذ ومصادرة حقوق الملكية المتعلقة بأحـــد الأفراد ، أو نقـل هـذه الحقوق من ذلك الفرد الى شخص آخر ٠ ومع أن مثل هـذا النقل قـد يولد توترا فى العلاقات ، فان الباحثين اكدوا الشعور بالغضب أو التسليم من جانب الأفراد الذين يواجهون مثل هـذا العقاب ٠

(جـ) الاغتراب بمعنى الموضـــوعية :

ويثير هـذا المعنى جانبا من الاغتراب يتجسد نتيجة لوعى الفرد بوجـــود الآخرين فنظرة الفرد للآخرين كشىء مستقل عن نفسه ، بصرف النظر عن طبيعـة العلاقات التى تربطه بهم ، قـد أعتبرت من قبل بعض الباحثين من اهم مؤشرات الاغتراب ، وتشير البحوث الجارية على هـذا المنوال الى أن هـذه الوضعية غالبا ما تكون مصحوبة بالشعور بالوحـدة والعزلة بدلا من التوتر والاحباط ٠

ولعـدم تحـديد كل من هـذه المعانى بصورة واضحة ودقيقة فى استعمال مصطلح الاغتراب ، فان هـذا المصطلح ظـل محاطا بالغموض فى معظـــم البحوث ٠ ويغلب على هـذا المفهوم المعانى السلبية خصوصا فى ســــــياق

استعمالاته الانجليزية المشتقة من جـذر الكلمة Alien (غريب أو أجنبى) وقـد استعملت هـذه الكلمة منذ العصور القـديمة فى الاشارة الى الجماعات الأجنبية ، وبشكل يوحى بالانتقاد والازدراء • ويرجـــع ذلك الى النظرة التقليدية السائدة لهـذه الجماعات من قبل المجتمعات التى عاشت فيها ، والتى انطوت على الاستخفاف بمكانة تلك الجماعات الحضارية كما كان بالنسبة للمتبربرين Barbarians

(د) انعـدام القـدرة والسلطة :

وفى مقـدمة ما يدخل فى نطاق هـذا المعنى الشعور بالعجـز وانعـدام القـدرة • وقـد برز هـذا المعنى فى نظرة « كارل ماركس » لهـذا المفهوم • والملاحظ أن معنى العجز Powerlessness وعـدم القـدرة أو الاستطاعة هـو اكثر المعانى تكرارا فى البحوث المعنية بموضوع الاغتراب ويبـــدو وأن استعمال الاغتراب بهـذا المعنى هـو حصيلة بحوث « كارل ماركس » فى هـذا المجال • وهـذا النمط من التعبير عن حقيقة الاغتراب يمكن تصوره من خلال توقع الاحتمالات الجارية فى أذهان الأفراد فيما يتصل بالحصول على نتـائج محـددة يسعون اليها ، أو تقرير بعض المواقف Attitudes التى يتخذونها • ويستدعى هـذا التطور تأكيد الظروف الموضوعية للافراد باعتبارها مسئولة عن تحـديد درجة ما يكمن من واقعية فى استجاباتهم الى تلك الظروف وهـــذا بالطبع يستدعى الاستعانة بأدوات قياس ميدانى Field measurement لتحـديد جوانب تلك الظروف ، كما يفعل الباحثون الحقليون عندما يجرون دراسات تحليلية كمية لجوانب السلوك المتعـددة • وقـد تستعان بالبحـوث التجريبيـة Experimental Studies عندما تتطلب الحاجة ذلك •

ويفترق الاتجاه الأخير عن الاطار الذى حـدده « ماركس » ، ذلك لأنه لا يأخـذ فى الحساب عامل الاحباط الذى يواجه الفرد نتيجة للفجوة القائمة بين السيطرة التى يتوقعها ودرجة السيطرة التى يتمناها • وبعبارة أخرى ، ان هـذا التفسير لا يبدى اهتماما : بقيمة السيطرة فى نظر الفرد •

ويجرى تحليل الاغتراب فى هـذا الاطار على اساس :

١ ـ توقعات الفرد عن السيطرة من زاوية الظرف الموضوعى لعجزه عما يراه البـــاحث ٠

٢ ـ الحكم الصادر من الباحث فيما يتعلق بذلك الظرف ٠

٣ ـ شعور الفرد المتصل بالفجوة بين توقعاته الخاصـــــة بالسيطرة ورغابته المتصلة بهــا ٠

(هـ) انعـدام المغـزى :

ويناقش موضوع الاغتراب أيضا من زاوية ضياع المعزى بالنسبة للفرد ، كما يتضح فى بعض بحوث العالم الألمـانى « ادورنو » Adorno عن موضوع التحيز والحقـد العرقى Racial Prejudice حيث تناول فى دراسة له مشكلة تطلع الأفراد الى تحقيق مغزى وغاية ملموسة فى حياتهم ٠ ويرى بعض الباحثين أن ظروف الصناعة والتخصص المهنى تدفع الناس الى ابتغاء الغـــايات والمعـــانى البسيطة نتيجة لصـــعوبة الاختيار بين الامكانيـــات المعقدة ٠ فالمفكر « مانهايم » Mannheim مثلا ، يعتقد أن الفرد لا يستطيع الانتقاء بين التفسيرات الصعبة بسبب زيادة العقلانية الوظيفية التى تشدد على التخصص والانتاجية ، اللذين يجعلان هـذا الاختيار أمرا عسيرا ؛ وبعبـــارة أخرى فانه مـع زيادة تأكيـــد المجتمع لمستويات الانتــــاج والأداء المهنى "Professional Performance" تتناقص مع القـدرات الفكرية لدى الناس ، ويصعب عليهم اختيار الحلول العقلية المجردة وبالنظر الى أن المجالات الأخلاقية والعقـــائدية Dogmatic هى مجالات ليس لها حدود موضوعية واضحة ، كما أن النتائج التى تتمخض عنها تفتقر الى حـدود الصـدق فى التنبؤ ، فانه من غير الممكن بحث هـذا الجانب وربطه بتجربة الاغتراب بصورة يمكن أن تؤدى الى مردودات علمية معتمدة ، وهكذا فبينما يتناول المعنى الأسبق للاغتراب القـدرة المحسوسة للسيطرة على نتائج الأعمال ، فان المعنى الأخير يشير الى القـدرة المتصورة بالنسبة لتوقع النتائج ٠

(و) تلاشى المعـايير :

ان هـذا المعنى المرافق لاستعمال مصطلح يستند الى بحـوث العـالم الفرنسى « دوركايم » Durkheim عن موضـوع « الأنوميا » Anomie ويشير هـذا الموضوع (بناء على طرح هـذا العالم) الى وضعية تنعـدم فيها المعـايير Norms واذا كان « دوركايم » أوضح فى دراسته « للأنوميا » أو (اللامعيـارية) Normlessness أن المجتمع الذى وصـل الى تلك المرحلة يصبح مفتقرا الى المعايير الاجتماعية المطلوبة لضبط سلوك الأفراد ، أو أن معاييره التى كانت تتمتع باحترام اعضائه لم تعـد تستأثر بذلك الاحترام ، الأمر الذى يفقـدها سيطرتها على السلوك ويسهم العالم « روبرت مرتون » Merton فى دراسات « الأنوميا » ويوسع من اطارها الذى وضـعه « دوركايم » وهـو يصف ويحلل التكيف والمواءمة التى يسعى الأفراد الى تحقيقها فى ظروف تخلو من تأثيرات « المعايير الجماعية » Collective norms وقـد اتخـذ « مرتون » من مفهوم النجاح فى المجتمع الغربى عموما ، والمجتمع الأمريكى خصوصا مثلا لتوضيح حقيقة أن النجاح كهـدف لا يتفق والامكانيات المتاحـة للأفراد لتحقيقه • وهـو يرى أن حالة الأنوميا تؤدى الى زيادة صعوبة التنبؤ عن السلوك • وتؤدى هـذه الحالة فى اعتقادى الى زيادة الايمان لـدى الأفراد بالحظ والنصيب • كما يرى هـذا العالم أنه فى هـذه الظروف تصبح الأساليب التقنية متصلة فى نظر الناس والاعتبارات القيمية لانجاز الأهـداف التى يطمح اليها الأشخاص Robert Merton p. 50 •

ان من الواضح أن فكرة الأنوميا التى نحتها المفكر « دوركايم » هى جزء يتكامل ومفهوم الاغتراب وهى بالاضافة لذلك تتضمن جانب التوقع فى سلوك الانسان • ويركز المهتمون بالأنوميا أيضا على مفهوم الوسائل ودورها فى واقـع الحياة وعلى ضياع المعايير التى تحظى باجماع عام ويحللون ما ينتج عن كل ذلك من فردية متطرفة وما يرافق ذلك من مواقف انتهازية ونفعية • ان هـذه الأفكار تكاد تفرغ نفسها فى اطار التوقعات •

وقـد أكدت فئة أخرى من الباحثين معانى أخرى فى سياق ظروف تحلل المعـايير وتظهر فى نطاق التفاعل الاجتماعى ٠

فالأستاذ « جـوفمان » E. Goffman p. 51. قـد ركز على أدق النظم الفاعلة فى المجتمع ، ذلك هـو نظام التخاطب والاتصال Communication فالتخاطب التلقائى فى اعتقادى هـو مؤشر حقيقى لمـا هـو موجود من اغتراب ؟ خصوصا عندما يكون ميل الأفراد الى التحادث مع الآخرين حاديا على عنصر التكلف ضعف الحافز وسطحية الشعور ممـا يجعل تفاعل الأفراد بعضهم ببعض مجردا من العمق الفكرى والعاطفى ٠

العـــزلة :

هناك استعمال اخر لمصطلح الاغتراب يأتى فى سياق « العزلة » Isolation وهو أكثر ما يستعمل فى وصف وتحليل دور المفكر أو المثقف الـذى يغلب عليه والشعور بالتجرد Detachment وعـدم الاندماج النفسى والفكرى بالمقاييس الشعبية Folkloristic stand a rds فى المجتمع ٠

ويرى بعض الباحثين فى ذلك نوعا من الانفصال عن المجتمع وثقافته ٠

ويلاحظ ان هـذا المعنى للاغتراب لا يشير الى العزلة الاجتماعية التى تواجه الفرد المثقف كنتيجة لانعـدام التكيف الاجتماعى أو لضآلة الدفء العاطفى Affective Warmth أو لضعف الاتصال الاجتماعى للفرد ٠

ولعل افضل اسلوب يوضح طبيعة هـذا المعنى للاغتراب هـو أن ينظر اليه من زاوية قيمة الجزاء أو الارضاء ٠

فالأشخاص الذين يحيون حياة عزلة واغتراب لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهـداف والمفاهيم التى يثمنها أفراد المجتمع ٠

الاغتراب عن النفس : Self - estrangement

هـذا المعنى للاغتراب يتميز عن باقى المعانى بكونه ينطوى على شـعور الفرد بانفصاله عن ذاته • ويعتبر ما كتبه العالم « أريك فروم » Erick Fromm من أكثر البحوث دقـة وعمقا عن الموضوع فقـد تناوله من زاوية « تكوين الشخصية » Personality Development وهـو يرى أن الاغتراب هو نمط من التجربة يرى الفرد نفسه فيها كما لو كانت غريبة عنه •

وتقترب ملاحظات الأستاذ س• رايت• ميلز C. Wrigth Mills من هـذا التفسير • وهو يقول أنه فى الظروف الاعتيادية تكون الفتاة المشتغلة فى المخازن التجارية منفصلة عن نفسها ما دامت شخصيتها قـد استحالت الى اداة لخـدمة غرض خارجى • وكذلك يواجـه الاغتراب الأفراد فى ظروف المدينة لأنهم يصبحون أدوات لبعضهم البعض • وهكذا تتسع الدائرة حتى يصـبح الفرد الحضرى منفصلا عن نفسه •

ويعتبر « كارل ماركس » من رواد البحث الهادف لتحليل مفهوم الاغتراب الذى منحـه طابعا امبيريقيا وسوسيولوجيا بعد أن كان مفهوما ميتافيزيقيـا لا هـوتيا • وقـد ابرز اهتمام ماركس الشاب بهذا المفهوم بصورة خاصـة وقـوية فى مؤلفـه : « مسودات اقتصادية وفلسفية » Economicand Philosophical Manuscript المنشور عام ١٨٤٤ •

والاغتراب عنده هـو انفصال الانسان عن عملية الانتاج نفسها • وهـو يتساءل كيف يستطيع العامل أن يقف فى علاقة غريبة أو مغتربة Alienated Relati onship الى الناتج الذى يصنعه ما لم يكن قـد عزل نفسه عن عملية الانتاج نفسها •

ويخلص الى القـول أنه اذا كان الانسان قـد أصبح مغتربا عن عمله اليومى فهو بالضرورة يكون قـد اغترب ايضا عن نفسه وعن امكانياته الخلاقة والاواصر الاجتماعية التى تتحـدد من خلالها انسانيته ، وهـذا فى اعتقـاده

يعزله عن النوع الانسانى وبالتالى يجرد من خاصيته البشرية Species Being · ويستطرد « ماركس » فى متابعة خطة التحليل فيصل الى استنتاجه الخاص بعزلة الانسان عن زملائه العمال وعن العمال عموما ، كنتيجة يصل اليها واقع العامل الاغترابى (٣)

وعلى ضوء ما استعرضناه سابقا يمكن أن يصنف الاغتراب الى النماذج الآتيـــة :

١ ـ النبذ أو الرفض الكونى :

من الواضح بالنسبة للمنبوذين فى المجتمعات العنصرية أو العرقيـــة Racist Cocieties يكون الاغتراب نوعا من أنواع النفى أو الطرد من عالم الأهـداف والدفء العاطفى والمغزى الاجتماعى ·

فالحياة فى واقـع المنبوذين هى فراغ لا حـدود له · ومن يواجـه هـذا الاغتراب يشعر بأنه فى عالم يبدو وكأنه لم يصمم للانسان ولم يهيأ ليستجيب لخصائصه الانسانية · ان هـذا النوع من الاغتراب يمثل رفضا كونيـــــا Cosmic alienation

٢ ـ الاغتراب التكوينى :

والاغتراب التكوينى Developmental alienation يحصل لدى أولئك الذين يشعرون بضياع حياتهم الفردية وما فيها من علاقات وروابـط بشكل لا يسمح باعادتها من جـديد · وهـذا يأتى نتيجة لنمو الحياة ، ذلك النمو الذى يعنى ظهور أشياء جـديدة وضياع أشياء وأمور أخرى مرت فى مراحـل سـابقة للحيـاة ·

٣ ـ الافتقاد التاريخى أو الزمانى :

وكما فى الحياة الفردية فان عملية النمو التاريخى Historical تتضـــمن ديالكتيـــا Dialectic بـين الكســـب والخسارة · فمعظم عمليات الابتكار الاجتماعى Social Innovation

تنطوى على ابدال العادات والمناظير والتقنيات التى ظلت متخلفة • وبديهى ان الأفراد المتمسكين بهذه الأمور التى تحذف أو تستبدل يشعرون بالحزن لفقدانها • ولما كان التغير الاجتماعى فى عصرنا هو تغير سريع وشامل فان الواقع هو أن يشعر الكثيرون بالاغتراب نتيجة حسهم التاريخى Historical Sense بضياع الكثير من القيم السلفية التى الفوها بها •

ويمكن القول بعد استعراض البحوث المتعلقة بالاغتراب – مع ما تتصف به من تشتت ، يؤدى الى استخلاص بعض النتائج العامة حول مفهوم الاغتراب :

أولا : ما لم يحصل الفرد على الفرص التى تسمح له بالاسهام فى فعاليات ، منتجة هادفة ، فيها دعم للنفس او الذات ، وأن الامكانيات التى تمنحه المجال لتجسيد ذاته والتعبير عن شخصيته • ومتى سلب الفرد حق التعبير عن خصائص شخصيته فانه غالبا ما يحول بينه وبين تطويرها • ومتى كانت هناك معوقات متعددة الأشكال تقف حائلا بين الانسان وبين ميوله ورغباته لتحقيق أهدافه وبناء شخصيته •

شعر الفرد بالاغتراب عن مجتمعه وعن ذاته •

ثانيا : ما لم تكن الأعمال والادوار التى يؤديها الأفراد تحمل فى طياتها العناصر التى تساعدهم على التعبير عن أنفسهم لكى يتحقق لهم من خلالها الرضا والاشباع • وما لم يكن هناك ترابط بين الفعاليات الهادفة لدعم وتطوير النفس وبين الأعمال التى تعبر وتجسد خصائص ذات الانسان لتمنحه قدرا معينا من الرضا والاشباع •

شعر الفرد بالاغتراب عن مجتمعه وعن ذاته •

ثالثا : عندما تصبح الفعاليات الانتاجية والنتائج التى يصل اليها الفرد من أعماله وذاته التى يتصف بها ، عندما تصبح كلها تحت سيطرة الآخرين

فانها تحجب عنه ذهنيا وعاطفيا • أى أن لا يحدث الصلة بين تلقائية العمل ودرجـة التمسك به • وما لم يتخلل الأعمال التى تنجز ويتخللها الشـعور بالتلقائية والرضا الذهنى والعاطفى •

يحـدث الاغتراب حتما •

رابعا : اذا انغمس الانسان فى توجه استغلالى ازاء الواقـع الطبيعى وبات من المتعـذر عليه أن ينشىء صلة مناسبة أو مرضية بينه وبين ذلك الواقع • ودفع بسبب أو بآخر لاكتناز الأشياء المـادية دون تقـدير واع لما فيها من قيمة اجتماعية او جمالية او عملية وترتب على اندفاعـه هـذا أن يصبح أداة عاجزة عن السيطرة على هـذه النزعـة •

يصبح الانسـان مغتربا عن المغزى الذهنى والعاطفى الكامن وراء هـذا النـوع من السـلوك •

خامسا : عندما يبتغى الانسان مصالحه الشخصية دون تقدير لحاجات ومنافع الآخرين فانه لن يستطيع اقامة علاقات دائمة معهم • وما لم يهتم الانسان بمبدأ الأخـذ والعطاء • فالعلاقة التى تؤدى نفعا لطرف واحـد وضرر للطرف الآخر تؤدى الى اغتراب الطرف الثانى عن الأول وقـد تكون أيضا علاقة للنـكوص Regression والتردى السلوكى •

سادسا : ما لم يشترك الفرد والآخرون بالقيم والمبـادىء والعقـائد والممارسات نفسها ، لا يمكن أن يتحقق التضامن والتآزر الاجتماعى بين الفرد والناس أى ان يكون هناك بين الناس أساس ايديولوجى وقيمى مشترك •

فهو يشعر بالاغتراب عن المجتمع •

سابعا : ان خضـوع الفرد للنظم والتوقعات الاجتماعية الغير سـوية وخاصة فى المجتمعات الرأسمالية وخصوصا المتخلفة منها • ذو تأثير سلبى يعرض الفرد للشعور بالاغتراب ، باعتبار الخضوع هـذا يسبب كبت الدوافـع

والميول الفردية • ومع ذلك فمفهوم التطبيع الاجتماعى او التنشئة الاجتماعية Socialization ينصب على اعـداد الفرد منذ طفولته اعـدادا يجعله قادرا على خلق المواءمة والانسجام بين سلوكه وبين معايير المجتمع السوى • واذا أخفق الفرد فى تحقيق التواؤم المطلوب فان ذلك لا شك يشعره بالانفصـــال أو الاغتراب من مجتمعه كما يتضح فى تحليل هيجل لمفهوم الجوهر الاجتماعى واتحاده بذات الانسان •

ثامنا : عندما لا يكون الفرد فى حالة من الاعتماد والاتحاد مع الآخرين • لا تتوازن الشخصية البشرية • هـذا القول ينبع من حقيقة أن الكائن البشرى هـو كائن مثالى Idealistic Being يخضع فى نظرته الى نفسه والى محيطه بطبيعته الاجتماعية Social Nature والقيمية •

بعـد استعراضنا لمفهوم الاغتراب وموافقتنا على النقاط الثمان المذكورة والمستمدة من ابحاث عـديدة قام بها أساتذة وعلماء فى الاجتماع وعـــلوم الانســـان •

نرى أن المراة المصرية تعانى من المفاهيم المذكورة وتنطبق عليها بشكل أو بآخر • وهى أيضا تعانى :

١ ـ من النبذ أو الرفض الكونى •

٢ ـ الاغتراب التكوينى •

٣ ـ الافتقاد التاريخى والزمنى •

والتى أوضحناها سابقا •

لقد عددنا مظاهر اغتراب المراة بصفة عامة والمراة المصرية بصفة خاصة وشرحنا قـدر جهدنا مفهوم الاغتراب • مستعرضين العـديد من الآراء فيه • وبتطبيق تلك المفاهيم وجـدنا أن المراة المصرية من استعراض الظواهر الحياتية التى تمر بها ، تعانى من الاغتراب شبه الكامل عن مجتمعها •

ولعلنا نوفق فى المبحث الخامس الى علاج لظاهرة الاغتراب عند المراة تلك التى اوضحناها من اجل مجتمع جـديد ومن أجل مزيدا من التقـدم لمجتمع متخلف •

المبحث الثالث

المرأة كائن اجتماعى كامل

عند دراسة تاريخ الانسان ، لنعثر على تعريف محـدد لهـذا « الانسان » تواجهنا صعوبات كثيرة ، فأى من العلوم سوف نتناوله لنحـدد ما هو المقصود بالانسان ؟ هناك علوم كثيرة متداخلة معا مهمتها الانسان : علم التاريخ الانثربولوجيا ، الاجتماع ، الفلسفة ، الطب – علم النفس ... الخ .

ولكننا سوف نستعين بالعلوم الأخرى ، للوصول الى ماهية الانسان ، فالعلم مترابط ومتداخل وكل فرع من فروعه فى خـدمة الفرع الآخر ذلك فى المرحلة النهـــائية .

هناك نماذج كثيرة من التفكير القـديم ، تعطينا وجهة نظر حـول تفسير الطبيعة البشرية : وعلاقة الانسان ببيئته ، ووضع تفسيرات واحكام للسلوك الانسانى فى مواقفه المتعـددة ، سواء أكانت هـذه المواقف فردية أم جماعية ، ولكنها لم تكن واضحة محـــددة بحيث تؤلف خطا واضحا فى التفكير الفلسفى .

ولمـــا ظهرت نظم فلسفية متكاملة على أيدى فلاسفة اليونان القدامى ، تضمنت هـذه النظم آراءا مترابطة تعتبر البذور الأولى للتفكير النفسى :

– رأى أفلاطـــون :

أن للروح وجودا مستقلا يأخـذ الشكل الذى تألفه عند حلولها فى الجسم ورأى أن الانسان يتكون من عقـل Reason وروح Spirit ولذة Appetite وأن الوجود مكون من جوهر Essence ومادة Matter وانه لا يستطيع ادراك جوهر الوجود الا العقل وهو مزود بأفكار أولية Innate idees

مستقلة عن اى نوع من الاحساس أى لا دخـــل للحواس في معرفتها • وبذلك فرق بين الاحساس والمعرفة ، وأعتبر المعرفة العقلية أرقى أنواع المعرفة ، وأنه لا يمكن الاعتماد على الحواس في معرفة جوهر الوجود •

- ورأى أرسطو Aristotle :

ان الروح ليست بعنصر له وجـود ذاتى ، وانما هى مجموعة من الوظائف الحيوية التى يقوم بها الكائن الحى • وأن الانسان يختلف عن باقى الكائنـات الحية فى قـدرته على التفكير ، فهو حيوان مفكر ، ولذلك فهو يستطيع الاستدلال والوصول الى معرفة المعانى الكلية والمسلمات بما يلاحظه فى خبرته اليومية • كما رأى أن المعرفة ليست بذات قيمة الا اذا طبقها الفرد فى حياته العمليـة • ويعتبر ارسطو أول من فسر عملية التفكير بصورة منظمة ، فوضع القـــوانين فى ترابط المعانى وتداعيها • ويعتبر أول من خطا نحو التفكير العلمى الاختيارى Empirical وبين اهمية الملاحظة فى الوصول الى التعميمات • كما اعتقد أن العالم مكون من صور أو علل صورية Form ومادة Matter وأن الاثنين مرتبطان ببعضهما ، فهناك المـادة بحالتها الخام أما الصور فهى مبدأ الابتكار والذكـــاء •

ونجـده ايضا تناول طبيعة العقل وحللها تحليلا واسعا وشاملا ، كما تعرض للعلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى •

وبظهور المسيحية ثم الاسلام ، انقسم المفكرون الى فريقين ، فاختص رجال الدين بدراسة الروح ، واختص الفلاسفة بدراسة العقل ، ومع ذلك استمرت معظم المحاورات الفكرية تدور فى فلك فلسفة افلاطون وأرســـطو وخاصة من حيث الثنائية بين الجسم والعقل • ويلاحظ أن هـذه المحاولات المختلفة فى تفسير الطبيعة البشرية والسلوك كانت تأملية نظرية اعتمدت على عمليات الاستنتاج والتعليلات المنطقية دون اخضاعها للنقـد الدقيق أو التحليل العلمى الصحيح • كما تركزت الدراسات النفسية حول « العقل » ولذا يمكن اعتباره موضوع علم النفس فى ذلك الوقت •

وفى حوالى القرن السابع عشر حين تقدمت العلوم الطبيعية وخاصة الطبيعة والفسيولوجى وظهرت اكتشافات جديدة اخذت النظرة العلمية الى دراسة الظواهر الطبيعية عن طريق الملاحظة الموضوعية والمعلومات الاختبارية ، وخاصة بعد ظهور جاليليو Gailloe وغيره من العلماء • ولم يقف التفكير الفلسفى بعيدا عن هذا التطور ، فجاء ديكارت Descartes وبدا اتجاها جديدا فى الدراسة النفسية مستعينا بتطبيق الاكتشافات العلمية فى ميدان الطبيعة والفسيولوجى ، فاعاد النظر فى الفكرة القائلة بأن العقل حر ومنطقى من جهة وآلى من جهة أخرى •

لقد أكد ديكارت الثنائية فى التفكير السيكولوجى ، وقدم نظرية الفعل المنعكس الفسيوسيكولوجية ، فنادى بأن الحيوانات العليا مجرد آلات حية وليس لها نشاط عقلى ، فنشاطها عبارة عن الوظيفة الميكانيكية للتركيب الطبيعى للجسم ، وعليه يمكن تفسير سلوكها جميعا على أساس فسيولوجى •

وفسر سلوك الانسان عى اساس الفعل المنعكس ، وهو فى نظره عبارة عن حركة سائل معين يسير من الحواس عن طريق الأعصاب الى المخ ثم يعود عن طريق الأعصاب أيضا من المخ فيحدث السلوك •

ورأى أن الانسان يتميز عن الحيوان بالعقل ومركزه المخ ، وهو يتدخل فى بعض عمليات الحركة الذاهبة والعائدة عن طريق الأعصاب ، ونادى بأن العقل وظيفته الشعور • والشعور عند ديكارت هو ما يفكر فيه الانسان وما يستطيع ملاحظته فى نفسه ويعبر عنه • وبهذا أصبح علم النفس هو علم الشعور •

وفى نهاية القرن السابع عشر وفى القرن الثامن عشر ظهرت العديد من النظريات :

نظرية الملكات Faculty Psychology :

تزعم هذه النظرية العلماء الألمان ، وتتلخص فى أن العقل مكون من مجموعة من القوى والملكات • واتصل بهذه النظرية مبدا انتقال أثر التدريب •

النظـرية الترابطيـة Associationism :

تزعم هـذه النظرية مجموعة من العلماء الانجليز على راسهم لوك Locke وترى انه اذا كانت المـادة تتكون من جزيئات صغيرة متماسكة بعضها مع بعض ، فان العقل يتكون من جزيئات صغيرة مرتبطة بعضها ببعض ، وعليه تصـبح المعرفة عبارة عن نوع من الترابط بين حالات الشعور · وأكد لوك زعيم هـذه المدرسة أن الطفل يولد وعقله صحيفة بيضـــاء Tabula rasa تنطبع عليها آثار البيئة الخارجية عن طريق الحواس التى اعتبرها ابواب المعرفة ، وفرق بين العالم الخارجي وبين العقل وما فيه من قـــوى كالانتباه والملاحظة والموازنة والتجريد والتركيب ··· الخ ·

ورأى ان المعرفة العقلية هى نتاج ترابط وتنظيم الخبرات الحسية ، وان هـذا الترابط هـو الذى يجعل جزيئات وذرات الخبرة وحـدة وكلا · لان ترابط الجزيئات يتكون منه مركبات هى المعانى الكلية والمفاهيم · ويحـــدث الترابط عن طريق التشابه أو التضاد ·

أما القرن التاسع عشر ، فقـد تميز بنشاط التفكير العلمى ، نشـــاطا ملحوظا ظهر فى تقـدم طرق البحث وتطـور النظريات العلمية المتعـددة ، وكان لهـذا النشاط العلمى اهمية بالغة فى تحرر التفكير الانسانى من الطابع الفلسفى والاتجاه الميتافيزيقى · كما ظهرت العـديد من الاكتشافات العلمية فى ميادين الفسيولوجى والنيرولوجى « علم الأعصاب » وكان لهـذه الاكتشافات اثر واضح فى تغيير مجرى الدراسات النفسية · فمثلا توصل ويت Whytt وجلفـانى Galvani وماجنـدى Magendie الى اكتشافات هامة فى وظيفة الجهاز العصبى ودرس مارشال هـول Marshal Hol الأساس العصبى للعقل المنعكس ووضع برنارد (١٨٥٩) Bernard اساس علم الغـــدد الصماء كما وضع اساس فكرة التوازن الفسيولوجى ·

ولا يمكن للباحث أن يمر على هـذه الفترة دون الاشارة الى أهميـــة داروين Darwin وتاثيره فى تغيير مجرى الدراسات النفسية من خلال دراساته فى البيولوجى Biology ·

رأى دارون Darwin :

بظهور كتاب علم الأجناس ١٨٥٩ ، اثار موضوعا جـديدا على جانب كبير من الأهمية وهو الاهتمام بسبب الاختلاف بين الأجناس وبالأصل والتطور ، وبالتالى بديناميكية الوظيفة البيولوجية فأشار بأن اى تغيير فى التكوين العضوى حتى ولو كان بسيطا فانه ـ فى بيئة معينـــة ـ يؤدى الى تغـير فى الوظيفة، ، وبذلك يكون البقاء للاصلح من حيث امكانيات التكوين · ووضح الارتبـــاط بين :

ـ التكـــوين Structure

ـ الوظيفـــة Function

وعـــلاقة ذلك

ـ بالتـــأقلم Adaptation

ومن ثم أصبح التأقلم كظاهرة ديناميكية محور الارتكاز فى الدراســات البيولوجية وأخـذت المظاهر السلوكية أهمية خاصة ، وصار ينظر للحيـــاة كعمليـــة نمـو وتطـور ·

هـذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان نظرية التطور لدارون عـدلت من الاعتقاد القائل بأن الانسان يختلف عن الحيوان ، فنادت بأن الانسان ككائن بيولوجى ليس الا نتيجة للتطور ، وهو لا يختلف عن الحيوان الا من حيث ارتقائه فى سلم هـذا التطور فهناك استمرار فى الحياة العضوية والوظائف الحيوية ، وكذلك الحياة العقلية بين الانسان والحيوان · وقـد فتح دارون بهـذا الرأى باب المقارنة بين الانسان والحيوان واجراء التجارب على الحيوان بقصـد معرفة البذور الأولى للسلوك الانسانى ·

وتعتبر آراء دارون هـذه ثورة علمية شملت جميع الميادين ، فاعيد النظر فى العـديد من الآراء السابقة ·· وظهرت آراء جـديدة فى دراسة السـلوك الانســانى ·

وجاء العـديد من العلماء بعـد ذلك ليطوروا من علم النفس ، ومن المزيد من الاكتشافات حول هـذا الكائن المسمى بالانسـان ، امثال :

فـونت Winudt وهو مؤسس علم النفس التجريبى ، واهتم بدراسة علم نفس الشعوب وفرق بينه وبين علم النفس التجريبى ، فى أن الأول يهـدف الى فهم الظواهر الاجتماعية والحضارية ، فى حين يهتم الثانى بالدراسـة المعملية للعمليات العقلية •

والعالم سير فرانس جالتون Sr. Francis Galton الذى درس علم نفس الفرد Individual Psychology واعتمد فى دراسته على تاريخ حياة الفرد والناحية الوراثية ودراسة التوائم •

وقـد تبعـه فى هـذا المجال وهـذا الاتجاه بيرسون Pearson وسـبيرمان spearman وغيرهم •

وفى فرنسا اكتشف التنويم المغناطيسى واستعماله فى أمراض الهيستريا ، على يد برنهـايم Bernheim •

ومن أهم المذاهب التى ظهرت فى اوائل القرن العشرين :

١ ــ مدرسـة التحليل النفسى Psychoanalysis :

وانشأها فرويد Freud الذى تتلمذ على بروك Brucke اذ اهتمت هذه المدرسة بالحياة الانفعالية ودوافـع السلوك • وتفسيره للدوافع واظهار اهميتها وبخاصة الجانب اللاشعورى فى سلوك الأفراد •

وقـد طبق فرويد قانون السببية فى تفسير السلوك الانسانى وذلك فى مبدأ الحتمية السلوكية Psychic determinism الذى يقرر أن كل ظاهرة سلوكية لها اسباب فى حياة الفرد • وأن اى سلوك يعتبر حتميا ما دام

وراءه سبب • وان مقدار الحتمية يتوقف على كفاية السبب الى درجة ان جميع النواحى أو العوامل المتداخلة فى السلوك تنبع من الظروف السابقة له ولا دخل للصدفة فيها واعتبر أن الأسباب النفسية Psychic causes هى رغبات أو دوافع أو حوافز •

وأرجع فرويد السلوك الانسانى الى دوافع لاشعورية وجعل مجال الحياة اللاشعورية واسعا ومؤثرا الى حد كبير فى حياة الفرد الشعورية : كما جعل الدوافع التى سماها الغرائز وقصرها على غريزتى الحياة « وتتمثل فى الغريزة الجنسية » والموت (وتتمثل فى غريزة العدوان) اساسا للطاقة النفسية ، كما أرجع جميع الانحرافات النفسية الى دوافع لاشعورية • واعتبر السلوك الشاذ نتيجة للصراع بين القوى الشعورية والقوى اللاشعورية فى الفرد •

وتعددت المدارس بعد ذلك مثل :

٢ – المدرسة الغرضية Hormic Psychology :

وهى المدرسة التى تزعمها مكوجل Mc Dougall وجعلت محور دراستها أغراض السلوك •

٣ – المدرسة السلوكية Behaviorism :

وهى المدرسة التى تزعمها واطسن Watson واوضحت المدرسة المشار اليها أن علم النفس هدفه التنبؤ بالسلوك والتحكم فيه وحذف كلمة العقل من قاموسه وقال ان التفكير كلام داخلى والانفعالات اضطرابات حشوية •

٤ – مدرسة الجشتالت Gestalt :

ومن أهم مؤسسيها فرتيمر Wertheimer وكوفكا Kofka وكوهلر Kohler ونقطة البداية عندهم فى دراسة السلوك هى البيئة الاجتماعية لا الفرد • والادراك هو محور الارتكاز فيها • ويؤكد الجشتالت

وحــدة الكائن الحى مع المجال السلوكى الذى يوجــد فيه • ويوضـــحون أهمية ديناميكية تفاعل قــوى المجال وقت حــدوث الادراك •

كما يرون أن السلوك الذى يثيره الموقف يعتمد على معنى هــذا الموقف بالنسبة للفرد وعلى علاقته بعوامل وقــوى المجال الأخرى •

لقــد استعرضنا وبشكل سريع بعض المفاهيم والمدارس عن علم النفس ، ولقــد تحيزنا له فى تعريف ودراسة ماهية الانسان لاننــا ــ ومن خــلال ما استعرضناه ــ نرى أن علم النفس :

١ ــ انه العلم الذى يدرس الحياة النفسية وما تتضمنه من افــكار ومشاعر واحساسات وميول ورغبات وذكريات وانفعالات •

٢ ــ أنه العلم الذى يدرس سلوك الانسان ، أى ما يصــدر عنه من افعال واقــوال وحركات ظاهرة •

٣ ــ انه العلم الذى يدرس أوجــه نشاط الانسان وهــو يتفاعل مــع بيئته ويتكيف بهــا •

وبالتالى فهو علم متخصص أكثر من غيره فى فهم الانسان ، ولمــا كنا نبحث عن وفى أن المراة كائن اجتماعى كامل ، اى انسان كامل ، فكان لزاما علينا ان تكون مقــدمة المدخل لهــذا البحث ، هــو الاستعراض السريع لمدارس علم النفس ، كما هى ، دون أن نشير الى تحيزنا الى مدرسة معينة أو نقــدنا لهــا ، ولكن سوف يظهر ذلك عندما ندخــل فى صلب البحث • باحثين ومؤكدين على كون المراة انسان كامل مثلها مثل الرجل أو أن الانثى كائن اجتماعى كامل •

ويلزم علينا الآن ان نحــدد ماهية الانسان ذلك بعــد استعراضنا لبعض مدارس علم النفس ••

(ان الانسان هـو كائن بيولوجى جاء نتيجة للتطور عن سلفه الحيوان بارتقائه سلم هـذا التطور ، ونتيجة لارتقائه سلم التطور ، أصبح له حياة نفسية ، اى هـو كائن بيولوجى ذو أفكار ومشاعر وميول ورغبات وذكريات وانفعالات ، وله سلوك مسئول عنه ـ اذا كان سـويا اى مسئول عما يصـدر منه وعنه من اقوال وحركات وافعال · وهـو ذو نشاط خلاق يتفاعل مـع بيئته ويتكيف معها ويطوعها له) ·

ومن هـذا التعريف للانسان نبدأ : الانسان يشمل كلا النوعين : الذكر والانثى ، كما استعرضنا فى الفصل الأول أو المبحث الأول كيف تم قهر المرأة فلنا ان نضيف هنا أن كلمة انسان اصبحت تشير الى الرجل منذ أن اغتصب الرجل المرأة اجتماعيا من حيث نسب الأطفال اليه · ونحن قـد استعرضنا منذ نشوء الأبوية ، كيف أن الرجل قـد ظن فى نفسه أنه « المعيار » ، واصبحت الرجـولة فى نظره هى القاعـدة السوية ، وصارت الانوثة عنده مرادفة لظاهرة « غير طبيعية » ، واصبح الرجل وحـده هـو مقياس لجميع الأشياء · ولعـل هـذا هو السبب فى أن كلمة « الفضيلة » فى معظم اللغات الأوروبية المشتقة عن اللاتنية ، اشتقت من كلمة الرجـولة ·

وليس بدعا أن يظن الرجل فى نفسه ، انه هـو الذى خلق المرأة :

فان الرجال بالفعل قـد خلقوا صورة « الانثى الخالدة » ، خلقوها باوهامهم واحلامهم وآلامهم وامالهم · وايضا جهلهم ، وهـذا هـو السر فى أن المرأة قـد بقيت فى نظر الرجل دونية رغم غموضها لديه ·

وفلسف الرجل هـذا الجهل والغموض فى أوضح صورة على لســان « نيتشه » عندما قال :

« أن الرجل هـو الذى خلق المرأة ، وهـو قـد خلقها من ضلع آلهة ، أعنى ببضعه من مثله العليـا » ·

وسوف يشمل هـذا البحث النقاط التالية :

اولا : الفروق البيولوجية بين الجنسين ٠

ثانيا : الطبيعة الجنسية للمرأة ومقارنتها بالرجل ٠

ثالثا : الطبيعة السيكولوجية للمرأة ومقارنتها بالرجل ٠

رابعا : المرأة كائن اجتماعى كامل ٠

اولا – الفروق البيولوجية بين الجنسين « الرجل ، المرأة » :

من البساطة جـدا ، ان يقال أن الرجل هـو « القضيب » والمرأة هى « الرحم » أو أن يعرف الرجل بأنه الحيوان المنوى والمرأة بأنها البويضة ، ولكن هـل يكفى اختلاف عضو التناسل عند كليهما لفهم نفسيتهما وتفسير شتى مظاهر السلوك لدى كل من منهما ؟ وهـل تصلح الفروق البيولوجية بين الرجل والمرأة فى وضع فروق سيكولوجية حاسمة بين الواحـد والآخر ؟ ٠

ولذلك بدأنا بالفروق البيولوجية بين الرجل والمرأة : –

انه من المعروف بيولوجيا وفيسيولوجيا ، أن ليس هناك من ذكر خالص مائة فى المـائة وليس هناك انثى خالصة مائة فى المـائة ، بل ان الأعضـاء الجنسية والهرمونات الجنسية فى كلا الجنسين تتداخل ، ويحتفظ الرجل ببقايا اعضاء انثوية منذ كان جنينا ، وتحتفظ المرأة ببقايا اعضاء ذكرية ويوجـد فى الجنسين فى مختلف مراحل العمر هرمونات مؤنثة ومذكرة ٠

ويقول العلامة « مارانون » Maranon (بأن الكائنات كانت فى البدء ذات جنس مزدوج ، ثم لم تلبث ان خضعت لضرب من التطور ، فانتقلت من الطراز « المؤنث » الى الطراز « المذكر ») ٠

ومعنى هـذا ان المراة أو الانثى هى الأصل الذى اشتق منه الذكر ، وعليه فهى الصورة الأولى للنوع البشرى ، أما الرجل فانه الصورة الثانية التى تفرعت عن ذلك الأصل وهـذا يؤكد ما قلناه سابقا فان الذكر لن يكون سوى (أنثى متفاضلة) بمعنى ان ينطوى فى اثنائه على (أنثى كاملة) هى الجنس الأصلى الذى صـدرت عنه كل الثدييات ·

وعلى ذلك فان هـذه الانثى الكامنة هى بطبيعة الحال على استعداد دائم لان تظهر بشكل واضح ، حينما تستأصل تلك الغـدد الزائدة التى تعوق ظهـورها ·

اذن فان الفروق الجنسية بين الذكر والانثى ليست فروقا جوهرية أصـلا أو اصيلة ، بل هى فروق فرعية مستجدة · ويمكن كما يقول علماء البيولوجيا ـ أن نقول ان للتركيب الجنسى لأفراد كل فصيلة ، اساسا مشتركا يحتمـل التذكير والتأنيث وهـذا ما عبر عنه « مارانون » بنظريته فى « الامكانيـات الجنسية المتعـادلة » ·

ولقـد اكتشف علماء الغـدد بأن كثيرا من انسجة الذكر تتفاعل مـع الهرمونات المؤنثة (مثل الثديين والجلـد والشعر والمناطق الدهنية) والعكس صحيح ، اى أن كثيرا من انسجة الانثى تتفاعل مع الهرمونات المذكرة ·

وقـد بدأ علماء الفسيولوجيا (فسيولوجيا المخ) يصلون الى فهم العمليات المركزية للسلوك فى الحيوانات ، بما فى ذلك السلوك الخاص بالانثى ، والسلوك الخـاص بالرجـل ·

ولقـد اكتشف العلماء هنا شيئا جديدا غريبا ، ذلك أن الحالة الأصلية للعمليات المركزية المخية هى الانثى · اى أن مـخ الجنين (الهيوثلاماس) Hypothalamus لا ينتج عن سلوك ذكرى الا اذا تأثر بفعل الهرمونات

المذكرة · ولو أن هـذه الهرمونات المذكرة تعطلت بسبب أو آخر في الفكر ، فان الانوثة تحـدث على الفـور · ومعنى هـذا أن مخ الجنين يحتاج الى تنشيط هرمونات الذكورة ليشكل اعضاء الذكر ، وبغير هـذا التنشيط فانه يصبح انثى وتتفق هـذه النتائج الجـديدة التى وجـدت مع ما عرف عن الكروموسـامات فان الكروموسـوم الذكرى المسمى (Y) ليس الا كرموسوم (X) الانثوى ولكن بشكل اقل تطورا ، واقل حجما ، وأقل نشاطا ·

وهـذا يتفق مع الحقيقة التشريحية التى تقول بأنه فى تطور الجنين ، فان عضو الذكر يتطور من بظر الانثى ، اى أن عضو الذكر ليس الا بظرا مذكرا ·

أن لكل من الذكر والانثى هرمونات خاصة · وخصائص بيولوجية محددة ولكن ربما كان من الخطـأ أن نعـدهما بمثابة وحـدتين مستقلتين تقوم كل منهما بذاتها ، بينما هما فى حقيقة الأمر حالتان متماستان ، وقـد يبلغ بهما التقارب أن يندمجا معا ليكونا حـالة مختلطـة هى ما يعرف بالخنثى Hermaphrodite ونحن قـد وجـدنا ان كثيرا من علماء الجنس يرفضون التحـدث عن « نوع مذكر » و « نوع مؤنث » لانهم يعلمون أن ليس ثمة سوى سلسلة طويلة من الحالات الجنسية التى تمتد ابتداء من « الخنثى » حتى تلك الأشكال المعتدلة التى تكاد تكون سوية طبيعية · ونحن نشير هامشيا ان بعض مزايا هـذه النظرة الجـديدة الى « الجنس » انها تساعدنا على فهم الكثير من الحالات الجنسية التى طالما نظر اليها المجتمع على أنها « انحرافات » أو حالات شاذة ، مثل حالة التخنث وحالة الجنسية المثلية · ذلك أن الخـلاف بين ما هـو طبيعى Normal وما هو مرضى Pathologique انما هـو مجرد خلاف كمى ·

ان ما أشرنا اليه هامشيا مفيد لبحثنا من حيث ان التجارب فى مجـال الفروق الجنسية قـد دلتنا على انه ليس من الصحيح أن هناك ثمة « رجـولة خالصة » أو (أنوثة خالصة) · وبالتالى ليس فى استطاعة احـد اليوم أن يفخر بأنه تام الرجولة ، فبأى حـق نحكم بالغرابة أو الشذوذ على قوم بلغت درجة

(الرجولة) عندهم حـدا ادنى مما يوجـد لدينا ؟ انهم اخـذوا من (الجنس الآخر) « الانثى » قسطا اوفر مما اخـذنا ولذلك ظهرت لديهم حالة (الاختلاط) بشكل أوضـح وأظهر ٠

ولكن مهما كان حظنا من الذكورة ، فاننا وكما أشرنا سابقا ، نحمل فى ثنايا تكويننا الجسمانى والنفسى قسط قل أو كبر من (الانوثة) ٠

وقـد دلتنا التجارب على أن التمييز التام بين الجنسين قـد يكون ضربا من المستحيل وهـذا ما عبر عنه « بيـدل » Biedel بقوله أن الرجل الخالص والمراة الخالصة هما حالتان قلما يلتقى بهما المرء فى الظروف العادية ٠

أن الاناث والذكور يفرزون هرمونات مختلطة بنسب وكميات متفـاوته فهل يكون معنى هـذا أن الرجـل هـو (هرمون الذكر) « التستستيرون Testostérone وأن المراة هى (هرمون الانثى) Folliculine اى أن مشكلة الفروق الجنسية مجرد مشكلة كيماوية هرمونية ؟ ٠

الرد بالنفى تماما لانه على سبيل المثال فان اللعاب ليس هو الشهية ، وبالتالى فهرمون الذكر ليس هو الرجولة ٠

والآن ننتقل الى نقطة اخرى ، تتعلق بالضعف الجسمى التى اعتـاد المجتمع أن ينسبه الى المراة ، فانه من المؤكد - طبقا للأبحاث البيولوجية - أن تكوين المراة البيولوجى قـد يجعلها فى نظرنا ادنى قـوة واقل صلابة من الرجـل :

١ - قوة المراة العضلية أقل من قوة الرجل ٠

٢ - عدد الكريات الحمراء الموجودة لديها أقل مما لدى الرجل ٠

٣ - قـدرة المراة على التنفس اضعف من الرجل ٠

ولكن هل هـذه المبررات تكفى للقول بأن المراة تمثل « الجنس الضعيف » وهل بيولوجيا وفسيولوجيا من الممكن أن تصم الانوثة بالضعف والنقص والقصـور ؟

انه من دروب العبث أن تكون القـــوة مساوية للذكورة والضعف مساوى للأنوثة ، ذلك أننا لا نرى أن العــلاقة بين الرجل والمرأة علاقة موجب بسالب ٠

قلنا أن المـرأة أدنى قوة واقل صلابة من الرجل ، والآن نعدد نواحى قوة المراة وضعف الرجل :

١ ــ اذا تعرضت المـراة لظروف عدوى فان احتمال اصابتها بالمرض يكون اقل من احتمالات اصابة الرجل فى نفس الملابسات ٠

٢ ــ نسبة الوفيات بين الرجال اعلى منها بين النساء على الرغم من العــديد من الاخطار التى تتعرض لهــا المـرأة بسبب الحمل والولادة ٠

٣ ــ متوسط العمر عند النساء أعلى منه عند الرجال ٠

واذا كنا نؤكد على أن ضعف النساء جسمانيا لا شـك أن له أسسه البيولوجية فى تركيب المـراة عضويا ٠ فاننا قد لا نعــدم لدى الاجناس ابدائية وبعض المجتمعات الحديثة ايضــا ، نساء يستطعن القيام بأعمال عضــلية عنيفة ونحن نجـد أن الضعف الجسمى (النسبى) للأنثى ليس وليـــد تكوينها البيولوجى وحــده وانمــا تدخلت عوامل اخـرى فيه مثل العــوامل التربوية والاجتماعية ٠ والا لمــاذا نجد سباحات ممتازات ومتسلقات جبال ولاعبات جمباز ! ٠ بل أن التاريخ يحــدثنا عن نساء اليونان كثيرا ما استطعن التغلب على الرجال ، وكذلك نساء ألمـانيا خصوصا ابان القتال ، حينمــا كانت المحاربات ينافسن الرجال فى ميــدان الصراع ، واما حيث ظل نشاط المـراة مقيدا ومحظورا وتتدخل فيه العادات والتقاليد ، فان مثل هــذه المقدرة الجسمانية لابد من أن تكون أضعف واقل ٠ كما هو الحــال لدى معظم نســاء الشرق عامة(٣) ٠

وأخيرا فقــد كشفت الحقائق العلمية عن أن الانســان ، ذكرا أو انثى ، له عقــل يفكــر ، وله قدرات ذهنية تزداد أو تقــل حسب الظروف الاجتماعية

والاقتصادية والنفسية والتروبوية التى يحياها ، وأثبتت الفروق التشريحية بين الرجل والمراة ان لا علاقة لهـا بالقدرات الذهنية لكل منهما ، وان الرجـل المستعبد يظهر غباءا لا يقل عن غباء المـرأة المستعبدة ، وهناك احدث المعلومات البيولوجية التى تقول ان المخ البشرى فى بداية تكوينه الجنينى داخل الرحم يكون أنثى وان مخ الرجل ليس فى أصـله الا مخ أنثى ثم حدثت له عمليـة تذكير طارئة بفعل الهرمون الذكرى ، والحـال نفسه فى الجنين كله الذى ينشأ أصلا أنثى ، وليس مزدوج الجنس ، كما عرف سابقا فى علم الاجنة ٠

وعليه ، وطبقا لاستعراضنا لبعض الحقائق البيولوجية والفسيولوجية السابقة ، وكما يتفق عليه معظم العلماء المحدثين ، انه فيما يختص بالانسان فليس هناك جنس يعتبر اسمى من الجنس الآخـر واذا فرض « خـطأ » أن هناك جنس اسمى من جنس ، فان الجنس الاسـمى ليس هو الذكر وانما قد يكون هـو الجنس الانثوى بسبب تلك الحقائق البيولوجية والفسيولوجية ، وكذلك ما استعرضناه من الحقائق التاريخيـة لدور الانثى فى المجتمعـات البدائية « فى المبحث الأول » ، والسبق التطورى الذى أحرزته الأمومة على الأبوة بيولوجيـا ونفسيا وانسـانيا ٠

ثانيا ـ الطبيعة الجنسية للمراة ومقارنتها بالرجل :

انه من الشائع جـدا ومن المعروف ، ومن الملاحظة المتأنية ، أن فقـدان القـوة الجنسية لدى الرجل ، هـو اكثر ما يؤرق الرجل ويبعث فى نفسه الخوف والقلق ، وانه فى حاجـة دائمة الى ما يؤكد له انه مكتمل الرجـولة ، وأن رجـولته أو قـوته الجنسية لا تقل ولا تضعف وهـذا يحـدث للرجل اكثر مما يحدث للمراة وجاءت اقوال بعض العلماء قاصرة فى وجهة نظرنا حيث أستقروا على أن الرجل هو الطرف الايجابى فى الجنس وهو المبادىء وهو الفاعل وعليه تقع مسئولية الفعل ، أما المراة فهى الطرف السالب الذى يتقبل عضو الرجل فقط وهى لا تقع عليها عبء الفعل ٠ وهـؤلاء العلمـاء من علمـاء البيولوجى والفسيولوجى اتجهوا الى علم النفس أيضا ليدعموا نظريتهم ، ولم يجـدوا أمامهم سوى مدرسة التحليل النفسى الذكورية الابوية ، حيث ارجعوا هـذه

الظاهرة الى عقدة أوديب وعقدة الاخصاء التى يشعر بها الطفل الذكر ولا تشعر بها البنت · حيث يكتشف الطفل الذكر وجود عضوه ويكتشف اللذه حين يمارس العادة السرية · وحين يكتشف الطفل ان اخته لا تملك العضو الذى يملكه يظن انها عوقبت وأخصيت ويزداد خوفه من الاخصاء مثلها ، ان هذا الخوف يجعله فى قلق دائم على عضوه ، وعلى عدم فقدانه أو عجزه عن الانتصاب ·

وهناك من قائل أن اهتمام الرجل بالجنس أشد من اهتمام المراة ، وبالتالى قلقه على الجنس أشد من قلق المرأة ، وان طبيعة الرجل الجنسية اكثر عنفا من طبيعة المراة ، وان الرجل فى حاجة الى اشباع أكثر من المراة ·

والرد على علماء البيولوجى والفسيولوجى (بعضهم المشار اليه سابقا) ، أنه قد ثبت ان المراة ليست طرفا سلبيا فى الجنس وأنها ايجابية كالرجل ، وأنها يحدث لها اثارة وانتصاب فى البظر تماما كالرجل · وعضلاتها الجنسية ذات قدرة فائقة نادرة على الممارسة الجنسية الكاملة وهى تصل الى قمة اللذة كالرجل تماما (الأورجازم) وان البرود الجنسى (اى النقص فى كفائتها الجنسية) لديها قد ينعكس على الرجل ·

أما الرد على مدرسة التحليل النفسى الفرويدية ، فنحن نجدها عند علماء النفس الجدد الذين فندوا هذه النظرية وقالوا أن البنت ايضا تكتشف اللذة عن طريق مداعبتها للبظر ، وأن الأطفال البنات يمارسن العادة السرية كالأطفال الذكور ·

أما القائلون بأن اهتمام الرجل بالجنس أشد من اهتمام المراة ، فلا يوجد له أى دليل بيولوجى بل لقد اثبت علم البيولوجى فى السنوات الأخيرة ان طبيعة المراة الجنسية ليست اقل من الرجل وربما تزيد عليه ، وذلك لأسباب ترجع الى مراحل التطور الجنسى فى الحيوانات الثديية الى أن نتجت انثى الانسان (المراة) وذكر الانسان (الرجل) .

ولقـد وجـد أن كلا من الرجل والمراة ، يمر عبر مراحل أربعة منذ حـدوث الاثاره الجنسية حتى الانتهاء من العملية الجنسية اى حـدوث الاشباع حتى الأورجازم وهـو قمة اللذة والعودة الى الحالة الأولى قبل حـدوث هـذه الاثارة وهـذه المراحـل وهى :

١ ـ مرحـلة الاثارة ·	Excitement
٢ ـ المرحـلة المرتفعـة ·	Platean
٣ ـ مرحـلة الأورجازم ·	Orgasm
٤ ـ مرحـلة الهبـوط ·	Resolution

ووجـد ان اى نشاط جنسى انسانى يمر عبر العمليات الأربع السابقة · ولقـد أعتقـد خطـأ بأن مرحلة الأورجازم (المرحلة الثالثة) ليست موجودة لدى المرأة لأن المرأة لا تقـذف السائل المنوى الذى يقـذفه الرجل عند وصوله للمرحلة السابقة · وتصور البعض خطـأ أن القـذف عملية ذكورية بسبب وضوحها وبسبب الكمية الكبيرة التى تقـذفّ · وعلى ذلك بنـوا ان نشـاط الرجل الجنسى اعلى من نشاط المراة الجنسى لأن عضو الذكر أكبر من البظر حجمـا وشـكلا ·

ولكن اثبتت ابحاث السنوات الأخيرة الحـديثة أن المراة يحـدث لهـا الأورجازم وانها هى الأخرى تقـذف فى قمة الأورجازم · وان النشاط الجنسى للبظر عند المرأة مماثل للنشاط الجنسى للعضو الذكرى ·

نحن هنا نتحـدث عن المرأة الطبيعية ، اى المكتملة الأعضاء التناسلية وخاصـة وجـود البظر ·

اما فى المجتمعات المتخلفة مثل مصر والتى ما زال تمارس فيـه عادة ختان البنات أى استئصال الجزء الأكبر من البظر ، وعادة وخاصـــة فى

الريف ، والاحياء الفقيرة يستأصل البظر بشكل كامل . وفى هذه الحالة فانه من المستحيل والصعب تماما ان تصل المرأة الى حالة الأورجازم ، وتستلزم عملية الاثارة وقتا طويلا وهؤلاء هن من يطلق عليهن الباردات جنسيا . ولكن من المتسبب عن هذا البرود لدى المرأة ، أهى الطبيعة التى خلقت المرأة هكذا ؟ أم الجهل وفقدان الثقة فى المرأة من قبل المجتمعات المتخلفة ؟ . الاجابة واضحة : الطبيعة خلقت المرأة كائنا كاملا جنسيا ، اما المجتمع – ارتباطا بقهر المرأة واغترابها عن مجتمعها فهو المسئول عن بتر العضو الحساس لديها (البظر) والقضاء على متعتها .

وذلك ينعكس على الرجل ، فمعظم مدمنى المخدرات والمستخدمين للعقارات والدهانات الذين يعتقدون خطأ ان تلك الأشياء تؤجل القذف ، يفعلون ذلك من اجل الوصول بالباردات جنسيا الى مرحلة الأورجازم . وتاتى النتيجة عكسية فكثيرا ما يحدث ضعف الانتصاب وسرعة القذف أو الاثنين معا .

وكما تقول الدكتورة/نوال السعداوى : (أن الجنس ليس عملية بيولوجية بحتة وليس عملية كيمائية يمكن ممارستها بواسطة العقاقير المنبهة أو المخدرة ، وانما هى عملية انسانية بالدرجة الأولى ، تحتاج الى أن يشعر الرجل أنه انسان عاقل وليس حيوانا اعجما غائبا عن الوعى ، وتحتاج الى أن تشعر المرأة انها انسانة عاقلة وليست جثة مبتورة الأعضاء ، باردة الأحاسيس ، وتحتاج من الاثنين معا التبادل الانسانى بحيث ينظر كل منهما الى الآخر على أنه انسان مثله تماما وليس هناك من هو أقل من الآخر أو ادنى) .

ولقد اثبتت العديد من البحوث البيولوجية والنفسية ، بانه ليس هناك ثمة اى فارق جنسى أصيل بين المراة والرجل من حيث شدة الحافز الجنسى ولكن فى معظم المجتمعات الابوية الذكورية وخاصة المجتمعات المتخلفة ومن بينها مصر ، حيث التقاليد والعادات التى تعطى الذكر قدرا اعلى بكثير من الانثى فى خوض تجارب جنسية فان الكثير من الذكور تكون لديهم جزء من الخبرة الجنسية أكثر من الاناث .

واذا كانت المجتمعات الحديثة قد اخذت الى يومنا هذا بنظام الزواج الأحادى Monogamic فان هذا لا يمنع الرجل والمراة من الاستجابة جنسيا لاى موضوع جديد للحب (اى أن كليهما تعددى فى الحب Poly - erotic) ومعنى هذا انه ليس ثمة فارق جنسى بين الرجل والمراة فى هذه الناحية أيضا ٠

وبمقارنة المراة بالرجل توصل علماء الجنس الى ما يلى :

١ ـ أن الأصل التشريحى واحد والوظائف نفسها والأحاسيس ، واحدة لدى أعضاء المراة والرجل الجنسية ٠ وان عضو الذكر والبظر على نفس القدر من الحساسية للاثارة الجنسية ٠

٢ ـ ليس هناك ما يثبت أن ثمة فروق بين حساسية جسم المراة والرجل للجنس فى جميع أعضاء الجسم المتشابهة والمناطق المعينة منه ٠ حيث تلعب نهايات الأعصاب فى الجسم الدور الرئيسى فى الاثارة الجنسية ٠ وتلك موزعة وموجودة فى أعضاء الجسم عند الرجل والمراة بالتساوى ٠

٣ ـ المراة أكثر حساسية فى ممارسة الجنس ، حيث أن الشفرتان الداخليتان وفتحة المهبل مناطق حساسة فى المرأة لا يقابلها مثيلها عند الرجل ٠

٤ ـ لدى المراة اعضاءا تثير الرجل ولا تلعب دورا اساسيا فى اثارتها مثل مهبل المراة ٠

٥ ـ يفتقد الرجل الى الرحم وهو الذى ينمو فيه الجنين حتى الولادة ٠

٦ ـ ليست هناك ثمة فروق تشريحية بين الرجل والمراة فى الوظائف الأساسية للجنس ٠

٧ – لا توجد فروق فى الأحاسيس السطحية او العميقة لأى عضو أو منطقة فى جسم المراة تختلف عن جسم الرجل ٠

٨ – ختان الذكور يزيد من حساسية راس العضو الذكرى glans penis

٩ – ختان الاناث يقلل من حساسية الانثى الجنسية ٠

١٠ – سرعة الذكور فى الوصول الى الأورجازم بسبب الحرية الجنسية الممنـــوحة لهم ٠

وتبقى نقطة يجب الاشارة اليها ، الا وهى المرحلة التى تمر بها المراة كمرحلة من مراحل العمر والنضج ، وهى مرحلة سن اليأس ، ان ما يميز تلك المرحلة فسيولوجيا هو أن المراة تصل الى سن يؤذن بانتهاء خدمتها للنوع اى عدم قدرتها على الانجاب ٠ وانقطاع الحيض وتوقف تكوين البويضات ، وضمور الأعضاء التناسلية ٠ وظهور اعراض الشيخوخة على باقى أجزاء الجسم ٠ وقد أطلق الكثيرون على هذه المرحلة من حياة المراة اسم « المرحلة الحرجة » Critical Period نتيجة للتغيرات الهرمونية التى تطرأ على جسم المراة وما يصاحبها من تغييرات سيكولوجية ٠ وهـــذه المرحلة تأتى عقب مرحلة الخصوبة أو الانجاب ، وبعد أن تصبح المراة اما ومربية ومعلمة لابنائها ٠ وحققت التوازن المطلوب للأسرة بالانجاب ، وحافظت على النوع البشرى ٠ وهنا قد لا تجد حرجا فى أن تتقبل بتعقل تلك الأحداث البيولوجية التى تتعرض لهـا بدخولها مرحلة سن اليأس ، أى السن الذى يؤذن بانتهاء خدمتها للنوع ٠

ولكن هـل يعنى ذلك أن قـدرة المراة على الاستمتاع بالجنس قـــد انتهت ؟ أو هل يعنى ذلك أن الانثى فى سن اليأس قـــد تحولت الى رجل ؟ ؟

أن الاجابة بالنفى فقـد اثبتت بحوث « كينزى » أن المراة حتى سن ٩٠ سنة تستجيب للجنس بل وتصل الى الأورجازم ٠ وبالتالى فهى قادرة فى مرحلة سن اليأس على ممارسة الجنس بل والاستمتاع به واقناع الرجـل أيضـــا ٠

وسوف نتحدث بالتفصيل عن التغييرات السيكونوجية التى تحدث للمرأة فى هذه المرحلة من مراحل العمر فى الجزء الخاص بذلك فى هذا المبحث ٠

ان المرأة التى تستطيع أن تتفهم معنى الحب الحقيقى ، ومعنى دورها فى الحياة ومراحل عمرها ، وانها لم تخلق لتصبح أداة أو آلة انجاب ابدية ، والتى تتفهم سعادتها من خلال تربيتها لابنائها كأم ، والتى تحيا مع رجل يتفهم أيضا معنى الابوة ودوره ٠ ان تلك المراة تمر من هذه المرحلة بشكل عادى وطبيعى ولا يقلل ذلك من شأنها ٠ وان كان الرجل قادرا على الانجاب بلا شرط للسن فليس هذا فضلا يضفى عليه ٠ ازاء اعباء المراة الضخمة كأم تحمل وتلد وتربى اجيالا كاملة ٠

وبالعكس فعلى الرجل أن يدرك أن الرابطة التى تربطه بزوجته حرة اختيارية وليست تلك الرابطة القديمة القائمة على أن تكون المرأة آلة انجاب عصبة من الأبناء ٠

وهكذا نصل الى ان الطبيعة الجنسية للمراة لا تقل عن الرجل ، مع اختلاف التكوين البيولوجى ، ولا تعانى المراة الطبيعية من اى قصور فى طبيعتها الجنسية مثلها مثل الرجل الطبيعى ، ذلك فى المجتمعات المتطورة ٠

ثالثا – الطبيعة السيكولوجية للمراة ومقارنتها بالرجل :

اذا ما حاول الباحث أن يرجع الى تاريخ المجتمعات ، فانه سيجد أن مركز الانثى فى الأسرة هو منذ البداية مركز ضعيف مشوب بالدونية ٠ ولقد أوضحنا ذلك بشكل تفصيلى فى المبحث الأول ٠

ولقد أصر « فرويد » رائد مدرسة التحليل النفسى كما اشرنا وسوف نشير الى ذلك فى كثير من نواحى البحث ، على ان حرمان البنت من القضيب يولد لديها الكثير من الاضطرابات النفسية ٠ ولكن السيد فرويد ينسى أن عقلية الانثى الطفل ليست منطقية بالقدر الذى يتخيله ٠ ولو القينا نظرة على

رسوم الأطفال نتأكدنا من انهم لا يرون بالفعل ما هـو واقعى ، وانمـــا هم يصـــدرون فى أعمالهم عن « نماذج » سابقة قـد اختلقوها اختلاقا ٠

وكما يقول الدكتور/زكريا ابراهيم فى كتابة سيكولوجية المراة : (لقـد روى أحـد الباحثين أن بنتـا صغيرة لم تتجاوز الرابعة من عمرها ، كانت تحاول دائما أن تتبول كالاولاد ٠ معربة فى الوقت نفسه عن رغبتها فى امتلاك « شيء طـويل يمكن أن يسيل منه البول » ! ٠ فنحن هنا بازاء حالة تؤكد فيها البنت امتلاكها لقضيب وعـدم امتلاكها له ، وهـو نمط من التفكير يتفق مـع ما اطلق عليه « بياجيه اسم التفكير بالمشاركة) ٠

« ان رؤية قضيب الولد ليست هى الحـدث الخطير الأوحـد الذى يغير من حياة البنت ويسبب لهـا اضطرابات نفسية ، وانما هى الحلقة الأخيرة من سلسلة طـويلة متواصلة الحنقات »هكذا يقول العالم النفسى جـونز ٠

وهكذا نستطيع أن نثبت لمدرسة التحليل النفسى عـدم صحة تشخيصها وتحليلها النفسى ٠ فلا يمكن أن يكون حـدثا خارجيا كرؤية قضيب الولد هـو وحـدة المسئول عن حـدوث صـدمة نفسية للبنت ، أو كما تعبر المدرسـة سالفة الذكر هى السبب فى اصابتها باضطرابات باطنية خطيرة ٠ انمـا يمكننا فقط أن نعـد ذلك عاملا ثانويا مساعدا ٠ نعم ان رؤية قضيب الولد قـد تتسبب فى احـداث صـدمة نفسية لدى البنت الطفلة ٠ ولكن بشرط أن تكون هناك تجارب نفسية سابقة تتكفل بخلق مثل هذا الموقف ٠ وهو كما تحدد المحللة النفسية الشهيرة « هيلين دويتش » أن اكتشاف البنت للاختـلاف التشريحى الموجود بينها وبين الولد ان هـو الا مجرد تاييد وتثبيت لنقص سبق لهـا أن استشعرته ، وبالتالى فهو مجرد تبرير عقلى لهـذا النقص) ٠

اننا نتفق مع « ادلر » فى أن الأحكام التقويمية التى يصـدرها الآباء والمجتمع هى التى تخلع على الولد ذلك الامتياز الذى يصبح القضيب فيما بعـد مجرد رمز له ، فتفسر به البنت ما ينسبه الناس من تفـوق الى الولد بالقيـاس اليهـا ٠

ان للتربية والبيئة تأثيرا كبيرا على حياة الطفلة · فالتربية الخاطئة تحدد للبنت العابها وحركاتها وتوجـه نشاطها للداخـل ، فتمنع من الألعاب العنيفة وتتعلم على يد الأسرة اللعب بالدمية والتناسخ معها · ولذلك نجـد العديد من البنات يتنكرن لانوثتهن المفروضة عليهن ، محاولات اثبات أنهن لسن أقل من الأولاد الذين ينسب اليهم السبق والأولوية ·

وهـذا لا يؤكد ما تدعيه مدرسة التحليل النفسى الفرويدية الذكورية من ان السلوك السابق هـو وليد « عقـدة الذكورة » ·

بل ان الصحيح ان السلوك السابق هـو التعبير الأمثل عن رغبة البنت الدفينة لدعاوى باطلة يجابهها بهـا المجتمع حينمـا يخلط بين « الضعف » ، « والانوثة » وعندما نضيف الى ذلك ما يضعه المجتمع فى أدمغة الاناث (من أن وظيفة المراة الجنسية هى التضحية التى يجب أن تتقبلها لارضاء الرجل واذا اضفنا الى ذلك ان عمليات الحمل والوضع والتربية للأولاد ، تمثل لها تبعات جسيمة لا تنطوى على أية لذة أو متعة امكننا أن نفهم لـماذا تتخـذ الكثيرات بازاء مصيرهن مسلك التمرد شعوريا كان أو لاشعوريا) ·

اننا نرى ان ثورة البنت على « جنسها الضعيف » المفروض عليهـا ، ظاهرة طبيعية فى ظل مناخ ، الرجال فيه هم الحكام والابطـال للتاريخ والروايات · والنساء قعيدات محاربات فى كل مجال ·

ولقـد خرجت علينا مدرسة التحليل الفرويدية ، بأن المراة بطبيعتهـا الانثوية تعشق تعـذيب الرجل لهـا ، اى أنها « ماسوشيه » بطبيعتها ، وأن تلك « الماسوشية » هى علاقة الانوثة الكاملة · ورات هـذه المدرسة الذكورية الابوية ٪ أن الخيالات الجنسية التى تتخيلها الطفلة الصغيرة مع ابيها هى خيالات تنطـوى على الرغبة فى الاخصاء بواسطة الأب · أى ان الرغبة فى الاشباع الجنسى واشباع الأمومة عند المراة ذات طبيعة ماسوشية ·

ورات هـذه المدرسة ايضا ان دم الحيض وعملية الولادة المؤلمة تمنح المراة شيئا من الرضى المـاسوشى فى المجال النفسى غير الواعى • بل أن هـذه المدرسة قـد رات انالمراة ترغب سريا فى الاغتصاب والعنف فى العملية الجنسية وهى تعشق المهانة والاذلال فى المجال النفسى •

ولقـد تصورت احـدى تلاميذ هـذه المدرسة وهى « هيلين دوتيشن » ان ما سوشية المرأة ترجع الى عوامل بيولوجية وراثية وان هناك عامل جينى فى الموضــــوع •

ولقـد ايدها فى ذلك « ساندر رادو » الذى اشار الى وجـود عامل جينى فى المراة يدفع بتطورها الجنسى نحـو المـاسوشية • وهم يستندون فى ذلك الى عقـدة الاخصاء المشار اليها سابقا •

ان الرد على هؤلاء العلماء من مدرسة التحليل النفسى هـو أن أبحـاثهم جاءت عن النساء العصابيات • ولم تكن عن نساء اسوياء • ولقـد وضـحنا بجلاء أن غياب عضو الذكر لا يمكن ان يلعب دورا اساسيا عند المراة السـوية بشكل يجعلها مريضة نفسية • ونحن مع صيحة « كارين هـورنى » فى ردها على ما تدعيه مدرسة التحليل النفسى بصـدد صـدمة البنت لفقـدان عضـو الذكر حين تقول (كيف يمكن ان نطبق هـذه الفكرة فى الحياة اليومية ، انها تشبه حالة الرجل الذى يعتقد ان « جريتا جاربو » أكثر جاذبية من النسـاء الأخريات ، ولكنه لا يجـد الفرصة لمقابلتها وانه ازاء « اكتشافه » لجاذبيتها المتفوقة يفقـد كل لذة فى الاتصال باية امراة يمكنه الاتصال بها) •

ونحن مع نقد « كارين هورنى » فى تعليقها على وصم المرأة بالمـاسوشية عندما تتساءل : كيف يمكن للألم أن يثير البنت جنسيا ؟ واذا كان الألم يثير ويسبب اثارة جنسية ماسوشية ، فلمـاذا لا يصبح الولد الذكر ماسوشيا ايضا ؟ فان كل الأولاد الذكور يرون أن اعضاءهم الجنسية أصغر حجما من اعضاء آبائهم الكبار (كما ترى البنت أن بظرها أصغر من عضو أخيها) وعلى

هـذا فان هـذا الأب يحصل على لذة اكثر منهم ، وعلى هـذا فان الألم الناتج عن هـذا الاكتشاف يفسد لـذة الولد فى العادة السرية ، فيكف عنها ، ويشعر بالالم يثيره جنسيا ، ويجـد فيـه تعـويضا ، وبهـذا تصبح رغبتـه الجنسية ماسـوشية ٠

لقـد ردت « كارين هـورنى » بذكاء شديد متبعة نفس التسلسل غير المنطقى الذى اتبعته مدرسة التحليل النفسى ٠

وبالتالى فنحن نكتفى برد « كارين هـورنى » على رواد مدرسة التحليل النفسى وتلاميذها وتنفى بشكل قاطع الماسوشية عن المراة السوية غير المريضة ٠

ولم يثبت العلم ان هناك علاقة بالجينات لتسبب للمراة « الماسوشية التى تدعيها مدرسة التحليل النفسى الفرويدية الذكورية ٠

وهكذا فالمرأة خالية من تلك العقـدة ٠

لقـد عادت مدرسة التحليل النفسى ورائدها « فرويد » الى ترديد : أن النساء لا يظهرن الذكاء والقـدرات الذهنية العالية التى يظهرها الرجال عامة ، وانهن اقـل اهتماما بالشؤون العامة فى الحياة ، وانهن اقل طموحا من الرجال ، وأقل تعقلا واقل موضوعية وحكمـة ٠ وارجـع ذلك لان « الأنا العليـا » Super - ego عند المراة اضعف من « الأنا العليا » عند الرجل ٠ وكما تقول الدكتورة « نوال السعداوى » فى كتابها المراة والجنس (وسألوه لماذا تكون الأنا العلياعند المراة اضعف ؟ قال لأن البنت الصغيرة عادة لا تكبت عقـدة أوديب ، ولماذا لا تكبت عقـدة أوديب ؟ فقال لانها تدخل المرحلة الاوديبية بعـد أن تقبل حقيقة كونها قـد خصيت (بسبب عـدم وجـود عضو الذكر فى جسمها) ولهـذا فهى لم تعـد تشعر بالخوف الذى يدفعها الى ان تكبت عقـدة أوديب والى تكوين الأنا العليا) ٠

والرد على فرويد : استنتاجاتك معزوله عن الظروف الاجتماعية التى تعيشها المراة فقـد تتخلى المراة عن قـدراتها الذهنية وتعتنق راى زوجها ولو

كان أكثر تخلفا منها لأنه عائلها الوحيد مثلا . وبالمقارنة : ما رأى فرويد كما تقول الدكتورة/نوال السعداوى فى كتابها المشار اليه سابقا (فى آلاف أو ملايين الرجال الذين يحكمون بواسطة حاكم ديكتاتورى ، فاذا بهم جميعا خوفا على وظائفهم وأرزاقهم يعتنقون رأى الحاكم بل يمجدونه تمجيدا عظيما ، ويكبتون فى أعماقهم اراءهم الحقيقية) . هل هؤلاء مرضى والأنا العليا لديهم ضعيفة . أم أنهم يحيون وسط الديكتاتورية ووسط ظروف مجتمع ما ، يمنعهم عن اتخاذ موقف تجاه هذه الديكتاتورية . كذلك المرأة التى يحكمها قانون الزواج الجائر بما أعطى الرجل من حقوق الطلاق وتعدد الزوجات ، ولخوف المرأة من أن يطلقها زوجها وبحكم قانون الزواج الجائر فهى تستسلم لرأى زوجها ولوجهة نظر المجتمع فيها ، تماما كالعبيد أو المحكومين بحكم ديكتاتورى .

اذن المسألة لا علاقة لها بضعف الأنا العليا لدى المرأة ، بل بالمجتمع الرأسمالى الجائر على حقوق المرأة . ولا يجد فرويد أى تبرير لادعائه بأن المرأة تفقد قدرتها الذهنية مبكرا عن الرجل ، لا يجد تبريرا فى أعضاء المرأة الجنسية أو تطورها الجنسية فيقول (أن هذه العملية تبدو وكأنها توقفت وعجزت عن التطور نحو المستقبل ، ويبدو أن ذلك الطريق الطويل الشاق الذى تتطور به الانوثة يستنفذ كل امكانيات المرأة) مقولة لا تستند على أى حقيقة علمية او سند علمى .

بل الرد عليه اذا كان ذلك يحدث فهو أيضا راجع الى تخلف المجتمع الذى تعيش فيه المرأة ويحول بينها وبين تنمية قدراتها الذهنية ؟

واخيرا لقد عادت مدرسة التحليل النفسى لتصف المرأة « بالنرجسية » بسبب اهتمامها الشديد بملابسها وشكلها . ونحن مع من يقول بأن حب النفس عند المرأة نادر جدا . بل أن التضحية بالنفس هى الصفة السائدة لدى النساء ، أنها أم تحمل وتلد ، وربة بيت حتى وان كانت تعمل فهى تعمل عملين فى المنزل وفى عملها الوظيفى وكم من النساء يضحين بطموحهن الفكرى من أجل أن تغذى طموح زوجها وتفوقه .

ان المراة كائن اجتماعى خالى من العقد النفسية ، وطبيعتها السيكولوجية لا تختلف عن الرجـل فى حالة المقارنة المجردة · ولكن كل ما تصاب به المرأة من عقـد نفسية ومن شعور بالدونية والنقص راجع الى الظروف البيئيـــة والمجتمعية التى تعيشها وتحيا وسطها ، وراجع الى ظروف المجتمعات المتخلفة التى ترى أن المراة كائن مقهور ، وتضع قوانينها وعرفها على هـذا الأساس · لتفقـد المرأة قـدراتها الخلاقة والمبدعـة ·

رابعا ـ المراة كائن اجتماعى كامل :

لقـد استعرضنا فيما سبق بشكل مقارن بين المراة والرجل ، الطبيعة أو الفروق البيولوجية والجنسية والسيكولوجية · ومن استعراضنا للنواحى السابقة لم نجـد خلافا بين الرجل والمراة ، عـدا الخلاف فى الدور الطبيعى لكل منهما ، مثل أن المراة تحمل وتلـد ومثل الخلاف التشريحى لكل منهما ، ولكننا لم نجـد شىء يقلل من قيمة المراة او دورها ، بل أن دورها كـــكائن اجتماعى يفـوق الرجل فى نواحى عـديدة ·

ولقـد سبق وعرفنا الانسان بأنه (كائن بيولوجى جاء نتيجة للتطور عن سلفه الحيوان بارتقائه سلم هـذا التطور ، ونتيجة لارتقائه سلم التطور ، اصبح له حياة نفسية اى هـو كائن ذو أفكار ومشاعر وميول ورغبات وذكريات وانفعالات وله سلوك مسئول عنه اذا كان سويا ـ اى هـو مسئول عما يصدر منه وعنه من اقـوال وحركات وافعال ، وهـو ذو نشاط خلاق يتفاعل مـــع بيئته ويتكيف معها ويطوعها له) ونتيجة لهـذا التعريف فان الانسان قادر على عقـد الصلات مع غيره من الانسانيين ، وقادر على الانتاج والعمل ، وقادر على العطاء ، وله فكر يطوعه حسب قناعاته سواء ضـد الانسانية أو معهـــا ، وبالتالى فان الانسان ـ كائن اجتماعى ـ انسان خالى من العقـد ومن كل ما يعوقه عن احراز التقـدم وابراز النشاط الخلاق ·

والمرأة من كل ما استعرضناه سابقا ينطبق عليها تعريف الانسان ، وينطبق عليها انها كائن اجتماعى كامل وناضـج ·

ونستطيع بعد اطلاعنا على كثير من البحوث النفسية والاجتماعية التى اجريت على الانسان (ذكر كان أم انثى) ، أن نوضح ما يلى :

عند تتبع نمو القدرات العقلية لدى الاناث منذ فجر حياتهن حتى بلوغ سن الرشد نجد أن الاناث يتميزن ببعض القدرات العقلية بلا فروق جوهرية بينهن وبين الذكور ، وقد يتفوقن فى بعض الاحيان عليهم فى مرحلة ما قبل المدرسة ، وفى سن المرحلة الثانوية يتغير الموقف لصالح الذكور ، فالجنسين يتقاربان فيما كانت تتفوق فيه الاناث ويتفوق الذكور فيما كانوا يتساوون فيه مع الاناث ، اى ان قدرات الاناث لا تنمو بنفس المعدل الذى تنمو به قدرات الذكور ٠

ففى الذكاء العام نجد أن المراحل المبكرة من عمر الانسان تشهد تفوقا للاناث على الذكور ، ولكن بتقدم العمر يقل هذا التفوق ، حتى يشهد سن الرشد تفوقا للذكور فى مستوى الذكاء العام ٠ مما يوضح ان نمو الذكاء لدى الذكور يسير بمعدل أعلى منه لدى الاناث ، كما أثبتت أبحاث ماكوبى (Maccoby ١٩٦٣) وتتفوق الاناث ايضا على الذكور فى مرحلة ما قبل المدرسة وفى سنوات الدراسة الأولى فى أغلب نواحى الأداء اللفظى ، فهن يبدأن النطق واستخدام الجمل الأكثر طولا ، ويتحدثن بقدر اكبر من الطلاقة فى مرحلة عمرية مبكرة عن الذكور ٠ وتبدأ الفروق فى الاختفاء فى مرحلة دخول المدرسة حيث يتساوى الجنسان تقريبا فى هذه القدرات او يكادان :
Anastasi, 1958

وتتعلم الاناث القراءة والكتابة بسهولة وسرعة اكثر من الذكور ، كما ان عددا اكبر من الذكور يواجهون مشكلة تعثر قدرتهم على القراءة مما يحتم احيانا اعداد برامج علاجية خاصة بهم ٠ ولكن نجد الجنسين يتساوون مع الاناث فى القدرة على القراءة والاستيعاب فى الصفين الخامس والسادس الابتدائى ، فى حين لا يستمر تفوق الاناث الا فى بعض المهارات اللغوية الخاصة ، مثل هجاء الكلمات وتكوين الجمل والطلاقة التعبيرية ، واكثر قدرة على الاستجابة لما يعرض عليهن من صور بتعليقات اكثر استفاضة كما اثبتت بحوث « أناستاس » Anastasi, 1958 .

وفى مجال المهارات فى الرياضيات فسنجد أنه من المعروف أن الذكـــور يتفـوقون على الاناث فى القـدرات فى الرياضيات ، ومن الملاحظ أن الاناث لا يقـدمن كثيرا على اختيار القسم العلمى بالمدرسة الثانوية ، ورغم ذلك فاذا عـدنا الى دراسات الفروق بين الجنسين فى المهارات فى الرياضيات فى مراحـل العمر المبكرة فسوف يدهشنا ما توصلت اليه البحوث من نتائج : فقـد بينت نتائج الاختبارات التى أجريت فى هـذا المجال انه لا توجـد فروق جـوهرية بين الجنسين فى المهارات فى الرياضيات فى سنوات الدراسة الأولى والمتوسطة ٠ وقـد اتضح من بحـوث ماكوبى ١٩٦٣ (Maccoby 1963) أن الاناث فى مرحلة العمر التى تمتد من السابعة الى الحادية عشرة أو الثانية عشرة يمكنهن حـل المسائل الرياضية بمثل كفاءة الذكور ٠ ولا تظهر الفروق الجوهرية بين الجنسين فى المهارات فى الرياضيات الا فى بداية المرحلة الثانوية ٠ حيث يتقدم الذكور على الاناث ٠ فيتفوقون بدرجة واضحة فى الهندسة التحليلية والجبر وحساب المثلثات وجميع أنواع الاختبارات التى تتضمن تحليـــلا كميـا ٠ ويلاحظ فى القـدرات التحصيلية ، أن الفتيات الصغيرات يحصلن على درجات افضل من الأطفال الذكور خلال سنوات الدراسة الأولى أما فى سن الرشـــد وبعـد التخرج من المدرسة فان الرجال يحرزون بشكل عام نجاحا يفوق نجاح النساء فى اى من مجالات النشاط العقلى بوجـه عام كالتأليف (الكتابة) والانجازات العلمية ٠٠٠ الخ ٠

وفى مجال القـدرات الابداعية ، فقـد اختلف الباحثون على تعريف الابداع ذاته وفى رأينا فان الابداع هو (القـدرة على التفكير المتعـدد أو القـدرة على التفكير التغييرى فى مقابل التفكير التقريرى) ، وعلى ضوء ذلك التعريف للابداع ، نجـد أن قـدرات الاناث لا تنمو كما تنمو قـدرات الذكور مع تقـدم العمر ، حيث نجـد أن تجارب تورانس (Torance 1962) تعتبر دليلا على ذلك ، فقـد أجرى تجربة على مجموعة من الأطفال من الجنسين حيث طلب منهم التفكير فى طرق مختلفة لتقـديم مقترحات لتحسين بعض اللعب التى يلعبون بها ، فاظهر اطفال السنتين الأولى والثانية الابتدائية من الجنسين تفـوقا فى تقـديم افكار جـديدة فيما يتعلق باللعب التى تخص جنسـهم ، اما ابتداء من

مرحلة السنة الثالثة الابتدائية فقد أظهر الأولاد تفوقا كبيرا فى التفكير فى مقترحات افضل لأنواع اللعب التى تخص كلا الجنسين معا . كما أظهرت احدى الدراسات التى تناولت عينة من الذكور المبدعين انهم ينزعون فى الكبر الى تحقيق امكانياتهم وطاقاتهم الكامنة فى مهنهم وانتاجهم المبدع فى حين لم يلاحظ ذلك على الاناث المبدعات .

يذكر « اليس » ١٩٠٤ (Ellis 1904) انه لم يجد من بين ١٠٣٠ حالة للمتفوقين الذين قام بدراستهم الا ٥٥ امراة فقط ، برزت أغلبهن فى مجالات خاصة مقصورة على النساء وحدهن .

وفى حصر مماثل « لكاتل » فى نفس الفترة تقريبا (Cattle 1903) لم يجد الا ٣٢ أمراة فقط من الشهيرات بين الف شخص ، من بينهن احدى عشرة امرأة فى منصب الحاكم بالوراثة ، بالاضافة الى ثمانى أخريات لعب الجمال أو بعض الظروف الجانبية الأخرى دورا هاما بالنسبة اليهن ، والباقيات فقط هن اللائى كسبن شهرتهن من خلال نبوغهن أو عبقريتهن .

وتخلص من ذلك ، الى ان الاناث فى مراحل العمر المبكرة يتفوقن أو يتساوين مع الذكور فى القدرات العقلية ، ولكن تبدأ هذه الصورة فى التغير عبر الزمن ففى الوقت الذى نجد فيه نموا مطردا للقدرات العقلية لدى الذكور لا نرى نموا مماثلا لنفس القدرات لدى الاناث .

ونحن عندما نتساءل عن أسباب الضعف النسبى لمستوى الانتاج العقلى للمرأة ، نجد من خلال العديد من البحوث ، أن الفتاة بمجرد وصولها الى سن المراهقة تبدأ فى الاحساس بانه لا جدوى من ملاحقة الذكور ، الذين تهيأت لهم كل الفرص لاحراز النجاح العلمى والعملى ، ذلك يرجع الى رفض المجتمع وقيوده لملاحقتها للذكور من أجل التفوق ، وخنقا لدوافعها فى ادراك النجاح ، وتبعا لضغوط المجتمع تتكيف الفتاة مع الدور المرسوم لها جنسيا كأم وربة منزل ولا يرتبط ذلك كثيرا بالعمل العقلى ، وحتى بالنسبة

للفتاة العاملة فهى دائما تتقبل العمل الروتينى الميكانيكى الذى لا ينطوى على قــدرات عقليــة ٠

وتذكر « بوردويك » (Bardwich, 1972) انه يمكن تقسيم حياة الفتاة الى مرحلتين : مرحلة ما قبل البلوغ ومرحلة ما بعـد البلوغ ٠ فهى تحصل فى مرحلة ما قبل البلوغ على مزيد من الحريات فتسلك كما تريد وتختار الدور الذى تفضله وتكافأ وتشجع على المنافسة والتحصيل والتفوق وتتدرب فى نفس الوقت على دورها الجنسى التقليدى ، وبامكانها أن تمارس ثنائيتها الجنسية bi - sexual كيفما شاءت ٠ ولكن يختلف الأمر عند البلوغ حيث تنتهى حريتها فى ممارسة هـذه الثنائية الجنسية ، وتحرم من التشجيع الكافى على المنافسة ٠ وتزداد صفاتها النضالية من أجل التفـوق فى العــلم والعمل ٠ ويصبح دورها الانثوى التقليدى هـو ما تشجع عليه ٠ بل يصبح وسيلتها الوحيدة والفعالة للحصول على المكاسب ، وطريقها فى تحـديد ذاتهـا ذلك التحـديد الذى يتحقق عن طريق عـلاقة الفـرد بالآخرين ، وكسب المهارات التى تجعله محبوبا أو مقبولا اجتماعيا ٠ ومرونته ومطاوعته الشخصية التى تكسبه القـدرة على التكيف ٠ ومثل هـذه المرونة هى التى تجعل الفتاة تقبل وتتكيف مع فرة سيادة الذكور وتفـوق انتاجهم العقلى ٠

وهكذا تتعلم الفتاة كيف تكون انثى ، وتدرب على دورها الانثوى ، ذلك الدور الذى اصطلح عليه المجتمع ، الا وهـو السلبية والاذعان والاتكالية وضعف الامكانيات العقلية وتنشأ الفتاة وهى تسلك هـذا المسلك لكى تتعلم دورها وتعرف مكانها باعتبار أن هـذه الصفات الانثوية تعـد اساسية فى تكوينها كامراة قادرة على أن تقـوم بواجباتها كزوجة وأم ٠ أما التطلعات والأمال الطمية فيبدو انها تصبح مرتبطة بالذكور أكثر مما هى مرتبطـة بالاناث ٠ وهنا يمكننا أن نلمح كيف يتكون الدوران المختلفان لكل من الذكور والاناث ٠

ان كل ما سبق يصل بنا الى نتيجة محددة بعينها وهى أن المجتمع يستطيع ، بل هو المسئول ، عن تطويع أفراده الى الحد الذى تتطابق الغالبية العظمى منهم أو تكاد مع المعيار أو النمط الذى وضعه المجتمع :

فالامتثال للدور الجنسى هو العملية الأساسية التى يتعلمها الطفل بدون اختيار منه أولا ، ثم تصبح بعد ذلك عملية شعورية يدرك عن طريقها كيف يتعلم وكيف يشعر ويتصرف كأبناء جنسه وليس كأبناء الجنس الآخر • والانثى تمتثل للدور الانثوى الذى فرضه عليها المجتمع وفى نفس الوقت هى تفضل عليه الدور الذكرى فى حين نجد أن الذكور يعتزون بدورهم الذكرى • ونحن نتفق مع ملاحظات Tomboy من أن المجتمع يستنكر بشده موقف الذكر الذى يتخذ أو يمتثل دور الانثى والعكس صحيح •

وتضيف « كانينجهام » Cunnigham مؤكدة نفس الفكرة وتلاحظ أن الفتيات يسمح لهن بارتداء ملابس الذكور بدون أى استهجان من المجتمع (فى العديد من المجتمعات على اختلاف انماطها فقيرة أو راسمالية كبيرة ••• الخ) ، والعكس صحيح بالنسبة للذكور •

وتشير « بومرنيد » (Baumrind, 1967) الى أن هناك اعتقادا ، بأن الوجود الانثوى شىء غير ذى قيمة فى المجتمع ، وأن كلا من الرجال والنساء معا يعتبرون أن الرجل اجدر بالاهتمام ، وتنمية قدراته العقلية من المراة ، وان امال الآباء والأمهات وتطلعاتهم تدور حول ابنائهم من الذكور أكثر مما تدور حول بناتهم من الاناث •

ونتيجة لذلك ، يبدو أن تفضيل المجتمع للدور الذكورى على الدور الانثوى ينعكس أثره على كل من الجنسين فى شكل رغبة من الذكور فى تدعيم جنسهم الذكرى ، ورغبة من الاناث فى الجمع بين الدورين طالما أن المجتمع يقلل من قدرة الاناث على تحقيق أى نجاح عقلى عن طريق دورهن الانثوى ، فيثير ذلك لدى الاناث احساسا بالقصور أو حالة من عدم الثقة فى النفس فى امكان تحقيق أى انجاز علمى أو عقلى •

هكذا يفرض المجتمع – وخاصة المجتمعات المتخلفة – على الانثى دورا محـددا يعـوقها عن الابداع والتطور ، تلك رواسب عصور اضطهاد المرأة التى فصلناها من قبل والتى ما زال المجتمع يتوارثها حتى اليوم ٠

ان ما سبق هـو حال الانثى أو المراة اليوم ، ان تخلف المرأة لا يعـود الى طبيعتها ولكن الى قيود المجتمع محاربته لتفوقها ونجاحها ولتحطيمـه لابداعها وقـدراتها العقليـة ٠

ولقـد جاءت أبحاث كومارونسكى Komarovishy مؤكدة ان الانوثة تفيض نجاحا ، لقـد توصل من خلال بحـوثه الى وجـود صراع داخل نفسية المرأة بين دورها التقليدى ودورها كانسانه تفكر وتستطيع أن تحقق انجازات رائعة ، كما توصل ايضا الى أنه من الصعوبة بمكان الجمع بين الدورين ٠ فتحقيق احـد الدورين معناه اعاقة الدور الآخر ٠ ويظهر من بحوثه كيف أن الاناث يحاولن اعاقة ما لديهن من قـدرات حتى يصبحن مرغوبات ، ان هـذا ما يجعل المرأة اقل ثقـة بنفسها ٠ لذا فالتمسك بالدور الانثوي التقليدى المفروض على الانثى من قبل المجتمع لا يعطل فقط المساهمة فى المجال العلمى أو مواجهة موقف يتضمن نوعا من المنافسـة ، بل يعطل ايضا الرغبة والدافع الى النجاح حينما تكون الأولوية للدور الانثوى التقليدى ٠ ويؤكد ونحن معه ، أن المجتمع يقبل المراة التى تحقق ذاتها عن طريق دورها كمتفوقة فقط فى دورها الانثوى ، ولكنه لا يقبل المراة التى تحقق ذاتها عن طريق دورها كمتفوقة فى مجال العلم والعمل ٠

لقـد وضع المجتمع فى ادمغة الانثى ، أن تتصور أن نجاحها الحقيقى ، لا يتحقق نتيجة اعمال عقلية تحققها بنفسها ، ولكن يتحقق عن طريق الزواج والانجـــاب ٠

ومن استعراضنا السابق نجـد مدى خطورة الدور الذى يمارسه المجتمع الذكورى على الانثى ليقضى على نجاحها وتفوقها ولحصرها فى نطاق ضيق ومعين لا تستطيع ان تتعـداه ذلك من خلال المنظورات المتخلفة السابقة التى شرحناها من قبـــل ٠

ان المرأة ككائن اجتماعى كامل بشكل مجرد قادرة على بتحقيق انجازات علمية وعقلية وابداعية فى شتى المجالات · ويثبت ذلك أن هناك عالمة وطبيبة ومخترعة ومربية ··· الخ ·

متفوقة فى مجال عملها وتستطيع أن تجمع بين الدورين ، دورها كأمرأة وأم ودورها كعامل فى تنمية المجتمع من خلال نجاحاتها والمشاركة فى صـــنع المجتمع وتغييره ·

آن للمرأة أن تتفهم طبيعتها وأن تعرف قــدراتها وأن تثور على القوالب التى وضعها فيها المجتمع ، وان تنطلق محققة ذاتها كـكائن كامل اجتماعيا ، قادرا على دفع المجتمع الى اتخاذ موقف الاحترام لدورها احتراما مضاعفا ، كزوجة وكمبدعة فى أى من المجالات ·

آن للمراة ان ترفض أن تعامل كـكائن من الدرجة الثانية ، وعليهــا أن تعامل وبدافع منها هى ، معاملة الند وتناضل فى سبيل ذلك بالقبـول والعقـل أن للمراة أن تتمتع بالحرية فبدونها سوف تظل سجينة وسوف تظـل قــدراتها مدفونة وسوف يظـل المجتمع وخاصة المجتمعات المتخلفـــة ومن بينها مصر تعانى مزيدا من التخلف ، لان نصف قــواه كائنات ينظر اليها على أنهــا كائنات من الدرجــة الثانية ·

وآن للباحثين المهتمين بالمراة كجزء أساسى من المجتمع ، ان ينيروا أمامها الطريق لتثور على وضعها ولتغير من مكانتها الاجتماعية لتصبح عضوا أساسيا فى المجتمع خاليا من عقــد النقص ومن الاحساس بالدونية ·

ولنستعير خاتمة هــذا المبحث من خاتمة كتاب الدكتورة نوال السعداوى « قضية المرأة المصرية السياسية والجنسية » عندما تقول : (وعلى المرأة أن تدرك انها ستدفع ثمن الحرية التى ستنتزعها لنفسها ، لكن عليها أن تدرك أيضا أنها تدفــع ثمن العبودية التى تعيشها ، والأفضل لها أن تدفــع الثمن

وتكون حرة ، على ان تدفع الثمن وتكون عبدة • بل أن الثمن الذى تدفعه فى العبودية اكبر من ذلك الذى تدفعه من أجل تحررها ، وعليها أن تدرك ايضـا انها لن تستطيع أن تحصل على حقوقها الا اذا أصبحت النساء قـوة اجتماعية ضاغطة وقادرة على الضغط وأنهـا من اجـل أن تكون قـوة لابد أن تتحـد وتتآزر مع الفئات الأخرى المضطهدة فى المجتمع وعليها أن توحـد جهودها مع جهـود الرجال المستنيرين المؤمنين بقضية تحرير المرأة كاحـدى القضـايا السياسية الكبرى التى لا تقل اهمية عن قضية تحرير العمال والفلاحـين الكادحين من قبضة الاستغلال) •

المبحث الرابع

تحقيق الفروض النظرية للبحث

لقد كانت الفصول الثلاث السابقة هى الجزء النظرى الأساسى فى البحث بصفة عامة ، ولقد رأينا أنه لزاما علينا اختيار صحة ما طرحناه بشكل نظرى ولما كنا فى العلوم الانسانية بشكل عام ليس من أدواتنا الميكروسكوب أو أنابيب الاختبار ... الخ • لذلك لجأنا الى أدواتنا الخاصة — فى العلوم الانسانية — واخترنا منها استمارة تجميع المعلومات من خلال المقابلة •

ولقد اخترنا العينة العشوائية ، حيث راعينا اعطاء او تمثيل جميع الوحدات فى المجتمع (موضوع البحث — المرأة) فرصا متكافئة فى الاختيار والاجابة على أسئلة الاستمارة •

ولقد اشتملت أسئلة الاستمارة على مضامين اساسية تتعلق بالبحث :

١ — الاغتراب •

٢ — مظاهر الاغتراب •

٣ — حرية المرأة فى التصرف فى شئونها •

٤ — الحب كعامل اساسى لبناء حياة زوجية ، والرأى فى الحب ذاته كمضمون اجتماعى انسانى •

٥ — التعرف على مضمون الشرف لدى المرأة •

٦ — الى أى حد من الممكن أن يمارس الحب فى ارتباط ذلك بما قبل الزواج •

٧ — مدى تأثير العرف والعادات والتقاليد بالحد من حرية المرأة •

ولنا أن نشير الى أن العينة اشتملت ٢٥٠ مبحوثة ٠ وقد حصلنا على النتائج الآتية :

١ ـ أن نسبة ٦٥٫٥٪ من أفراد العينه يعانين من الاغتراب ٠

٢ ـ لقد بلغت نسبة اللواتى أجبن محددات مظاهر الاغتراب ، مستبعدين نسبة من اجبن « ليس لى رأى » ، حوالى ٦٦٫٣٪ ولقد حددن تلك المظاهر فى : تدخل أفراد الأسرة التوجيهية (خاصة الأم والأخوة الذكور) ، والأزواج فى الأسرة التناسلية فى اختيار المرأة للملبس والتعليم ومواعيد الحضور والعودة للمنزل ، والمنع من الخروج من المنزل اطلاقا الا بمصاحبة أحد أفراد الأسرة ، والتدخل من قبل الزوج فى اجبار المرأة على الحمل رغما عنها وضد ارادتهـا ٠

اما من ناحية المجتمع بشكل عام فقد حددن مظاهر الاغتراب فى : عدم قدرة المرأة على أن تتصرف فيما هى مقتنعة به مثل الافصاح عن أنها تحب ، اجبار المرأة على أن تظهر بمظهر الضعف والرقة المصطنعة فى غير محلها حتى وان كانت فى موقف يتطلب عكس ذلك لان الانثى فى نظر المجتمع يجب الا تنفعل وأن تبدو رقيقة خاضعة مهما حدث ٠ التدخـل المستمر فى دفعها للزواج واستسلامها هى (المرأة) لذلك حتى لا يعايرها المجتمع بأنها « عانس » النظر فى العمل للمرأة على انها اقل من الرجل ٠ وفقد الثقة فى النفس ومرجع ذلك الى اهمال المجتمع للاستماع الى آراء المرأة والنظر اليها على انها كائن ناقص ، الخوف من الآخرين وعدم الثقة فيهم سواء رجالا او نساءا ٠ رؤية المجتمع الى أن على المرأة ان ترضى بالأمر الواقع وأن الرجال دائما على حق ٠ استبداد الأزواج فى التعامل مع زوجاتهن وعدم التوافق الجنسى والاجتماعى بين الزوج والزوجة ، التبعية للرجل بشكل دائم ٠

٣ ـ وكانت اجابات المبحوثات حول حق المرأة فى أن تحب قبل أن تتزوج ، تبلغ نسبة عالية جدا ٩٧٫٥٪ ولكن عن الاجابة عن مفهوم الحب لم نعثر على مفهوم واحد متكامل حول معنى الحب ٠ فكانت الاجابات حول

مفهوم الحب كالآتى : أنه شئ جميل ! يجعل الانسان مقبلا على الحياة ! الحب يوفر الاستقرار ! الحب عاطفة لا يمكن التعبير عنها ! هـو خضوع كل من الطرفين للآخر ! الحب هـو نوع راقى من الصـداقة ! الحب هـو الجنس !

٤ ـ وكانت اجابات المبحوثات عن تحـديد أو ترجمة كلمـة « شرف المرأة » ٠٠٠٠ كانت الاجابات على على النحو التالى :

هو المحافظـة على السلوك الجنسى ، هو الكرامة ! هو « السـمعة » الحسنة ! هو غشاء البكاره ! هو الشخصية ! هو الكبرياء !

ولم نجـد غير نسبة ٨ر٪ هى اللاتى حـددن شرف المرأة فى انه يكون لدى المرأة مبادىء وقيم ومثل أعلى يدفعها الى العطاء ٠

٥ ـ وكانت نسبة من أجبن بحق المرأة فى ممارسة الحب كاملا قبـل الزواج تبلغ ٩ر٣١٪ والملاحظ انهن لم يربطن بين الحـب والزواج ، ولكن انطلقن من أن الحب مقـدمه طبيعية للممارسة الحسية ٠

وكانت نسبة من رفضن ممارسة الحب كاملا قبل الزواج تبلغ ١ر٦٨٪ انطلاقا من أن العادات والتقاليد فى مجتمع شرقى كمصر تمنع ذلك ٠

٦ ـ وكانت نسبة من اجبن بأن العادات والتقاليد تحـد من حرية المرأة تبلغ ٧ر٦٠٪ واوضحن أنهن لا يرضـين عن تلك العادات والتقاليد ولكنهن فى نفس الوقت عاجزات عن تغييرها ٠

واذا كان لنا ان نعلق على ما خرجنا به من نتائج الاجابات على اسئلة تجميع المعلومات فأننا نقول :

ـ أن هناك نسبة عالية بل لا نغالى أن قلنا أننا لم نكن نتوقعها قـد أقرت بأنهن يعانين من الاغتراب ٠ وذلك مؤشر غاية فى الخطورة ٠ لان اى معنى أو مفهوم للاغتراب يشير الى ان هناك قهز واقع على كاهل المراة يعوقها عن أداء الدور المنتظر منها فى مجتمع متخلف ـ مصر ـ تبلغ تعـداد اناثة قرابة النصف من التعـداد العام للسكان ، فى تنمية المجتمع واتخاذ الموقف السلبى منه ، وهـذه أداة تحطيم وتخلف للمجتمع ، صنعه المجتمع بنفسه ، أى حفر قبره لنفسه بتقاليده وعاداته البالية التى اوصلت المراة الى تلك الحـالة من التدهـور ٠

ـ ان مظاهر اغتراب المرأة حسب ما استعرضناه سابقا ، تشير لنـا ان المرأة عاجزة عن التصرف بحريتها فى حياتها الخاصة وبذلك فهى تتحمـل معاناة تولـد لديها كبتا وتصبح غير سوية نفسيا تعانى من القلق وعـدم الثقة فى النفس والخوف من المستقبل وكلها عناصر سالبة مولده لعدم الاطمئنان ودافعة الى التكيف المرضي مع المجتمع ٠ او العزلة والبعـد عن المجتمع بشكل انطـوائى مرضى ٠

ـ يتضح القصور الواضح فى فهم المراة لاحـد المفاهيم الاساسية للحياة وهـو مفهوم الحب فلم نعثر على مفهوم واحـد متكامل عن الحب ٠وهـذا مؤشر خطير للغاية ٠ أن يصبح الحب مفهوما مبهما لدى المرأة وبالتالى فلنـا أن نتوقع توهم المراة انها فى حالة حب ثم بالتجربة والمعايشة تكتشف انهـا كانت ضحية وهم زائف ٠ ولنا أن نتوقع بناء على ذلك قـدر الانهيار النفسى الواضح الذى من الممكن أن تعيشه ٠ ذلك أن أحـدا لم يعطها المفهوم الصحيح للحب حيث هـذا المجتمع الذى يرفض ذلك تماما تمسكا منه بأن ليس من حـق المراة ان تفهم مثل هـذه المضامين ويترك المراة حقـل تجارب للصواب والخطا ٠ ولعل التناقض الصارخ بين حالة المراة هـذه التى لا تفهم مضمون الحب والتى تراه فى الوقت نفسـه ضرورى قبل الزواج ؟ انه حاله من حالات التشـــاكل الاجتماعى والنفسى الذى تعيشه المراة المصرية ٠

ــ كذلك فان مضمون الشرف لدى المرأة غير واضح فى أذهان النساء ، أنهن يسمعن عن كلمات ولا يعرفن مضمونها وهن عاجزات عن الاستيضاح عن تلك المضامين خوفا من المجتمع الذى يرى فى ذلك تبجحا من المرأة بل قد يصف المرأة التى تستوضح ذلك بالفجور .

ومن المؤسف أن تجهل المرأة مضامين حياتها لان ذلك سوف ينعكس على أجيال قادمة من الاناث ، فسوف تتلقى الانثى الطفلة تعاليم الحياة على يد أمها المتخلفة . ويبزغ جيل جديد يعايش البؤس الفكرى والحياتى وانعدام الخبرة والتجربة الصحيحة .

ــ أما عن حق المرأة فى ممارسة الحب كاملا قبل الزواج فانه مما يثير للدهشة أن تفهم المرأة ممارسة الحب على انه ممارسة الجنس دون ربط ذلك بالزواج ، اى دون أن يكون لديهن قيمه تتمثل فى أن الحب هو المقدمة الطبيعية للزواج بشكله الصحيح . وأما من رفض ذلك فكان الدافع هو العادات والتقاليد فهل لو سمحت العادات والتقاليد بذلك فكانت المرأة سوف تمارسه ؟ لعلنا نرى أنه الى أى حد صارت العادات والتقاليد هى المتحكمة فى مسيرة المرأة والمعوقة تماما لتحمل المرأة عقلها وتقبل وترفض ما تشاء يحكمها فى ذلك الاختيار الحر . بل انه بات واضحا انعدام القيم والمعايير (الأنوميا) أمام العادات والتقاليد التى يجلبها المجتمع . ولنا أن نتصور مدى التشويه النفسى والاجتماعى الذى تعيشه المرأة المصرية .

ــ وأخيرا فان النسبة العالية التى رأت أن العادات والتقاليد تحد من حرية المرأة تشير الى ان المرأة تقف بسلبية عالية امام تحكم العادات والتقاليد فيها مقيدة اليدين كالعبيد المقيدين بالسلاسل . ان موقف الرفض الداخلى هو موقف اغترابى يولد الموقف الاكتئابى المنسحب .

آن لنا الآن أن نقف ــ ونحن أمام حالة المرأة المصرية تلك التى أوضحناها من خلال فكرها هى بالاضافة الى ما سبق توضيحه فى الفصول السابقة لنقول :

أن النساء فى كل بلدان العالم ، فى بلدانه النامية (المتخلفة) والمتقدمة على السواء ، هن ركيزة اقتصاد الدعم ، الذى يتيح لسائر الأنشطة الأخرى أن تعمل ، ومع ذلك فان هذه الركيزة غير مرئيه ، بمعنى ان هذا القطاع تتجاهله الحسابات ولا يظهر فى البيانات الاحصائية فى البلدان المتخلفة ومن بينها مصر ٠

والعجيب أن ذلك يظهر بوضوح فى المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية التى يستخدمها علماء الاجتماع والمخططون لوصف حالة بلد أو قياس تطوره ، فهم أيضا لا يعطون اهتماما كبيرا لهذا الناحية ٠

أن النمو الاقتصادى يفترض أن تولى النساء نصيبا متزايدا من الأهمية وذلك فى الأنشطة الاقتصادية على جميع المستويات ، وايضا فى التعليم والسياسة والثقافة ٠ ومن الاحصائيات نجد ان من اكبر الفوارق بين البلدان النامية والمتقدمة أن عدد النساء فى مختلف المهن ، وفى التعليم والأنشطة الثقافية وغيرها أكبر فى الثانية منه فى الأولى ٠ وعلى ذلك يمكن التأكيد دون الوقوع فى أى خطأ ٠ أن التنمية الاجتماعية الاقتصادية وهى اكثر تعقيدا من مجرد النمو فى الانتاج الصناعى أو الدخل القومى الاجمالى أو دخل الفرد) تلازم التحسن التدريجى فى احوال النساء فى المجتمع ٠ ان هذا القول بأن النساء فى المجتمعات التى لم يحدث بها هذه التغييرات غير منتجات من الوجهة الاقتصادية أو خارج النظام الاقتصادى هو قول خطأ ، فالنساء حتى وان كانت نسبة كبيرة منهن « وخاصة فى مصر » غير عاملات ، وحتى وان كن « حارسات البيوت » كما كان يقال لهن فى الماضى وما زال قائما حتى الآن بنسبة عالية ، فهن متكفلات بانجاب الابناء وتربيتهم ، وهذا فى حد ذاته يؤدى دورا هاما للغاية فى عنصر من العناصر الرئيسية لكل اقتصاد : الا وهو انتاج قوة العمل ، ومع ذلك فكثيرا بل دائما ما يهمل دورهن أو ينسى بأكمله فى تخيل المعاملات التجارية ، ويعتبر النساء اللواتى يتحملن مسئولية ضمن فئة « اليد العاملة الأسرية غير المنتجة » ٠

انهن فعلا عاطلات عن العمل ، وبسبب دورهـــن الاقتصادى المنزلى المستتر ، فهن يوضعن فى أدنى المستويات فى مختلف درجات مؤشرات الاسهام فى النشاط الاجتماعى والاقتصادى ، ذلك لان العمل اليدوى ، حين ينال أجرا يكون بوجه عام ذا قيمة اقتصادية ، ومن ثم فكل عمل بلا أجر (كالأعمال المنزلية التى تؤديها النساء) تهبط قيمته الاقتصادية وتهبط بالتالى قيمته الاجتماعيـــة والثقـــافية ٠

وحتى النساء العاملات فى البلدان المتقدمة (ناهيك عن البلدان المتخلفة ومن بينها مصر) حيث الرعاية اعلى نسبيا بالنسبة للمراة ، نجـــد أن المجتمع يميل الى حصرهن فى مجـــال الأعمال التى تعتبر امتدادا لأنشطتهن المنزلية : كالتعليم الابتدائى ، والتمريض ، والحيـــاكة ، والتغـــذية ، والسكرتارية ، والترفيه أيضا ٠

وتعتبر هـــذه الأعمال او مثل هـــذه الأعمال ، اعمالا ثانوية فى الاقتصاد بوجـــه عام ٠ ولا زال من المعتقد بعامة ، ان المساواة بين الجنسين ســـوف تتم حين يتسنى للمراة ان تمارس بكامل حريتها كل ما يعتبر عرفا « حرفة الرجل » ٠ غـــير ان العـــديدين حتى الآن لا يتكلمـــون الا فيما ندر عن مساواة الرجل بالمرأة فى المسئولية فى النطاق المنزلى ، كأنه اصبح من المسلم به ضمنا أن يستمر النســـاء فى تحمل المسئولية فى هـــذا المجـــال الذى فرضـــه عليهن المجتمع ٠

ان المشكلة – مشكلة وضع المراة فى أدنى درجات السلم الاجتماعـــى والاقتصادى لن تحل بتبادل الادوار بين الرجل والمراة ، وذلك مرفوض من قبل مجتمع الذكور على اى حال ٠ ومن المؤسف أن النظام فى المجتمع الحضرى الصناعى : اصبح يفرض على المرأة مهمتين : مهمة سيدة المنزل (المطبخ وتربية الأولاد) ومهمة المرأة العـــاملة ٠

ان ذلك غبن للمرأة ، ونوع من أنواع استغلال عملها ، وحصرها فى مجال اقل كثيرا من قـــدرتها الخلاقة والمبدعة وهـــذا مما يزيد تخلف المجتمع ٠

وكما قلنا فى العـديد من مواضـع هـذا البحث أن الاقتصاد هـو محرك التاريخ ، فلنـــا الآن أن نثبت بالدليل القاطع أن الاغتراب الذى تحيا فيه المراة فى البلدان المتخلفة والمتقـدمة (فى اوروبا وامريكا) بشكل عام ، يعود الى النظام الرأسمالى والى المجتمع الذكورى الابوى الذى هو وليد ذلك النظام ، وهـذا ما يدفـع ثمنه النساء بل المجتمع خاصة فى البلدان المتخلفة حيث يحرم هـذا المجتمع من اكثر من نصف قـواه العاملة نتيجة نظرته المخجلة للمرأة ، التى منشأها أن تظل حبيسـة اغترابها وبعـدها عن المشاركة فى مشاكل بلادها ، والضغط عليها ما أمكن ذلك ، من اجـل الخوف والرعب الشـديد من اتحاد النسـاء فى هـذه البلدان مع الرجال حتى لا تثور تلك المجتمعات على تخلفها وتبقى على ما هى عليه ٠

ولو عقـدنا مقارنة بين النظام الاشتراكى والنظم الراسمالى ، لوجـدنا فارقا ضخما فى مدى رؤية المجتمع للمرأة ، فقـد استعرضنا وبشكل سريع وفى عـديد من المواضع فى بحثنا مدى فساد ذلك النظام الراسمالى وانعكاس ذلك على الأسـرة بشكل عام والمرأة بشكل خاص ٠ ولنا أن نذكر بعض الحقائق عن دولة مطبق فيها النظام الاشتراكى :

فى الاتحـاد السوفيتى على سـبيل المثال :

ـ تبلغ نسبة المراة ٥١٪ من جملة العاملة فى اكثر من ١١٠ ملايين مصنع ومكتب ٠

ـ تبلغ نسبة المدرسات ٧٤٪ من جملة العاملين فى التدريس ٠

ـ تبلغ نسبة المراة من العاملات فى الصحة والأطباء ٨٣٪ من جملة العاملين فى هـذا المجال ٠

ـ تبلغ نسبة العاملات فى الحرف والمهن التوزيعية (الخاصة بتوزيع السلع) ٨٤٪ من جملة العاملين ٠

ـ فى عام ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ بلغ عـدد طلاب العلم فى معاهـد التعليم العالى ٠٠٠ر٠٣٧ر٥ منهم ٠٠٠ر٥٦٨ر٢ طالبة أى أكثر من النصف ٠

ـ وخلال الـ ٢٥ سنة المـاضية غزت المرأة قلعة العلم ، ففى عام ١٩٥٠ بلغ عـدد المرأة ثلث عـــدد جميع العاملين العلميين ، وفى ١٩٧٧ بلغ عــددهن ٦٠٠ر٥١١ امرأة أى ٤٠٪ من بين ٠٠٠ر٢٧٩ر١ عامل ، وأكثر من ٧٠٠ر٢ امرأة أكاديميات ومراسلات لاكاديمية العلوم أو استاذات وأكثر من ٠٠٠ر٥ أمرأة حاصلات على درجـة الدكتوراه فى العلوم ٠

ـ ويتسـاوى الرجل والمرأة فى اجر العمل الواحـد ، وتتمتع المرأة ذات الأطفال بمزايا خاصة ، فلا مناوبات ليلية ولا سفر من أجل العمل ٠

ـ وفى مجلس السوفيت الأعلى تبلغ نسبة النساء ثلث مجموع الأعضـاء ، وتتراوح نسبة النسـاء بين ٣٥٪ ، ٤٤٪ من موظفى الاتحادات العمالية العليا ، وثلثى أعضاء اللجان على مستوى فروع المصانع ٠

ورغم ذلك فنحن لا ننكر بحال من الأحوال أن المجتمعات الاشتراكية ومن بينها الاتحاد السوفيتى قـد أصبحت خالية من المشاكل بالنسبة للمرأة ، فهناك البيروقراطية السوفيتية التى ما زالت غير قادرة على حل مشاكل المرأة العاملة كالتوسع فى المرافق العامة والخاصة بها ، والخفض من أعبائها ، ومشاكل الطلاق ، ومشاكل عـدم قـدرة المرأة العاملة على الاستمتاع بأوقات ترفيهية مثل الرجـل ٠

ولكن رغم ذلك فأحوال المرأة احسن آلاف المرات من المرأة فى المجتمعات الراسمالية ، ذلك أن المجتمعات الاشتراكية رغم قصر عمرها الزمنى رفضت تقاليد ومدارس علم النفس الذكورية الابوية المحرك لها النظام الرأسمالى القائمة على الاستغلال للمرأة وللرجل بصفة عامة ، والمرأة بصفة خاصـــة كمـا اوضـحنا سـالفا ٠

لعلنا بذلك نكون قد استطعنا القاء الضوء على مدى تأثير النساء فى فى تقـدم المجتمع أو تخلفـه ٠

آن للمرأة أن تتحرر من اغترابها ، وأن تثور على وضعها المتدنى بمحاربتها لتقاليد المجتمع البالية التى وضعتها فى القمقم كى تبقى مكبوتة ومشـــوهة نفســيا ٠

ولنختتم هـذا المبحث بكلمات لنساء ورجال يجب أن تضعها نساء بلدى فى أدمغتهن جيدا موضعا للدراسـة وللبحث ولا نغالى أن قلنا النضال :

※ (أود أن تتعلم المرأة اكثر من الرجل ، فهى تنجب الأطفال وتربيهم ولذلك فهى تعـد الأجيال المقبلة ٠ كيف يمكن ان يكون المستقبل سعيدا اذا كانت المرأة جاهلة) ٠

سيليتريت زابوتيك - أمرأة هندية

※ (تحرير المرأة ليس سوى جزء من تحرير المجتمع بأسره ، ولا ارى ان تحرير المرأة - اذا أمكن كاف بذاته - انني أريد ازالة كافة أشكال الظلم ، سواء فى ذلك الظلم الواقع على الرجال او النساء أو الطبقات الاجتماعية ٠ ولكن يجب على المرأة أن تعرف حقيقة ذاتها اذا أرادت التقـدم ، هـل تعلم ما تفتقر اليه المرأة اكثر من اى شيء آخر ؟ ان تعلم وأن تؤمن ايمانا راســخا بأنها كائن بشرى) ٠

من استمارة احـدى المبحـوثات

※ (السبب الرئيسى فى أن الرجال لا يريدون أن تكون المرأة فى السلطة ، هـو أنهم لا يرغبون فى أن تصـدر النساء الأوامر اليهم ، لانهم اعتـــادوا أن يصـدروا الأوامر بأنفسهم ، ولا يريدون أن تفعل المرأة ذلك ، وهـذا فى غاية

الوضوح ، وكم اود أن تنتسب المراة عمدة لهـذه المدينة ، ان الرجال لم يفعلوا شيئا ، يجب علينا أن نعطى الفرصة للمرأة لنرى هل تستطيع أن تفعل ما هو افضـــــــل ؟) ٠

زوج من هنـود المكسيك

﴿ (هل تعلم ماذا اختار لتمثال البطل القومى فى مصر ؟ المراة العاملة ! انها البطل القومى ، لانها تذهب الى المدرسة ، ثم الجامعة وتتخرج فيها ، انها تعمل أيضا ـ تتولى وظيفة ! انها تعمل مثل الرجل تماما ٠ وحتى فى الحقل نرى المراة الفلاحة تعمل بجانب زوجها ٠ سبع ساعات فى اليوم تقضيها فى عمل شاق ، ثم تذهب الى المنزل ويطلب منها القيام بواجب ربة البيت ١٠٠٪ من طهى وتنظيف وغسل وعناية بالأطفال ٠ الواقع ان المراة تقــــوم بعملين كبيرين ٠ لا يستطيع اى رجل ان يقوم بهما أبدا) ٠

من حـديث مديرة لاحـدى دور النشر المصرية

ولتسمحوا لى بأن انهى هـذا المبحث ، رافعا صوتى محييا كل الذين دافعوا عن المراة المصرية من المصريين وغيرهم ، تحية لكل من يبحث فى أمر من امور تحرر المراة من قهرها ، تحية لكل من يعمل بجـد واجتهاد من أجل بحث يدفع بالمراة للامام على سلم التقـدم والرقى ٠

وليسمح لى « مايكوفسكى » أن استعير كلماته لانهى هـذا الفصل :

« اشرقـوا عاليـــا

اشرقـوا على الأرض

اشرقـوا حتى يجف نبـع الحياة ذاته

اشرقـوا بكل طاقاتكم المزدهرة

هكذا تقـول الشمس

وانا »

المبحث الخامس

نقـــاط علاجيـــة لمظـــاهر اغتراب المرأة

المصرية على وجـــه الخصـــوص

لقـــد استعرضنا سابقا ، وخاصة فى المبحث الثانى « مظاهر الاغتراب » عند المرأة بصفة عامة ، والمرأة المصرية بصفة خاصـــة ٠٠ مفهـــومنا عن الاغتراب ، ويجـدر بنـــا أن نذكر مرة أخرى أن الاغتراب لدينـــا كمفهوم وكاصطلاح ، هو ما حـددناه فى المبحث الثانى ٠ ولنا أن نضيف ، قبل الدخول فى صلب هـذا المبحث ، أن « كارل ماركس » قـد أوضح الاغتراب بالمفهوم المـادى ، فأعطاه شمولا ، خاصة فى كتابه « الأيدويولوجيا الألمـانية » ، حيث يوضح أن شروط الحياة ، بالمعنى البيولوجى أصبحت غريبة عنا ٠ واوضـــح اننا نعثر عليها خارج ذواتنا مكثفة فى أشكال موضوعية صلبة ، ولهـــذا فان الاغتراب الذاتى ، وهـو جوهر الفرد ، ليس مجرد تخارج الذات اذ هـو يكشف عن نفسه بأسلوب عـدوانى من حيث أن الفرد الجزئى هو الذى يعانى الموت ، حيث أن الموت يبـدو انتصارا للنوع على الفرد ، ويبـدو انه يناقض وحـدة النوع ٠ بيد أن الفرد الجزئى هـو مجرد موجـود محـدد ومتطور ومن ثم فهو فان ٠ والوعى عند الانسان ليس الا هـذا الادراك للنوع الذى ينطوى على موت الفردية الجزئية ٠٠ والنتيجة الصراع ضـد الموت من أجـل تأكيد الذات ، وعلاقة جـدلية بين السيطرة والخنوع ٠

ومعنى ذلك أن الوعى الذاتى هـو وعى بالآخرين وعى بالبيئـــة الانسانية ، أى وعى بالتاريخ وليس وعيا بالطبيعة ٠

ومن هنا فان الفرد يكتسب وعيه بنفسه كانسان متطور من خــــلال وجـوده فى تاريخ المجتمع ٠ وهكذا يصبح التداخل بين الأفراد ، والسيطرة

على الطبيعة وتأنيسها بفضل العمل وصراع الأفراد من أجل توكيد ذواتهم ، مجالا خصبا للتأمل من قبل الوعى الذاتى • بيد أن هـذا الوعى الذاتى لا يقف عند حـد التأمل ، ذلك أن مشروعه الأساسى يحكم طبيعته الفعالة ، هـو ازالة الاغتراب بتوسط موضوع مناقض لطبيعة الذاتية •

ويقول ماركس : « ان الانسان من حيث هـو انسان هـو من انتاج المجتمع ، كما أن المجتمع هـو من انتاج الانسان • فالفاعلية والعقـل مضمونهما اجتماعى وكذلك أصولهما • لدينا اذن فاعلية اجتماعية وانسان اجتماعى ، والدلالة الانسانية للطبيعة ليس لها وجـود الا بالنسبة الى انسان اجتماعى • لأنه فى هـذه الحالة وفيها وحـدها ، تكون الطبيعة على علاقة بالانسان ، وتكون أساس وجـود الانسان من أجل الآخرين ، ووجـود الآخرين من أجـله • وعندئذ فقط ، تكون الطبيعة أساسا لخبرة الانسان الانسانية ، وعنصرا حيويا للحقيقة الانسانية ، ويصبح الوجـود الحقيقى والطبيعى للانسان ، ها هنا ، وجودا انسانيا ، وتصبح الطبيعة ذاتها انسانية بالنسبة للانسان •• وهكذا يصبح المجتمع هـو الوحـدة النهائية للانسان والطبيعة أى هـو الاحياء الحقيقى ، والسـمة الطبيعية للانسان ، والسمة الانسانية للطبيعة » •

أن هـذا النص يفيد رؤية ماركس العلمانية ، وهى رؤية ترمز الى أسلوب تحرير الانسان من الاغتراب حيث ينتمى الانسان من جهة أنه منتج لحياته ، الى طبيعته الكلية التى كانت مغتربة عنه عند نشأة المجتمع •

ويقول أيضا « أن ماهية الاغتراب لا تكمن فى كون الانسان يوضع ذاته بصورة غير انسانية وفى تعارض مع ذاته ، ولن تكمن فى كونه بموضوع ذاته فى تمايز عن الفكر المجرد وفى تعارض معه » •

ويترتب على الربط بين التموضع والاغتراب ، أن ازالة الاغتراب تستلزم ازالة التموضع وهـذا وهم •

« المهمة اذن هي في مجاوزة موضوع الوعي ، والموضوعية من حيث هي كذلك تعتبر علاقة انسانية مغتربة لا تتفق مع ماهية الانسان ، ولا مع الوعي الذاتي ، واعادة تملك الماهية الموضوعية للانسان المولودة في شكل اغتراب كشيء غريب لا تعني اذن ازالة الاغتراب فحسب ، بل ازالة الموضوعية كذلك . وبعبارة اخرى يمكن القول بأن الانسان يعتبر موجودا روحيا غير موضـــوعي » .

وبعد أن يكشف ماركس عن هذا الانسان الوهمي الناشيء عن مفهوم هيجل الزائف عن الموضوعية . يطرح موضوعية التموضع على النحو التالي في كتابه « راس المال » حيث يحدد : « التموضع ليس الا تأكيد الانسان لذاته في موضوع ، ليس الا تجسيد الانسان « للانا » ، أما التشيؤ فهو انفصال الذات المتموضعة عن ذاتها ، ولهذا فان التشيؤ سلب للانسان ، وسلب لشخصيته ، وعزله عن اخوانه بني البشر ، فيفقد الموضوع طابعة الانساني ، ويقف معارضا للانسان بل بديلا عنه » .

ومن هنا يمكن القول بأن التموضع لا ينتهي الى التشيؤ بالضرورة ، ولكن التشيؤ يستلزم التموضع بالضرورة . ذلك ان التشيؤ يحيل الموضوع من موضوع انساني منتم الى الانسان الى موضوع لا انساني ومعـــارض للانســـان .

ويكشف التشيؤ طبيعة الانتاج الراسمالي ، طبيعته المجنونة . ان عالم التشيؤ عبارة عن عالم علاقات اجتماعية بين أشـــياء تتسم بخصائص البشر ، ومن ثم يصبح البشر في حوزة الأشياء ،وتنشأ علاقات اجتماعية بين الأشياء ، وعلاقات اجتماعية مادية بين الأفراد ، الأمر الذي يؤدي الى أن يمنح البشر ثقتهم للأشياء وليس لبعضهم البعض ، والى أن تصبح الثقة ذاتها ـ وهي من خصائص الذات الانسانية ـ خاصية للأشياء الطبيعية من حيث هي مستقلة عن الانسان .

« ويلزم عن ذلك ان التشيؤ ينطوى على طابع طبقى ، فتسلط الرأسمالى على العامل وعلى الرغم منه لا يعنى الا تسلط الشىء على الانسان ، وتسلط العمل الميت على العمل الحى ، وتسلط الانتاج على المنتج » والتسلط ، فى نهاية الأمر ينطوى على تناقضات كل منهما فى حال اغتراب ٠

اذن وفى نهاية الأمر ، فان الطابع الطبقى للتشيؤ ينزع منه الطـابع الطبقى للاغتراب فالتشيؤ يكشف عن عـدم التكافؤ بين من يخلق الحضارة (العامل) ومن يستثمرها (الراسمالى) وكل منهما يمثل اشياء متشخصة ، فيغترب الانســـان ٠

وبالاضافة لما كتبه ماركس ، والى ما أوضحناه فى المبحث بشـــكل عام ، والمبحث الثانى على وجـه الخصوص ٠٠ ومن استعراضنا للتاريخ منذ بداية الحضارة يمكننا استخلاص الآتى :

ـ اللا وعى باللاغتراب يكمن فى وحـدة الانسان مع الطبيعة قبل ازمة الطعـــام ٠

ـ الوعى بالاغتراب يكمن فى انفصال الانسان عن الطبيعة ٠

ـ الابداع يعنى أن العـلاقة بين الانسان والطبيعة هى عـلاقة رأسية وليست علاقة أفقية ٠ وهـذه العلاقة الرأسية تعنى مجاوزة الانسان للطبيعة وهـذه المجاوزة تعنى قـدرة الانسان على تغيير الطبيعة ، وتغيير الطبيعة يعنى تأنيسها ٠

ـ تأنيس الطبيعة يعنى الوعى بوحـدة الانسان مع الطبيعة ٠

ـ تأنيس الطبيعة حتى الآن ، ليس تاما ، وبالتالى فالوعى ليس تاما ، وتمام الوعى بتمام وحـدة الانسان مع الطبيعة ، وتمـام هـذه الوحـدة يعنى ازالة الاغتراب ٠

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هـو :

وكيف نزيل السلطتين ؟

« ما الذى يعـوق تمـام الوعى » ؟

نقول أنها : سلطة الأسطورة ، وسلطة الطبقة ٠

ـ زوال سلطة الأسطورة بالثورة العلمية ٠

ـ زوال سلطة الطبقة بالثورة الاجتماعية ٠

والثورة الأولى من شأنها ازالة اغتراب الانسان عن الطبيعة ٠

والثورة الثانية من شأنها زوال اغتراب الانسان عن الانسان ٠

والوعى الناشىء عن هاتين الثورتين لن يكون الا وعيا كونيا ٠

اى بزوغ انسان كونى استنادا الى :

ـ قانون النشؤ والارتقـاء ٠

ـ وقانون الانتقال من الكم الى الكيف ٠

فنخلص من ذلك كله الى القول ، بأن الانسان من حيث أنه فى علاقـة رأسية مع الطبيعة ، ومن حيث أنه حاصل على قـدرة (التجريد) ، فهـذا ليس قادرا فحسب على « تأويل الواقع » وانما ايضا على « تغييره » وذلك بالكشف عن « علاقة جـديدة » ٠

اذن الجـدة هى فى صميم العقل الانسانى ، وهى تنطوى على الابداع ٠ اذن فالعقل مبدع بالطبيعة ، ومن ثم مغترب حين يكف عن الابداع ٠ حـين يكف عن التمرد ، حين يكف عن كل ما يكبله ٠

وهكذا نكون قد وصلنا الى ما نريده بالتحديد فى علاج ظاهرة الاغتراب بعد أن استعرضناها واستعرضنا المفاهيم العلمية وبعد أن حددنا ما نتفق معه ·

ونكون قد وصلنا الى المدخل الصحيح من وجهة نظرنا فى علاج ظاهرة الاغتراب التى لا تنكر ان الانسان بوجه عام يعانى منها ، ولكن المرأة بشكل خاص تعانى منها كقهر مضاعف ·

لقد حددنا أن الوعى هو بداية علاج ظاهرة الاغتراب لان الانسان مبدع وخلاق وهو مغترب حين يكف عن الابداع ·· والابداع فى معناه التفصيلى ليس الا رفض كل مظاهر تكبيل الانسان ، ورفض كافة القيود على عقله أو مخه ، وهو ايضا التفكير فى كيفية القضاء على الظلم الواقع على النفس والاستغلال بكافة اشكالها ·

ان قضية تحرير المرأة وازالة الاغتراب الذى تعيش فيه ، ليست قضية تغيير البنية الفوقية للمجتمع وفقط ، بل يستلزم ذلك فى المقام الأول ايضا تغيير بنية العقل المتخلف بالذات · حيث أن قضية تحرير المرأة من اغترابها ، هى قضية المجتمع ككل ، لا لأن المرأة نصف المجتمع ، ولكن لأن اغتراب المرأة المؤدى الى تخلفها ينعكس على الرجال والأطفال ، وبالتالى يقود الى تخلف المجتمع كله · والهدف من تحرير المرأة ،من اغترابها ، هو اطلاق امكانياتها الفكرية جميعا من اجل اثراء المجتمع فكريا واثراء حياة وشخصية النساء بالعمل المنتج والمشاركة فى تطوير المجتمع · اى أنها قضية حرية فكرية للنساء من أجل العمل الخلاق ، ومن أجل اطلاق قدراتها الابداعية وفى ظل المساواة الكاملة بين الجنسين ، ولا نقصد مجرد الحرية الجنسية من اجل قتل وقت الفراغ والملل · وامتصاص الطاقة المعطلة ·

ومن جهة أخرى لقد اثبت العلم وابحاث العديدين من اساتذة الاجتماع وعلم النفس والانثروبولوجيا أن اى قيود على الانسان ، سواء كانت هذه القيود فكرية أو نفسية أو جسدية ، فانها تعرقل تطوره الطبيعى · وتؤخر

نضوجه الفكرى والنفسى والجسدى وبالتالى تتعارض مع صحته الجسدية والنفسية • وعلى هذا فالقيود المفروضة على المراة والغربة التى تحياها تضر بالمجتمع عن بكرة ابيه •

أن شرف الانسان هو الصدق والمرأة انسان فلابد أن تكون صادقة ، صادقة التفكير وقادرة عليه وصدق الاحساس وصدق الأفعال • ان المراة لتصبح شريفة اى ليصبح المجتمع شريفا ، فلابد أن لا تحيا حياة مزدوجة ، واحدة فى العلانية واخرى فى الخفاء •

بالاضافة الى أنه لا يوجد أى دليل علمى فى البيولوجيا أو الفسيولوجيا أو التشريح ما يثبت أن المراة اقل من الجنس الآخر (الرجل) عقلا أو جسدا أو نفسيا •

أن الوضع الأدنى للمراة هو عنوان تخلف المراة فى المجتمع الأبوى •

أن قضية معالجة مظاهر الاغتراب عند المراة مرتبط اساسا بقضية تحرير الانسان عن مظاهر الاستغلال والبؤس والحجر على فكره وعلى عقله ، تحرير الرجل من عقدة تجاه المراة ، وتحرر المراة من الازدواجية الأخلاقية والنفسية والخضوع بأى صورة من الصور •

ان تحرير المراة لا يمكن أن يتم فى مجتمع قائم على الاستغلال ، وان تحرير النساء من اغترابهن مرتبط على الدوام بتحرير الفئات الأخرى المقهورة من الرجال سواء كانوا عمالا أو فلاحين • لكن تحرير الرجال المقهورين لا يكفى لتحرير النساء • فالمراة لا تتحرر من عبوديتها واستغلالها وغربتها عن مجتمعها ، اذا تحرر زوجها من عبودية واستغلال صاحب الأرض أو صاحب المصنع ، لأن الزوج الذى لا يعى ماهية المراة ، يظل يستعبد المراة ويستغلها ويزيد من اغترابها عن واقعها ، وذلك بحكم قانون الزواج الجائز والنظام الأبوى القائم على سلطة الرجل ، وقد وجد أنه برغم الحقوق الاقتصادية التى حصلت عليها المراة فى المجتمعات الاشتراكية أو التى تسير نحو الاشتراكية

الا انهـا تزال مضطهدة داخـل الأسرة الأبوية بسبب سلطة الرجـل داخل الأسرة ، وهـذا راجع الى بيروقراطية هـذه الدول ٠

وعقـد الزواج ٠ وهو أهم مظاهر اغتراب المراة ٠ ليس الا عقـد تمليك الرجل للمرأة يمتلكها اقتصاديا وجسديا ويقهرها اقتصاديا وجنسيا باسم الحفاظ على الأسرة الأبوية والتى يفرض المجتمع على المرأة وحـدها الحفاظ عليها ٠ اما الرجل فليس مطالبا بالحفاظ على الأسرة ٠ فهو يتزوج كما يشاء ، ويطلق كما يشاء ، ويشرد من الأطفال كما يشاء ٠

ان المرأة هى التى تدفـع ثمن حرية الرجل وفوضاهم الجنسية المكفولة لهم فى النظام الأبوى ٠ وهى التى تعانى من فوضى الحريات الممنوحة للرجل ٠

واذا كان بحثنا هـذا يعالج أو يضع نقاطا علاجية لظاهرة اغتراب المراة فلنا أولا أن نجمل القيود التى تتعرض لها المرأة والمتمثلة فى :

١ ـ القـود الاقتصـادية ٠
٢ ـ القيـود الجنسـية ٠
٣ ـ القيـود القـانونية ٠
٤ ـ القيـود الأخلاقيـة والدينيـة ٠
٥ ـ القيـود النفسـية والفكرية ٠

وسوف نستعرض الآن كل من القيود السابقة وكيفية معالجتها من وجهة نظرنا فى الواقـع المصرى :

اولا ـ القيـود الاقتصـادية :

ـ ما زالت معظم نساء مصر من الأميات وفى نفس الوقت عاطلات عن العمل بصورته الجـدية ٠ وهـؤلاء النساء او الواحـدة منهن تظل خاضـعة

لسيطرة الرجل بصفته العائل لها ، ولهـذا تعمل المراة من العاطلات عن العمل فى منزلها فى الكنس والطبخ ورعاية الأفراد بغير اجر ٠

انه كما أوضحنا سابقا ، أى اغتراب تحيا فيه المرأة العاطلة عن العمل والمعـولة اقتصاديا من قبل الزوج المتحكم فيها على الدوام ٠

– هـذه بالاضافة الى ملايين الفلاحات اللاتى يعملن بلا اجر ٠

– أما المرأة العاملة والتى تنال أجرا أو مرتبا مساويا لزوجها فانهـا تشتغل فى البيت وتتحمل وحـدها عبء العملين داخل البيت وخارجه ٠

هـذا بالاضافة الى أن سلطة الزوج يحكم قانون الزواج يجعل الرجل مسيطرا على زوجته حتى وان كانت تعمل بأجر وذلك بقـدرته على حرمانها من العمل أو تهـديدها بالطلاق أو الزواج بأخرى ٠

ما لم تتحرر المراة من القيود الاقتصادية الواقعة عليها ، فهى لن تتحرر من اغترابها فى علاقتها مع زوجها ، مع اسرتها ، ومع المجتمع :

١ – لابد من توظيف الفلاحة المصرية فى عمل تتقاضى عنه اجر حسب موهبتها وامكانياتها ٠

٢ – لابد من ايجاد كافة الفرص المتساوية تمـاما بين الرجل والمراة فى العمـــل ٠

٣ – لابد من رعاية الدولة رعاية حقيقية للمرأة التى لا تستطيع العمل لعجزها بصرف اجر عادل لهـا مساوى لأجر مثيلتها التى تعمل ٠

٤ – لابد من فتح دور الحضانة المجانية لرعاية الأبناء والأطفال حتى لا يقـع ذلك على كاهـل الأم وحـدها ٠

٥ ـ ان خروج المرأة للعمل سوف يجبر الرجل – ويجب ان يتعلم ذلك – ان يساعد زوجته فى اعمالها المنزلية على قدم المساواة فلا فرق بين الاثنين ٠

ثانيا ـ القيود الجنسية :

لقد استعرضنا ونحن بصدد تعدد مظاهر الاغتراب لدى المرأة المصرية مدى ما تعانيه المرأة من القيود الجنسية المفروضة عليها ومدى خطورة ذلك حيث يسبب للمرأة المصرية المزيد من الاغتراب (اغتراب الذات على وجه الخصوص) ونحن نرى أن تلك القيود الجنسية باتت من البشاعة بحيث أصبحت ازدواجية الأخلاق ظاهرة شائعة لدى المصريات ٠

ونحن نرى لمعالجة ذلك :

أولا : أن تجرم تماما عملية الختان التى تجرى للبنت المصرية وأن ينص قانون العقوبات على نص صريح ازاء ممارسة عملية الختان ٠ فقطع بظر البنت الطفلة يتم من أجل اضعاف رغبتها الجنسية لتحافظ على عذريتها قبل الزواج وهو المفهوم الاجرامى القذر المتقوقع داخل ادمغة كافة مؤسسات تعليم الطفل بدءا من الرجل الى الأسرة الى المجتمع ٠

ثانيا : تدريس الثقافة الجنسية كمادة دراسية فى المدارس ، وتبسيطها للاناث عبر البرامج الاذاعية والتليفزيونية ، بحيث تصل الثقافة للمرأة أينما كانت فى المدرسة أو البيت ٠

فعلى سبيل المثال فانه من المعروف طبيا أن اثبات العذرية أمر مستحيل فى أكثر من ٣٠٪ من البنات بسبب اختلاف نوعية اغشية البكارة الى حد أن قطرات الدم لا ترى على ملاءة العرس ٠ وحيث أن عنوان البكارة ودلالتها لدى معظم الرجال والنساء هو ذلك الدم ، لنا أن نرى كم من بنات ينلن العقاب بل القتل وهن بريئات ٠ وعندما تصل تلك الثقافة الجنسية للبنت فسوف

تصـــل بالضرورة للرجـــل أو الولـــد أو الذكر عبر نفس تلك البرامـــج والمناهـــج المدروســـة ٠

ثالثا : لابد أن يتم الزواج أولا وأساسا بناءا على الاختيار الحر الذى لا يتدخل فيه الآخرون ، وبالتالى فمقـدمة الزواج الطبيعية هى الحب بمعناه الصحيح ، والحب لا يعلم ، ولكن علينا أن نفهم الانثى انها كائن اجتماعى ذو أحاسيس وعواطف ، وبالتالى علينا أن نطرح عليها ونصحح لهـا فكرتها عن الحب ، لابد ان تعرف الانثى ، أن أى محبين (ذكر وانثى) ينموان من خلال الحب ، فالحب عاطفة معقدة ، وهـو يظهر عندما يعيد شخصان توجيه حياتهما من خلال نقاط محورية جـديدة ، وعلى ذلك لابد ان تفهم الانثى انها فى حالة حب ، عندما يصبح فى امكانها أن تشبع الحاجات العاطفية لمحبوبها والعكس ، ويصبح هـذا الاشباع ضرورة عاطفية مطلقة لكلاهما ٠ ولابد من التركيز على دحض الأكذوبة الناتجة عن التصور بأن الحب هو مطلب سابق Prerequisite لاتمام الزواج ما يلبث أن يتلاشى حيث يواجـه الزوجان بعـد ذلك حياة زوجية رتيبة ومملة ، بل أن الحب مطلب دائم ، وهو فى علاقة جـدلية مع نمو العلاقة ، علاقة بالايجاب ان افراد الأسرة الفقيرة والبرجوازية الصغيرة (بصرف النظر عن افراد الأسر البرجوازية الكبيرة المتفسخة علاقتهم بالضرورة) يعتبرون تبادل الحب غير أساسى فى اختيار شريك الحياة (الحب يأتى بعـد الزواج) ، ولكن بشكل عام فان الاناث فى المجتمع المصرى يتحـدثن عن الحب ويفكرن فيه ويأملن فى الحصول عليه ، ويتابعنه نظريا فى الاغنية والقصة والرواية عبر اجهزة الاعـلام بالاضافـة الى التليفزيون والسينما ولكنهن لا يحصلن على المفهوم الصحيح عن الحب نظرا لارتبـاط الحب فى أدمغتهن باللوعـة والهجران والبـؤس والعـــذاب والمـأساة كما تسمم أجهزة الاعلام ادمغتهن وذلك يبدو جليـا واضحا فى اتهامهن للمحبين وقـد يشرن الى المحبين بشىء من السخرية والادانة ٠٠ ذلك التناقض الواضح بين الأمل فى الحب والخوف منه ٠ ذلك التناقض الواضح بمعنى الحب ذاته ٠

رابعا : ان أى محاولة لدمغ الحب بصفة الأبدية ، أو المطلق ، هو درب من الوهم والخيال ، فالميول قد تتغير والأحاسيس نفسها قد تتبدل ، والاهتمامات المشتركة قد تتلاشى ... الخ • وبالتالى فمن حق المراة تماما دون اى ادانة ان تنهى تجربة حب وتبدأ غيرها (لا يتم ذلك بشكل ميكانيكى ولكن يتم بشكل عقلانى ، بالاستفادة من التجربة السابقة والتعلم منها) فاذا تبين لشخصين دخلا معا فى اتحاد (حب) أنهما غير متوافقين ، او خاب املهما الواحد فى الآخر ، فان المعيار العلمى للأخلاق يحتم حل هذه الرابطة لأنها أصبحت غير طبيعية •

وعلى ذلك لابد من اعطاء المراة الحرية الكاملة مثل الرجل فى انهاء علاقة حب •

وان تفهم الاناث المصريات ، الثقافة الجنسية وثقافة المشاعر الانسانية ومعنى الحب ومراحله • الذى سوف نستعرضه من وجهة نظرنا كالآتى :
أن الحب يمر بمراحل معينة :

(أ) مرحلة الألفة Rapport :

وهى مرحلة التقارب والاطمئنان ونشؤ رغبة قوية لدى المراة والرجل فى التحدث معا عن نفسيهما ، وأن يعرفا أكثر كل عن الآخر •• وهى أخيرا الشعور بالانسجام • واذا لم يتم الشعور بالألفة كمرحلة اولى للحب فلابد ان تتوقف العلاقة ، دون اى أمانى او خداع فى استمرار تلك العلاقة ودون الرجوع الى الأمانى الميتافيزيقية •

(ب) مرحلة البوح الذاتى Self - rerelation :

وهى المرحلة التالية لمرحلة الألفة •• هى مرحلة الاطمئنان الى علاقة اجتماعية ، والمصارحة بما تكن النفس ، وهى مرحلة التحدث عن الأمانى المشتركة والرغبات والمخاوف والطموحات وتتكون الخلفية الثقافية الاجتماعية المشتركة ، هى مرحلة سرعة التقبل والفهم •

(ج) نمـو التبعية المتبادلة

The Development of Mutual Dependencies

وهى مرحلة اعتماد كل من الطرفين على الآخر فى انجـــاز احتياجاته ورغباته المشتركة الشخصية • هى مرحلة الاحساس العميق أن الفرد فى حاجة الى الآخر لان يشاركه افراحه واحزانه ومشاعره وأن يقاسمه المرح والمزاح ، أى أن يعيش معـه الحياة •

(د) تحقيق الحاجـة الشخصية Fersonality need Fulfillment

وهى المرحلة المترتبة على المراحل الثلاث السابقة • وذلك كما تقـول « رايس » Reiss حسب نظرية العجلة (الدائرة) Wheel Theory لانه عندما يشعر الشخص بالألفة يبوح للآخر بذلك ، ثم يصبح تابعـــا ومعتمدا كلا الطرفين على الآخر بشكل التكامل • وبذلك يحقق الفرد احتياجاته الشخصية • ولا شك ان هناك علاقة جـدلية فى دائرة « رايس » لأن الرغبة فى تحقيق الاحتياجات الشخصية هى السبب الأصلى فى حـدوث الألفة • وبدون الألفـة أيضا لا يتم تحقيق الاحتياجات •

ان اى كسر فى اى مرحلة من المراحل السابقة ، يكون ذو اثر سلبى فى تكوين العلاقة بين الذكر والانثى فى علاقة الحب •

ومن ثم فمن حـق المرأة رفض من ارتبطت به متى شعرت بخلل فى احدى المراحل الاربعة المذكورة سابقا ، تماما كما يجب على المجتمع أن يسمح بان يكون الحب بالمفهوم الذى طرحناه علنيا •

خامسا : أن الزواج بمعياره الحـــالى ، والذى أساسه وعماده ، ليس الحب بل قـدرة الرجل اقتصاديا على فتح « منزل » وشراء امراه يعقـد عليها بعقـد زواج رسمى ليس فى نظرنا أكثر من دعارة شرعية ، لأن المراة هنا مضطرة الى الاستسلام لرجل ، لغير دافع الحب الحقيقى • ولكن لدوافع متعـددة بدءا من الدافع الاقتصادى الى ما يصيب المرأة بالعقـد النفسية من جراء خـوفها من أن تكبر فى السـن وتصبح عانسا •

ومن وجهة نظرنا ان الحب ينطوى بالضرورة على دافع جنسى ، وهـذا مشروع للانسان ، ان يرضى غرائزه بشكل انسانى ، ومن ثم نؤكد للمرة الأخيرة على أن اى زواج غير قائم على الحب هو خلل للمرأة ودرب من دروب غربتهـــا ٠

ثالثا – القيــود القـانونية :

ان القانون العادل هـو الذى يحكم على الناس بمقياس واحـد ٠ ولكن فى ظل قوانين النظام الابوى ، تبدو هـذه القوانين ظالمـة ، بل لا نغالى أن تلك القوانين والخاصة بالمرأة المصرية على وجـه الخصوص هى قوانين جائرة وظالمـة وتمارس شكلا من اشكال التفرقة العنصرية على المرأة ، فتعاملهـا بدرجة ادنى من الرجل وتكيل لهـا العقوبات وخاصة فى التشريع الخـاص بالزواج ٠

وعلى سبيل المثال الرجل الذى يمارس الجنس مع امرأة مومس وهـــو الذى يذهب اليها ويشتريها ويمارس معها فاذا ضبط الاثنين فالمرأة تساق الى السجن والرجل يعتبر شاهدا عليها فقط ويطلق سراحه ٠

ولا ندرى لمـاذا لا تكون هناك تسمية اخرى للرجل : اى الرجـــل المومس الذى يشترى لذته من ممارسة جنسية مع جسد امرأة مومس اى تبيع سلعتها : جسدها ٠ ولا ندرى لمـاذا لا يعاقب الرجل مثلما تعاقب المرأة ؟ ! انه قانون الرجال الراسمالى : ادفـع واشترى ومارس ما شئت من فوضى جنسية ونحن نحميك : فأنت رجل (درجـــة أولى) اما هى فالمرأة (درجـة ثانيـــة) ٠

وفى الخيانة الزوجية يسمح القانون المصرى للزوج أن يخون زوجتـه ويمارس مع من يشاء من النساء الجنس فيما عـدا بيت الزوجية ٠ اما الزوجة التى تخون زوجها فى أى مكان فوق ظهر الأرض فيحكم عليها بسنتين سجن فى القانون المصرى هذا بالاضافة لقانون الطلاق والزواج الذى يعطى الزوج

الحق فى تطليق زوجته متى شاء وما هى الا بضعة جنيهات نفقة يدفعها لهـا لمدة محـددة (وهـذا ما اعتبرته اجهزة الاعلام المصرية نصرا للمراة المصرية عندما صـدر قانون الأحـوال الشخصية رقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩) وأن يخبر زوجتـه أنه طلقهـا • !!

ان مثل هـذه القوانين من شأنها أن تضع المرأة دائما فى درجـة ادنى من الرجال ، وتمارس عليها اقصى أنواع القهر وبالضرورة تضـعها فى حالة اغتراب دائم •

ونحن نرى أن تلك القيود القانونية لا تعالج الا عبر النقاط التالية :

١ ـ لابد من وضع تشريعات جـديدة خاصة بالمرأة وموضوعة أساسا لحمايتها (وهـذا هو فلسفة التشريع) تضعها على قـدم المساواة كـكائن اجتماعى كامل مع الرجل :

(أ) من حق الزوجين الانفصال عن بعضهما البعض بمحض ارادتها • والا يقتصر هـذا الحق على الرجل فقط ، فللمراة ان تطلب وترفض أى علاقة لها متى شعرت بذلك مثلها مثل الرجل تماما •

(ب) حرية الزواج وعـدم تقييده بأى شكل من الأشكال •

(جـ) توقيع العقوبة على الذكر والانثى فى حالة ممارسة الخيانة الزوجية ما دام هناك حرية الزواج وحرية الطلاق لكلا الطرفين •

(د) أن ينص عقد الزواج صراحة على ما سبق فى النقاط أ ، ب ، جـ •

(هـ) يلغى تعـدد الزوجات كما يلغى أيضا تعـدد الأزواج تماما •

(و) الغاء كافة التدابير المنصوص عليها فى قانون العقوبات والخاصة باجبار المراة على الحياة مع زوج لا ترضى عنه مثل بيت الطاعة •

(ز) الغاء كافــة مواد القانون المتحــدثة عن المهر وخلافة واعتبارها من الأمور الخاصة بين الزوجين ولا يحق لأحــد التدخل فيها ٠

ان القانون لابد أن يكون عادلا ، لا تفرقة فيه بين انثى وذكر ٠ ولابد وشرطا من شروط العــدل ـ ما دامت المرأة كائنا كاملا اجتماعيا ـ ان لا يفرق بينهما وبين الرجل ٠ فلها نفس الحقوق وعليها نفس الواجبات دون اى تفرقة من أى نوع ٠

رابعا ـ القيــود الأخــلاقية والدينية :

من أجــل مزيد من القهر المرتبط معا والواقع على كاهل الانثى اقتصاديا وجنسيا وقانونيا ، كان لابد من ممارسة القيود الأخلاقية والدينية عليها ٠

ـ نسمع بين فترة وأخرى أصوات تعلو وترتفع بعودة النساء للبيت وعــدم خروجهن الى العمل حفاظا على أخلاقهن ودينهن ٠

ـ منع سفور المرأة والصيحات المتعالية بعودة الحجاب وعــدم اختلاط الانثى بالذكر وعــدم خروج المرأة من بيتها لأن العمل يعطلهـــا عن دورها الأساسى فى المجتمع والحياة الذى خلقه الله لها ، وهو خــدمة الزوج والأطفال ٠

ـ « لا تضع البنزين بجانب الكبريت » ما جلس رجل وامرأة الا وكان ثالثهما الشيطان هكذا يرون المرأة مستباحة دائما ويجب منعها من الاختلاط بالرجـــال ٠

ـ منع المرأة من تولى مناصب القضاء لأنها ناقصة عقل ودين !

اين هــذه الأصوات التى تعلو من الفلاحة المصرية التى تشقى فى الحقل جنبا الى جنب مع الرجل منذ الاف السنين ، وبغير خروج الفلاحة المصرية قبل شروق شمس كل يوم ما وجــدوا ما يأكلوه ولا ما يلبسوه ٠ واين هــذا

الدين الذى يقول عن المراة ناقصة عقل ودين ، نحن لم نجـد ذلك ولا الحجاب !
الا فى الآية الموجودة فى التوراة التى تنص على أن يصلى الرجل لله دون ان يغطى راسه لانه صورة من الله ، أما المرأة فلابد أن تغطى راسها وهى تصلى ٠ وفسر ذلك على أن المراة ناقصة ، والذى ينقصها بالذات هو الرأس ، ومن هنا خرجت الفكرة بأن المرأة لا عقل لها أو أن عقلها ناقص ٠ وبالتالى حرمت من مناصب القضاء والعدل والحكم وحتى فى التشريع المدنى لم يسجل القانون أن من حـق المراة أن تنتخب اجباريا كما اعطى هـذا الحق للرجل ٠

ان كل الدعاوى السلفية بعـدم سفور المراة وعودتها للمنزل وعـدم خروجها العمل ما هى فى مضمونها الأخير سوى مجموعة من القيـود فرضـها النظام الأبوى على المراة من أجل مزيد من الغربة ٠ كذلك كافة المضامين المتعلقة بشرف وعفة المراة أو حزام العفة فى العصر الحـديث ما هى الا مزيدا من القيود على المراة ومزيد من الاغتراب تحيا فيه ٠

أن على المرأة أن تفهم الأخـلاق على انها مجموعة من القيم والمعايير ذات مضمون واحـد يشمل على الآتى :

(أ) احترامها لذاتها وثقتها فى كونها انسانة كاملة ذات عقل كامل ٠

(ب) قـدرتها على أن تحظى باحترام الآخرين من خلال قـدرتها على اقناعهم بآرائها ومساهمتها فى مختلف الأدوار داخل المجتمع ، وان تكون ذات جرأة كافية بحيث تتصـدى لكافة محـاولات الانتقـاص من قـدرها ٠

(جـ) قـدرتها على احترام الغير من خلال احترامها لذاتها ولكونها كائن مساوى للرجـل تمـاما ٠

(د) القـدرة على التحـدى السوى برفض الأمر الواقع ومحاولة تغييره٠

(هـ) يجب ان تتذكر المرأة كلمات جيدة قيلت عنها وأن تعيها جيدا وان تسعى الى أن تكونها .. تلك الكلمات التى تقول :

« يجب ان نعلم حتى الطاهية البسيطة كيف تدير دفـــة الدولة » .

(و) ان شرف المرأة هـو أن تكون قادرة دائما على الطعاء وعلى قدرتها على استخدام عقلها ، فشرف الانسان بعقله وليس بجسده والعقل المفكر والمنتج هـو فى النهاية الانسانة الشريفة .

اما الدين فهو فى النهاية فلسفة للخير كما نفهمه وليس من العـدل ان نتدخل فى علاقة الانسان مع من يعبده وبالتالى فالعبادة حرية فردية . والمرأة ككائن اجتماعى كامل عليها أن تتعامل مع الدين مثل الرجل تماما . علاقة بين انسان وبين من يعبده ودون الخوض فى خزعبلات تحد من حريتها وتنتقص من كرامتها . ويقول « أريك فروم » فى كتابيه (الانسان لنفسه) و (التحليـــل النفسى والدين) ما معناه ان الأديان التى تقوم فيها العلاقة بين الانسان والالة على الحب طى انسانية humanistic ويفرق بينها وبين الأديان التى تقـــوم فيها العلاقة بين الانسان والاله على الخوف أى الأديان الاستبدادية Authoritarian فالأولى تساعد الانسان على استخدام عقـــله من اجل اسعاد الآخرين وتطوير المجتمع الى الأفضل ، اما الأديان الاستبدادية فهى تشل عقله لأنه يعتمد على الخوف وقوة أخرى غير نفسه وعقله يســـقط عليها كل الصفات الطيبة كالعـدل والحق والحكمة ولا يبقى لنفســـه الا الصفات الشريرة ويشعر الانسان بالاغتراب عن نفسه ، لقـد استأصل من نفسه الجزء الطيب واسقطه على قـوة خارجية بعيدة عنه . وهكذا تصبح والتى نجدها تحريفا وقحا لفلسفة الاله وللدين بصفة عامة .

وهكذا يريدون المرأة مغتربة بالأديان الاستبدادية التى نحن ضـدها والتى نجـدها تحريفا وقحا لفلسـفة الالة وللدين بصفة عامة .

خامسا – القيود النفسية والفكرية :

من اجــل تدعيم القيود الاقتصادية والجنسية والقانونية والأخلاقية ، كان لابد من فرض قيود نفسية وفكرية على النساء بحيث لا تستطيع المراة التفكير بحكم اغترابها فى الظلم الواقع عليها ، وتظن ان هــذا الظلم مفروض من الله أو مفروض من الطبيعة وكان لابد من تشويه طبيعة المراة بالمفــاهيم النفسية الخاطئة عن الانوثة والجمال الانثوى • وتشويه عقلها بالحرمان من المعرفة والفهم • وبسبب تخبط المراة بين طبيعتها الحقيقة وبين الطبيعــة الانثوية المفروضة عليها بالنظام الابوى ، فقــد سقطت كثير من الاناث ضحايا العقاب والقلق والبرود الجنسى والتخبط الفكرى وكلهــا أمراض نفسية وعصــبية •

ويقول « **كيركجارد** » (ان الحقيقة لا توجــد فى حيــاة الانسان الا اذا أوجـدها الانسـان من خلال الفعل) •

ويقول « **جان بول سارتر** » (افعالنا هى نحن) •

ويؤكد « **وليم جيمس** » على (أهمية اتحاد العمل والتفكير لسلامة الانسان النفســية) •

ويعرف « **هيــدجر** » الحقيقة (بأنها حرية الفعل) •

ويقول « **بول تليستن** » (ان الانسان لا يصبح انسانا حقيقة الا فى لحظة اتخاذ قرار بالفعــل) •

واخيرا يقول « **لينين** » (يجب ان نعلم حتى الطاهية البسيطة كيــف تدير دفــة الدولة وليس بيت القصيد منحها حقوق على الورق ، بل ان تتاح لهــا امكانية ممارستها) •

ان الكبت هو عـدم الفعل ، وقـد كبتت المرأة ، وحرمت من الفعـل ، ولذلك لم تستطيع أن تعيش الحقيقة ، وعاشت فى احـلام وخيالات ، وهـذا يعرضها دائما للصـدمات النفسية حين يصطدم الواقع بخيالاتها فاذا بها تعيش صراع العالمين الحقيقى والخيالى وتعيش الاغتراب بأوضح صورة ٠

ويقول « رولوماى » (كم هو خاطىء تعريفنـا للعصاب على أنه الفشل فى التكيف مع المجتمع ٠ ان هـذا التكيف هـو العصاب بالضبط ٠ ان هـذا التكيف معناه أن يقبل الانسان قتل الجزء الأكبر من وجـوده من أجل الابقاء على جزء صغير جـدا من هـذا الوجود ٠٠ ان القلق هى حالة الانسـان عندما يصارع تلك القوى التى تحاول تحطيم وجـوده) ٠

ونحن نرى انه من الضرورى لعلاج اغتراب المرأة عن مجتمعها أن تتحرر من تلك القيود النفسية والفكرية :

أولا : انه لابد لكى تعيش المرأة بلا أمراض نفسية أو عقـد أو أمراض عصبية ، وأن لا تعيش فى مجتمع اغتراب ، وأن تحيا حياتها بمحض اختيارها، حياة حرة ، ووجود مستقل بالعمل الخلاق المنتج وبالحب الغـير مفروض عليها ، الحب النابع من داخلها ٠ وذلك لن يتحقق الا فى ظل الحرية الايجابية ، وهى ليست مجرد غياب القيود (الحرية السلبية) ، ولكنها حركة ايجابية نحو الخلق والابداع فى العمل وممارسة جميع الطاقات الانسانية من خلال الحـب الحقيقى ٠

ثانيا : ان الطموح الفكرى والرغبة فى الابداع والتجـديد ، معناه أن يكون المستقبل افضل من المـاضى . ان هذا الطموح والتطلع نحو مستقبل افضل من المـاضى هـو صفة انسانية ٠ وهـذه القـدرة على رؤية المستقبل فى ضوء احداث المـاضى ، وهـذه القـدرة على التعلم من المـاضى ، والتخطيط للمستقبل وتطويره هـذه القـدرة هى مسيرة فريدة للوجود الانسانى ٠

ولابد من ان تدفع الانثى الى الطموح الفكرى وأن تكون مبدعة وخلاقة، بفتح كافـة السبل امامها لذلك ٠

ان علينا أن نثقف المرأة ، وأن نجعلها شجاعة ، بكل الطرق والسبل والتشجيع ، وباستخدام كافة الوسائل المتاحة لذلك ، وأن نجعلها تفهم أن ماضيها جزأ لا ينفصل عن حياتها ، تستفيد منه فى حاضرها ومستقبلها ، فالماضى لا يمثل لها عبئا أو حملا غريبا عنها تضطر لحملة ، وانما هو جزء منها يفيدها ويغذى حاضرها ومستقبلها بالتجارب والخبرات الضرورية لنضج الانسان ٠

ان ذلك هو ما يجب ان يوضح فى أدمغة النساء المصريات ، وليس العكس ، ان كسر اى قيود فكرية هو نقطة البداية لخلق المرأة المثقفة المتحررة من كافة عقد النقص التى يفرضها عليها المجتمع ٠

ثالثا : ان المرأة التى نبغيها متحررة من الاغتراب ومن القيود النفسية والفكرية هى المرأة المثقفة التى تتمتع بصحة نفسية ، وهى المرأة المتكاملة البناء فى شخصيتها انها المرأة التى استطاعت أن تحطم التقاليد داخلها وخارجها التى تفرض عليها ان تكذب على نفسها أو على الآخرين ٠ وهى المرأة التى تستطيع فقط ٠ أن تسيس حياتها على أساس تجاربها التى تعتز بها مهما كان فيها من سلبيات ٠

رابعا : ان الأمراض النفسية التى تصاب بها الانثى المصرية واشهرها العصا بليس علاجه بخفض أو تسكين درجة الوعى عند المرأة (بالاقراص أو الكهرباء) لتتكيف مع حياتها ، بل ان العلاج هو رفع درجة وعيها اكثر لتصبح قادرة على رفض التقاليد والزواج الفاشل ، ومعاودة الاختيار ، والتى لا تصبح حياتها هى رجلها وفقط ٠ بل أن زوجها جزء من حياتها فحياتها واسعة تشعر بقيمتها وذاتها من خلالها ، من خلال عملها ومشاركتها فى العمل والانتاج داخل المجتمع ٠

خامسا : واستكمالا للنقطة السابقة ، ولتحرر المرأة من القيود النفسية والفكرية المفروضة عليها ، لابد من أن تشعر المرأة وتشارك فى العمل ، وأن يعمل المجتمع على فتح السبل لذلك بشتى الطرق والوسائل بالعمل الخلاق

الذى يناسبها وتحبه وتستطيع أن تخلق فيه وتبدع · ذلك هو الطريق الأمثل لتحقق المراة المصرية والمراة عموما · لذاتها من خلاله ، والطريق الصحيح والسوى الذى تجد فيه معنى لحياتها ووجودها · بذلك تبنى شخصية جديدة للمراة المصرية ، شخصية قوية ومتماسكة ·

سادسا : ان الازدواجية الاخلاقية التى تعيش فيها المرأة (والرجل بدرجة أقل) هى مشكلة ناشئة عن السلطة المتخلفة التى تحاول استغلال البشر ، وبالتالى فهى تتشدق بمبادىء العدالة والحرية والصدق والحب أما الممارسة الفعلية فهى عكس ذلك تماما ، وتنتقل الازدواجية الى جميع مرافق الحياة ، الى البيوت والجوامع والكنائس والمدارس والمكاتب والاسواق · ويعتنق الاكثرية المطلقة تلك الازدواجية ويعيشونها من أجل التكيف مع المجتمع وعدم التعرض لبطش السلطة · فيعلن المجتمع أو بمعنى أصح يدعى المجتمع ايمانه بالصدق والحرية والحب والعدالة وتفاجأ المراة بأن كل ذلك غير موجود (والرجل أيضا بدرجة أقل) ، وتفاجأ بأن لها حياة سرية تمارس فيها أشياء أخرى مناقضة تماما لما تصرح به السلطة ولما تتشدق هى أيضا به أمام الناس ·

وعندما يرفض الانسان (الذكر والانثى) ممارسة الازدواجية فلابد من الاصطدام مع السلطة وهذا يقوده بالضرورة الى السجن أو مستشفى للأمراض النفسية والعقلية !

اذن لابد من القضاء على الازدواجية الاخلاقية بضرب السلطة التى تتشدق بما لا يمكن أن تقبل من الأفراد أن يفعلوه (وهذه هى كل سلطة راسمالية أبوية) ·

ويجب خلق مجتمع جديد تحيا فيه الاناث والذكور ، والاناث على وجه الخصوص حياة قائمة على الحب والمناقشة والاقتناع ·

أن هذا هو السبيل الوحيد للقضاء على الازدواجية الأخلاقية ، للقضاء على تدمير نصف المجتمع : النساء · وهو السبيل الوحيد للقضاء على

الكذب والنفاق الذى يدمر النفس الانسانية ويدمر معه المجتمع كله ويدفعه آلاف الخطوات الى الوراء ٠

ولا شك ان المجتمع الذى تسود فيه قيم الصدق والعدل والحرية والحب هو مجتمع يندفع آلاف الخطوات الى الامام ، فانسانه (وانائة نصف هذا المجتمع معظم المجتمعات) ذو ضمير حتى لا يشعر بالعذاب ولا الاغتراب ٠

سابعا : وارتباط بالنقطة السابقة فان الأسرة هى جزء من المجتمع ، ومعظم الأسر هى انعكاس للمجتمع ولقيمة ولسيطرته وللسلطة ذاتها ، ولابد من الاعتراف بأن معظم علاقات الآباء والأمهات بالبنات (والأولاد بدرجة اخف حيث لهم قدر اعلى من الحرية بحكم كونهم ذكورا) علاقة قائمة على الخوف والطاعة ٠ وتتصور معظم الأسر فى المجتمعات المتخلفة والفقيرة أن الصرامة والشدة والتخويف كلها ضروريات لتربية البنات ٠ بل هم يتفاخرون بطاعة البنات ، وهى ليست صفة حميدة بقدر ما هى مرض نفسى ٠ ذلك أنها فى الحقيقة كبت واضح يؤدى الى قلق عميق ومدمر وسلبية مطلقة ٠

لابد من أن يخلق مجتمع جديد يربى فى الأسر ان تعلم ابناءها والاناث على وجه الخصوص المناقشة والاقناع والاقتناع ٠ فهذه الطفلة التى تكبر والتى لا تستطيع ان تخالف والدها او أمها تقمع فى نفسها قدرتها على التفكير النقدى وتصبح كما يقول علم النفس لها افكار الآخرين المتوارثه – اى التفكير الزائف لانه ليس نتاج تفكيرها هى . والتفكير الزائف يؤدى بطبيعة الحال الى رغبات زائفة والرغبات الزائفة تفضى الى افعال زائفة ٠

والعكس صحيح لدى من يتعلم من المناقشة والاقناع والاقتناع ، سوف يربى على التفكير الذاتى وتنبع رغباته من داخله وتكون افعاله صادقة حتى لو كانت خاطئة ، لكن الانسان ابن التجربة وهو قادر هكذا على التعلم من الخطأ والصواب ومن تجربته ٠

ولابد من تثقيف الأسرة ذاتها لتنشأ جيلا جديدا قادرا على التفكير الذاتى الأصيل ، وقادرا على العطاء دائما وبحب والاقتناع ٠

ثامنا : لقد أجمع علماء النفس والاجتماع التقدميين على أن الحرية الايجابية هى الوسيلة الوحيدة التى يحصل بها الانسان على الهدوء والامان والانسجام مع العالم · هذه الحرية لا يمكن أن تتحقق فى مجتمع يقوم على التنافس والاستغلال وانما تتحقق فى مجتمع يقوم على التعاون بين الناس ، وهذا لا يمكن أن يحدث اذا شعر الناس أنهم غير متساوين · ولابد أن تشعر المرأة بأنها مساوية للرجل فعلا وعملا وليس على الورق كما هو حادث فى المجتمعات المتخلفة ومنها مصر (بالتمثيل الصورى لها فى المجالس وبحق الانتخاب غير الاجبارى وبحرمانها من تقلد وظائف العدل والقضاء ··· الخ) وذلك كى يقوم مجتمع جديد قائم على التعاون حتى يحدث الحب ويقضى على شعور المرأة المسيطر عليها : القلق والوحدة وعبث الحياة ·

تاسعا : ان دور المدرسة مهم غاية فى الأهمية ، فهى احدى المؤسسات التربوية ولكن أى تربية تعطيها للتلميذ ؟ فى معظم الاحيان تحول المدرسة التلميذ الى جهاز استقبال صامت ، لا رأى له ·

أن المدرسة لابد أن تعود التلميذ (وخاصة الاناث) على أن الحياء والخجل هى صفات مرفوضة وليست أمرا واقعا ولابد أن تقبله الانثى (التلميذة) · لابد أن تعود المدرسة الانثى (التلميذة) على ابداء الرأى والمناقشة والاقتناع والاقتناع ، وان يلقى فى مزبلة التاريخ ذلك المثل القائل (من علمنى حرفا صرت له عبدا) فالعبد جبان وخائف لا يستطيع مخالفة أحد فى الرأى هو يؤمر وينفذ · ان من علمنى حرفا يجب أن أحترمه ، ذلك هو المعيار الصحيح للتربية ، الاحترام وليس الخوف والجبن اللذان يقفان حائلا بين النضوج الفكرى والاستقلال الشخصى لابد أن يكون العلم للمجتمع وليس لمسخ (الانثى) الى شخص عاجز وغير متحرر ومكبوت · لابد أن تلغى كلمات العيب والحرام وقلة الأدب · ويعوض عنها بكلمات احترمى نفسك يحترمك الآخرون · أن فلسفة التربية هى بناء الشخصية المتكاملة وهى التى لا يمكن أن تنمو فى مدارسنا المعتمدة على العقاب الجسمانى بدلا من الاقتناع ، والمعتمدة على الامتحان ذلك النظام البغيض ، بدلا من الابتكار القائم على الفهم ·

ان المدرسة لابد أن تعلم الانثى انها كائن اجتماعى كامل قادر على تغيير مجرى الاحـــداث ومشارك فى تطـــوير المجتمع ٠

ولابد أن يكون التعليم اجباريا فى شتى أنواع التعليم (العـــام ـ التجارى ـ الصناعى) الى المراحل التى يمكن فيها ان تتخرج الانثى تعمل ولتعمل ولتعمل بدءا من العاملة الى العالمـة ٠

عاشرا : ان المطبخ بالنسبة لملايين النساء واحـد من أكثر المؤسسات انهاكا وتضييعا للوقت والجهد : أنه يهـدم صحتهن ويصيبهن بالاكتئاب كما انه مصـدر ازعاج مستمر لاولئك ـ وهن الغالبية ـ اللاتى لا يملكن الا مصادر فقيرة ٠ « وسيكون الغاء المطبخ الخاص خلاصا لعـدد لا يحصى من النساء ٠ فالمطبخ مؤسسة بالية شأنها شأن ورشة الحرفى : كلاهما ينطوى اليوم على سوء الادارة وضياع الوقت والجهد والحرارة والضوء والمواد الغـــذائية ٠٠٠ الخ » ٠

« ان جميع اعمال التدبير المنزلى تقع على عاتق المراة ٠ وهـذه الاعمال هى فى غالب الاحيان أقل الاعمال التى تؤديها المراة انتاجية واكثرها بربرية وأشدها وطأة وارهاقا ٠٠ أنه لكدح فى منتهى الحقارة ، ولا يمكن ان يسهم بأى قسط فى تطـور المراة » ٠

قيلت المقتطفات السابقة فى الربع الاول من القرن العشرين ، واليوم وفى المجتمع الحـديث ، نجـد ان معيار نجاح المراة فى مصر معناه أن تنجح فى غسل الصحون ورتق الجوارب والطبخ وكيفية الاحتفاظ بالزوج ٠ ولعـــل النجاح الفكرى للمراة حتى الآن فى مصر او الذكاء المتفوق كلها تعتبر عيوبا بالنسبة للمراة المكتملة الانوثة ٠ فكيف يمكن لهـا ان تظهر ذكاءها ؟ ! ان استعباد الرجل للمراة أو بمعنى أصح استعباد المجتمع للمراة ، يظهر جليا فى حرصه على الاشادة بالزوجـة الوفيه التى تستطيع تنظيف بيتها وطهى طعامها ، حتى أنهم وضعوا فى ادمغتها أن الوصول الى الزوج والى استقراره يأتى عبر شيئين :

١ ـ الانجــــــاب ٠

٢ ـ الطعــــــام ٠

هكذا اهــدر المجتمع المصرى قيمة المراة وقــدرتها واختزلها فى تلك الاعمال المنزليــة غــير المنتجــة ٠

ويقول « فردريك انجلز » (أن التقسيم الاول للعمل فى تاريخ الانســـان حـدث بين الرجل والمراة من أجل رعاية الاطفال ، وكان اول صراع طبقى فى التاريخ هو الصراع بين الرجل والمراة فى ظل الزواج الوحدانى monogamy وان أول خضوع طبقى كان خضوع الزوجة لزوجها ، لقــد كان هــذا الزواج تقــدما تاريخيا من ناحية ، لكنه من الناحية الأخرى أنتج الرق (العبيد) والملكية الخاصة : وتلك الظاهرة المستمرة حتى اليوم ، وهى أن كل تقــدم ليس الا تاخرا نسبيا ، حيث أن تقــدم مجموعة من الناس تكون على حساب شقاء وتخلف مجموعة أخرى) ٠

ان الحل الوحيد لحرية المراة ولاحساسها بذاتها وتخلصها من تخلفها وعقمها الفكرى الحالى المفروض عليها ، هــو الخروج الى العمل بل نحن مع من يقول أن يكون العمل اجباريا للمراة وللرجل ٠ وان تكون الاعمال المنزلية هى اقــل الاعمال التى يمكن للمراة أن تقتطعها من ساعات يومها وان يشاركها الرجل فى هــذه الاعمال ٠

أن العمل هو الذى يشعر المراة بذاتها وبكونها عضوا منتجا فى المجتمع ويجعلها مربية ممتازة لاولادها من خلال تجاربها المتعــددة فى شتى نواحى الحياة من خلال المشاركة مع الاخرين ، مع المجموع ، فى تجاربهم وخبراتهم ٠ والتى سوف تتكسبها من خروجها للعمل ٠

ولقــد أوضحت « ماكوبى » أن عمل المراة خارج البيت هــو اقـــل العــوامل تاثيرا فى صحة الاطفال النفسية » ٠

وقـد وصل الى هـذه النتيجة بشكل آخر علماء آخرون مثل « وولتر » Waltre و « باندورا » Bandora و « جلوكز » Gluckes توصـلوا الى أن مشاكل المراهقـين النفسية تزيد فى العائلات التى تتفرغ فيها الامهات لاعمال البيت والاطفال • وفى أبحاث رومان اتضح أن أبنـاء الامهات العاملات يتمتعن بصحة نفسية أفضـل من الامهـات المتفرغات بالبيـــوت •

هكذا نكون قـد استعرضنا القيود التى تعانى منها المراة بصفة عامة والمصرية بصفة خاصة وهى القيـود : الاقتصادية – الجنسية – القانونية – الاخلاقية والدينية النفسية والفكرية • ولقـد حاولنا سابقا أن نضع نقـاط علاجية لكل من تلك القيـود •

وتبقى كلمة عامة : يقول الموال المصرى المعاصر :

(الصبر كالقـبر يقتل يا أولى الالبـاب
أيوب صبر والعبر من بلـوته فى كتـاب
ضاع فى الفلا وابتلا جسمه بدون أسباب
يا مغنى للصـبر عايز تزرعـه غيطـان
اردم على الصـبر وازرع م الحماس فـدان
حقق ودقـق وقـوم زعـق ورن الجـرس
بالقـول تقـول الحلول مش باطنى والخرس
دا الصبر سرداب عذاب أسود بلا أبواب)

لقـد علم المجتمع المصرى المراة أن تصبر ، وأن تخرس ، وأن ترضى بالامر الواقع •• أى أن تزداد كبتا وقلقا •• لتزداد اغترابا والما أن هـذا الصبر المرضى هو الذى سوف يدفع المجتمع مئات الخطوات الى الوراء ، وسوف يمزقه ويفجره •

وجاء دور العلم ليبث الحماس ويزرعه فى النفوس ، ليس حماسـا على الورق ولكن طرحا لافكار جـديدة تولد الامل والدعوة الصريحة للمرأة لان تغير وضعها واغترابها ، بتبنى افكار جـديدة ، وبثورتها على كافة القيود البالية .. آن للعلم أن يحـدث التغيير ، والتغيير ثورة ونبوءة بعالم جـديد للانثى المصرية .

ان الحل الوحيد لاغتراب المرأة المصرية فى المجتمع المصرى ، يقـع فى بداية الامر فى قـدرة هؤلاء النساء على التوحـد والثورة على وضعهن ، ولن يتأتى ذلك ما لم تفهم المرأة المصرية حقيقة وضعها المتدنى فى المجتمع ، وحقيقة خطورة هـذا الاغتراب الذى تعيش فيه . وذلك سوف يأتى حتما عنـدما يستطيع المهتمين بقضايا المجتمع والتقـدميين ، الذين استطاعوا أن يرفضوا التكيف مع هـذا المجتمع بقيوده وعاداته البالية ، وكان وسوف يظل الى فترة طويلة طريقهم : طريق الكفاح الشاق الذى قـد يوصلهم دائما للاصطدام مع الآراء المتخلفة ومع الطبقية الحقيرة ومع من يدافعون عن التخلف ، ولانهم نجـوا من مستشفيات الامراض العقلية والنفسية فقـد يلاقـون السجن سنوات عقابا لهم .. لكن سوف تستمر مسيرة هؤلاء المدافعين عن قضايا المجتمع الاملين دوما فى رقية وتطورة ، ولعل أبرز قضايا المجتمع هو الدفاع عن نصفه عن المرأة . هؤلاء هم المثقفون الثوريون الذين سوف يرفعوا أصـواتهم وسوف يعملوا أدمغتهم ليدافعوا عن اغتراب نصف المجتمع اغترابا حادا عبر الكلمـة والفن والبحث الاكاديمى .

ان امرأة المستقبل فى مصر التقـدمية ، هى المستقلة اقتصاديا واجتماعيا ، فهى لا تعود خاضعة لاى أثر من السيطرة أو الاستغلال ، فهى حرة وعلى قدم المساواة مع الرجل . وهى سيدة مصيرها . تعليمها هـو نفس التعليم الذى يتمتع به الرجل ، باستثناء بعض التعـديلات تتطلبها الاختلافات بين الجنسين والوظائف الجنسية . لانها سوف تعيش فى ظروف طبيعية فانها سوف تكون قادرة على تدريب قوامها وملكاتها البدنية والذهنية وتنميتها بمـا يتفـق واحتياجاتهـا .

وهى تختار مهنتها فى مجال يتفق مع رغباتها وميولها ومواهبها ، وسوف تتمتع بشروط للعمل مطابقة لشروط عمل الرجال · وحتى اذا كانت تشتغل بحرفة ما لعدة ساعات ، فان لهـا أن تمضى جزءا اخر من يومها فى العمل كمعلمة و موجهة او ممرضة ·· اى عمل تطوعى من اجل غيرها من البشر ، من الانسان وبالتالى من المجتمع · انها سوف تتدرب على مجالات جديدة ، تشارك فى الدراسات والعمل ، وستتمتع بالتنوع والترفيه مع غيرها من النساء او مع الرجال على النحو الذى تريده ووفقا لمعايير سوف يعلمها لهـا المجتمع واهمها الشرف المرتبط بالنشاط العقلى ولفكرى ، الشرف المتعلق برأس الانسان لا بنصفه الاسفل وفقط ، وسوف تكون المراة هكذا مسئولة عـن سلوكها وافكارها أمام الاخرين ·

فذكاء المرأة وثقافتها واستقلالها التام ، هـذا ما سـوف يغرسه مجتمع الغـد فى مخها ، ستحميها من ارتكاب افعال تكون ضارة بها كانسانة، مقـلة من شأنها كانسان يحيا فى المجتمع · اذ ستمتلك المرأة درجـة أعلى بكثير من الانضباط الذاتى المرتبط باقتناعها النابع منها وأيضا سوف تمتلك المعرفة الذاتية بدرجة أعلى من هؤلاء الذين يعيشون اليوم ·

ولن تستعبد المراة من مهن خاصة بالرجال (لانها أدنى منهم) مثـل البحث والسياسة والعـدالة (القضاء) والحرف والادارة ··· الخ ·

ونحن نتفق باحتراس مع « ناى » Nye انه اذا اتيحت للنساء الفرص المناسبة للتدريب فى مجال الرياضيات والعلوم الطبيعية والمجـالات الأخرى القاصرة على الرجال فان التغيير سوف يؤدى الى ما يلى :

(أ) ستصبح المراة فى عـدد متزايد من الاسر هى « عائل الاسرة » وقد يتولى الزوج نتيجة لذلك القيام بالاعمال المنزلية وليتحمـل مسئولية ادوار تتناقض مع دوره التقليدى الحالى ·

(ب) يحتمل ان تتزايد معـدلات الطلاق نتيجة لـما يتطلبه عمل المراة من وقت ، وما يقتضيه من تنقلات وأسفار فى بعض الاحيان ·

ويضاف الى هـذا كله أن استقلالها اقتصاديا يجعلها لا تعتمد على الرجل او تقبل منه سطوة فى غير محلها ٠

(جـ) يتوقع أن تتزايد دور الحضانة للاطفال للنقص المستمر فى الخدم ٠

(د) يحتمل ان يستمر معـدل المواليد فى الانخفاض كبديل لتربيـــــة الاطفـــــال ٠

(هـ) يمكن ان يزيد سن الزواج بالنسبة للفتيات نظرا لاقبالهن الشديد فى الوقت الآتى على تلقى العلم بدرجة توفق اقبال الشباب عليه ٠

ونحن قد نختلف مع السيد/« ناى » Nye فى **النقطة أ** : حيث نرى أن الاعمال المنزلية سوف تكون مشتركة بين الزوج والزوجة وهـو دور للزوج المتنور الانسان وصحيح أنه دور جـديد عليه فبعـد أن كان السيد سيصبح المساهم والمشارك للمراة فى المنزل ٠

وفى النقطة ب : لو تزايدت معـدلات الطلاق فسوف يكون مرجع ذلك لا لاسفار الزوجة ولكن لعقلية الزوج المتخلفة (السيد) فى مجتمع جـديد ، فقط سوف يكون الطلاق راجع لتبين الشخصين اللذين دخلا معا فى اتحـاد أنهما غير متوافقين ، واذا خاب أمل احـدهما فى الاخر ، فان الاخلاق تتطلب أن يتم حل هـذه الرابطة غير الطبيعية وغير الاخلاقية بالتالى ٠

وفى النقطة جـ : نعم سوف تزداد دور الحضانة ويجب أن تزداد لتعلم الاطفال الخبرة والحياة الجماعية منذ الطفولة المبـكرة ولكن ليس لنقص الخـدم ، نحن نريد المرأة والرجل خادمين فى منزلهما الذى لن يقتطع من وقتها الكثير ، ونحن ضـد مهنة الخـدم الحقيرة ، استخدام قـوة عمل فى أعمال حقيرة وغير منتجة ، فالاطفال ترعاهم الحضانة ، والوقت غير متسع لمطبخ (عـدو المراة) لتتفنن فى عمل طعام مرضى ، بل يجب ان تكون هناك وجبات جاهزة رخيصة صحية سريعة الطهى ، ومنزل صغير واثاث مبسط لا يستلزم جهدا حادا مثلما يحـدث الان ، منزل صحى ونظيف ٠

اذن نحن نتفق فى بعض النقاط ونختلف فى بعضها مــع Nye ان ما نتحــدث عنه الان ، سوف ينهى الظروف التى سادت منذ قرون وحتى الان والتى تدين عــددا كبيرا من النساء أما لعزوبتهن واما لبيعهن أجسادهن ، ستكون تلك الظروف قــد انتهت ، فان الرجال لن يعـــودوا قادرين على الاحتفاظ بأى تفــوق • وعليه فان الظروف الاجتماعية المتحولة سوف تزيل كثيرا من عوامل الكبت والمنغصات التى تؤثر على الحياة الزوجية اليوم ، والتى تمنعها غالبا من التفتح أو حتى تجعلها مستحيلة •

لن يصبح من جهة اخرى ، هناك اى افتقار للحب الحقيقى ، بين الرجل والمراة وهو أهم الاسباب وراء المشاكل النفسية والجنسية للرجال والنساء • فالحب هنا لن ينشأ بشكل خاطىء بين اعلى وأدنى ، بل سوف ينشأ بين رجل وامرأة على قدم المساواة ، وفى ظـل علاقات انسانية قائمة على المساواة والعدالة والحرية والاستقلال والنضوج ، لان المجتمع لن يقوم على الاستغلال الاقتصادى والملكية والقهر •

وسوف يكون للمراة حــق مساوى للرجل فى القانون دون تفريق فلها حق الولاية والوصاية والشهادة والانتخاب ، والعلاقة بالاطفال • وهكذا تصبح الحياة قائمة بين الرجل والمراة على التعاون وليس على الاستغلال والتفوق غير الموضوعى سوف تتمسك المراة بجوهر الانسانية والشرف من حيث العدالة والصــدق والمساواة والحرية والحب •

وسوف تتحرر المرأة من الطاعة العمياء يوم ان تقف على قدم المساواة مع الرجل من ان لا يستخدم المجتمع جسمها العارى فى السينما ووســـائل الاعــلام المختلفة للاثارة والتجارة • وسوف تنتهى الازدواجية الاخلاقية •

سوف تتغير حتما هــذه الحضارة المسماة بالحــديثة وخاصة انعكاساتها على المجتمعات المتخلفة ومن بينها مصر بالذات ، لن تصبح حضارة صـــنعها نصف البشر (الذكر) ووقف النصف الاخر يتفرج (النساء) سوف تصبح

حضارة الانسانية : الرجل والمرأة · حضارة من أجل التقدم الذى يسعى دائما لسعادة الانسان ولفرحته ·

وعندما نتكلم عن العلاقة بين الرجل والمرأة أو الانثى فنحن ، نتناول ذلك من جانبين : جانب الغبن الواقع على كاهل المرأة كفرد ، وهـذا تناولناه بالتفصيل ، والجانب الاخر علاقة الارتباط بين المرأة والرجل ، أى علاقـــة الارتبـاط بينهمـا ·

وهـذا الجانب سوف يقودنا بالضرورة الى تناول معنى هـذا الارتباط ، اى ما سوف يسفر عنه هـذا الارتباط : الاسرة ·

ان الاسرة التى سوف تنبع من المساواة بين الرجل والمرأة ، كمـا أوضحنا سالفا ، سوف تكون أسرة متكاملة ناضجة اجتماعيا ، وسوف تكون هـذه الاسرة سوية ذات مهام جـديدة :

ونحن نتفق مع قول ميريام ف· ووترز
حيث تقول أن الأسرة السوية هى (التى تؤدى واجبات حيوية لصغارها ، فهى تعطى مأوى مريحا وغـذاء سليما ، دون ان يعرضهم هـذا العطـاء للخطر أو يجلب لهم أى قلق · وهى التى تساعد أطفالها على أن ينموا نموا صحيا ، وتغرس فيهم حب الخير والكرامة الاجتماعية · وهى التى تربى اطفالها كى يستطيعوا مواجهة قوانين السلوك العامة فى المجتمع فى المستقبل · وكى يستجيبوا للمواقف الانسانية المتعددة استجابة سليمة · وهى التى تدرب أطفالها على فن الحياة الجمعية ، فى نطاقها الضيق ، عنـدما تكون العلاقات الاجتماعية الانسانية ما زالت بسيطة وحانية · واخيرا هى التى يكون هـدفها الاسمى هـو فطام شبابها لا من الرضاعة ، ولكن من الاعتماد على الغير ، ومن الاعتماد على حنان الاسرة وبساطتها حتى يستطيع شـباب الأسرة أن يهنأ بالكفاح وبالعمل وبأداء الخـدمات خارجها فى محيط علاقات انسانية تكون عادة أكثر حزما وأقـل حنانا وبساطة) ·

تلك هى اسرة المستقبل الملقى عاتق تكوينها على علاقة الارتباط السوية بين المراة المتحررة من اغترابها وبين الرجل المنزوع منه تخلفه الموروث من العادات والتقاليد البالية ، ومن الثقافة الرأسمالية الذكورية ٠

وفى المجتمع المصرى فان معظم الاسر فى الوقت الحاضر غير مستقره أو يشيع فيها نوع من أنواع الارتباك وتعتبر فى نظرنا أماكن غير صالحة لتربية الاطفال ٠ ان التصور الذى طرحناه ونتفق فيه مع « ميريام٠ ف٠ ووترز » هو الذى سيجعل من الاسرة مكانا ملائما وصالحا لتربية الاطفال ٠ وسوف تنتهى ظاهرة الخلل الاجتماعى « Social disovder حيث أن المجتمع بصفة عامة فى مصر يعانى من مظاهر القلق والاضطراب والتناقض فى العلاقات الاجتماعية بين أعضائه ذلك أن المراة وهى نصف المجتمع تعانى هى نفسها من هذا الخلل الاجتماعى الذى ينعكس على الأسر وعلى الجيل الجديد بالضرورة اى على الاطفال اعضاء المجتمع فى المستقبل ٠

وبالقضاء على اغتراب المراة المصرية سوف تنتهى الى حد كبير الاضطرابات النفسية والعقلية بمختلف أنواعها واشكالها ودرجاتها ، لا فى صورها العنيفة فحسب ، بل وفى صورها الحقيقية الشائعة ٠

ذلك انه سوف تكون هناك حركة تربوية صحية تهتم بمشكلات التوافق جميعا ٠ وسوف يكون هناك تنوير للآباء والأمهات وسوف تنظم المدارس بما يتمشى مع مبادىء الصحة النفسية ٠٠ سوف يكون المؤشر على ذلك هو قدرة أفراد المجتمع وخاصة المراة على :

١ ــ التوافق الاجتماعى :

اى قدرة المراة على عقد صلات اجتماعية راضية مرضية علاقات تتسم بالتعاون والتسامح والايثار فلا يشوبها العدوان او الارتياب أو الاتكال او عدم الاكثرات لمشاعر الآخرين ٠

٢ ـ التوافـق الذاتى :

اى القـدرة على التوفيق بين دوافع المرأة المتصارعة توفيقا يرضيها ارضاءا متزنا • وليس هـذا وفقط بل حسم هـذا الصراع والتحكم فيه بصورة مرضية ، والقـدرة على حـل الازمات النفسية حلا ايجابيا انشائيا بدلا من الهرب منها أو التمـويه عليها •

٣ ـ ارتفـاع رصـيد الاحبـاط :

تلك القـدرة على الصمود للشدائد والازمات دون اسراف فى العـدوان والتهور والنكوص واستدرار العطف أو الرثاء للذات •

٤ ـ الشعور بالرضـاء والسعادة :

أى استمتاع المرأة بالحياة : العمل ـ الاسرة ـ الاصـدقاء ، والشعور بالطمأنينة وراحة البال فى أغلب الاحوال •

٥ ـ الانتـاج الملائم :

سوف تنتج المرأة الانتاج المعقول فى حـدود معاملات الذكاء المختلفـة بحيوية واستعداد •

٦ ـ الجهـود البنـاءة :

ذلك هو القدرة على احـداث تغييرات اصلاحية بنائية فى بيئة المرأة وعـدم رضوخها وامتثالها المطلق لما تراه فى جماعتها من معايير وتقاليد فاسدة بالية • باقتناع كامل •

ان الرأى العام اى الاتجاه الذى يشترك فيه عدد كبير من الافراد فى مجتمع معين ، سوف يتغير ويتبدل تبعا للظروف الجـديدة التى سوف يواجهها الافراد وهـذا التغيير لا يقتصر على المضمون فحسب ، بل يتعـداه الى المدى والاهمية

وسوف يتم ذلك عن طريق العلاقة الجدلية بين طرح جدة الموضوع : موضوع اغتراب المراة ، حيث أن الموضوع يرتبط باهتمام المجتمع ارتباطا مباشرا ٠

والامر اذن مرتبط الى حد كبير بقدرة الجادين من العلماء والمفكرين والكتاب المهتمين بقضايا مجتمعهم ، على طرح قضية اغتراب المراة ، قضية نصف المجتمع الذى يحيا فى اغتراب ، والقدرة على طرح المزيد من الحلول لاغتراب المرأة لدفعها خطوات عديدة الى الامام ومعها المجتمع كله ٠

اننا ننهى المبحث بكلمة قيلت عندما اعلنت الجمعية التاسيسية فى ١٧٩٣ فى فرنسا ، كلمة قالتها السيدة الفاضلة العظيمة « أولمب دى جوج » :

« اذا كان من حق المراة أن تصعد الى منصة الاعدام ، فمن حقها أيضا أن ترتقى منصة الخطابة » ٠

وقد فصل رأس « أولمب دى جوج » فى نفس العام ٠

واننا واثقون من ان راسنا لن تفصل ، ومثلنا الكثيرون ، وأن كنا على استعداد لذلك ، دفاعا عن قضايا مجتمعنا ومن بينها قضية تحرير المرأة المصرية من اغترابها ٠

ونحن نردد صيحة السيدة الفاضلة « أولمب دى جوج » ونضيف : (اذا كان من حق المراة ان تصعد الى منصة الاعدام ، فمن حقها أن ترتقى منصة الخطابة ، ان ترتقى مناصب العدل والقضاء ، ان يكون حق الانتخاب اجبارى لها ، وحق التعليم والعمل ٠٠ حقها فى كونها كائن اجتماعى كامل) ٠

المراجـــع العربيـــة للمبحث الأول

١ ـ كارل ماركس ، رأس المـال ، الكتاب الأول ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧١ ٠

٢ ـ فردريك انجلز ، أصـل العائلة والملكية الخاصة ، طبعة عربية ، موسكو ١٩٧٠ ٠

٣ ـ فردريك انجلز ، وضع الطبقة الكادحة فى انجلترا ، مقال مترجم ، ترجمة جورج طرابيشى ، دار الطليعة ـ بيروت ـ سبتمبر ١٩٧٧ ٠

٤ ـ باخـوفن ، حق الأم ، بحث فى حكم النسـاء القـديم على أساس طبيعته الدينية والحقوقية ، مقال مترجم ترجمة جورج طرابيشى ، دار الطليعة بيروت ـ سبتمبر ١٩٧٧ ٠

٥ ـ بول لافارج ، مسألة المرأة ، دار الطليعة ـ ١٩٧٥ ٠

٦ ـ جول جيد ، بصـدد الطلاق ـ الحل ، مقال منشور فى صحيفة « صيحة الشعب » ، ١٢ يوليو ١٨٨٤ ، مقال مترجم ترجمة جورج طرابيشى ٠

٧ ـ ف٠ ا٠ لينين ، الراسمالية وعمل النساء ، مقال مترجم نشر فى البرافـدا فى ٥ مايو ١٩١٣ ، ترجمة جورج طرابيشى ٠

٨ ـ ف٠ ا٠ لينين ،رسائل من بعيد ، الرسالة الثالثة ، ٢٤ مارس ١٩١٧، مقال مترجم ترجمة جورج طرابيشى ٠

٩ ـ ف٠ ا٠ لينين ، المبادرة الكبرى ، موسكو ، يوليو ١٩١٩ ٠

١٠ ـ صلاح حافظ ، التاريخ الجنسى للانسان ، الكتاب الذهبى ـ روزاليوسف يونيــو ١٩٧١ ٠

١١ ـ محمد عماره ، الاسلام والمرأة فى رأى الامام محمد عبده ، القاهرة ، القاهرة للثقافة العربية ، ١٩٧٥ ٠

١٢ ـ محمد عمارة ، الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى ، الجزء الثانى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ٠

١٣ ـ دكتور/رفعت السعيد ، تاريخ الفكر الاشتراكى فى مصر ، القاهرة ، دار الثقافة الجـديدة ، ، ١٩٦٩ ٠

١٤ ـ العفيف الأخضر ، نصوص حول الموقف من الدين (تقديم) ، بيروت ، « دار الطليعة » ، ١٩٧٢ ٠

١٥ ـ صلاح عيسى ، حكايات من مصر ، بيروت ، الوطن العربى ، ١٩٧٣ ٠

١٦ ـ سيد عويس ، من التعبيرات الشعبية المصرية المعاصرة ، المجلة الاجتماعية القومية ، القاهرة ، العـدد الثالث ، المجلد الحادى عشر ، سبتمبر ١٩٧٤ ٠

١٧ ـ محمد عماره ، الأعمال الكاملة لرفاعه رافع الطهطاوى ، الجزء الثانى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ٠

١٨ ـ دكتوره/نوال السعداوى ، المرأة والصراع النفسى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى ١٩٧٧ ٠

١٩ ـ وليم نظير ، المرأة فى تاريخ مصر القـديم ، دار القلم ، ١٩٦٥ ٠

٢٠ ـ حسن محمد جوهر ، المرأة عبر التاريخ ، مكتبة روز اليوسف ، ١٩٧٧ ٠

٢١ ـ القرآن الكريم ٠

٢٢ ـ الأحاديث النبوية الشريفة ٠

٢٣ ـ التلمـــــود ٠

٢٤ ـ ١٠ أ٠ ايفانز بريتشارد ، الانثربولوجيا الاجتماعية ، ترجمة الدكتور أحمد أبو زيد ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٦٠ ٠

٢٥ ـ وليم نظير ، العادات المصرية بين الأمس واليوم ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ ٠

٢٦ ـ جورج سيجال ، تطور المجتمع الانسانى ، نوفوستى ، ١٩٦٩ ٠

المراجـــع العربيـــة للمبحث الثانى

١ – دكتورة/سناء الخولى ، الزواج والعلاقات الأسرية ، دار المعرفـــة الجامعية – الاسكندرية ، ١٩٧٩ ٠

٢ – دكتور/أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، المكتب المصرى الحـديث ، الاسكندرية ، الطبعة الثامنة ، ١٩٧٠ ٠

٣ – دكتورة/انتصار يونس ، السلوك الانسانى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣ ٠

٤ – دكتور/سيد عويس ، حـديث عن المرأة المصرية المعاصرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٧ ٠

٥ – دكتورة/نوال السعداوى ، المرأة والجنس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٤ ٠

٦ – دكتورة/نوال السعداوى ، قضية المرأة المصرية السياسية والجنسية ، كراسات الثقافة الجـديدة ، ١٩٧٧ ٠

٧ – كولن ولسون ، الجنس والشباب المثقف ، الدار المصرية للطباعة والنشر والتـوزيع ، ١٩٧٢ ٠

٨ – جروان السابق ، المرأة فى القرن العشرين ، بيروت ، ١٩٧٣ ٠

٩ – قيس النورى ، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما (مقال) ، مجلة عالم الفكر ، وزارة الاعلام بالكويت ، ابريل – مايو – يونيو ١٩٧٩ ٠

١٠ ـ فردريك انجلز ، اصل العائلة والملكية الخاصة ، موسكو ، ١٩٦٩ .

١١ ـ السيد سابق ، فقه السنة ، الجزء الرابع ، الطبعة الثانية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٦٥ ٠

١٢ ـ المجلات والدوريات :

ـ مجلة صباح الخير ، ندوة الفلاحات ، العدد ١٣٠٢ ، الخميس ١٨ ديسمبر ١٩٨٠ ٠

ـ اعداد مجلة حواء ، ١٩٨٠ ٠

ـ جريدة الأخبار ، أعداد سنة ١٩٨٠ ٠

ـ جريدة الجمهورية ، اعداد سنة ١٩٨٠ ٠

ـ جريدة الأهرام ، اعداد سنة ١٩٨٠ ٠

المراجــع العربيــة للمبحث الثالث

١ ــ د٠ زكريا ابراهيم ، سيكولوجية المرأة ، مكتبة مصر ١٩٧٧ ٠

٢ ــ د٠ نوال السعداوى ، قضية المرأة المصرية السياسية والجنسية ، كراسات الثقافة الجـديدة ١٩٧٧ ٠

٣ ــ د٠ ناهد رمزى ، بحث حول قدرات الابداع عند الفتاة ، مجلة الكويت ، العــدد ٣ ديسمبر ١٩٨٠ ٠

٤ ــ د٠ يوسف ادريس ، د٠ حسين مؤنس ، د٠ عبد الحميد يونس ، الكرامة كلمة لهـا اكثر من مفهوم ، مجلة صباح الخير ، العــدد ١٣٠٨ ، الخميس ٢٩ يناير ١٩٨١ ٠

٥ ــ د٠ سيد عويس ، علم الاجتماع فى بلد اشتراكى ، القاهرة ، مجـلة الطليعة ، ديسمبر ١٩٧٠ ٠

٦ ــ ٠أ ٠أ٠ ايفانز بريتشارد ، الانثربولوجيا الاجتماعية (علم الانسـان الاجتماعى) ترجمة د٠ احمد ابو زيد ، منشأة المعارف الاسـكندرية ١٩٦٠ ٠

٧ ــ د٠ نوال السعداوى ، الانثى هى الأصل ، المؤسسة العربية للدراسـات والبشر ، بيروت ١٩٧٤ ٠

٨ ــ د٠ نوال السعداوى ، الرجل والجنس ، المؤسسة العربية للدراسـات والنشر ، بيروت ١٩٧٩ ٠

٩ ــ د٠ احمد عزت راجح ، اصــول علم النفس ، المكتب المصرى الحـديث للطباعة والنشر ، الاسكندرية ١٩٧٠ ٠

١٠ ــ د٠ انتصار يونس ، السلوك الانسانى ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣ ٠

المراجــع العربيــة للمبحث الرابع

١ ـ رود لفوستافنهاجن ، مقال : « المراة الخفية » ، مقال مترجم ، مجلة رسالة اليونسكو ، العــدد ٢٣٠ سبتمبر ١٩٨٠ ٠

٢ ـ الكسندر برمان ، مقال : المرأة فى المجتمع السوفيتى اليوم ، مقال مترجم مجلة رسالة اليونسكو ، العــدد ٢٣٠ سبتمبر ١٩٨٠ ٠

٣ ـ مارسيا وستكوت ، مقال : المرأة والعلوم الاجتماعية « كسر قبضــة الرجل الخفية » ، مقال مترجم مجلة رسالة اليونسكو ، العــدد ٢٣٠ سبتمبر ١٩٨٠ ٠

٤ ـ نبيل رسلان المجموعة الكاملة للدراسات والتشريعات الجـديدة للمراة العاملة ، كتاب العمل ، العــدد ١٥٥ يناير ١٩٧٧ ٠

المراجـــع العربيـــة للمبحث الخامس

١ ــ ت٠ جورج طرابيشى ، المرأة فى التراث الاشتراكى ، دار الطليعـــة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٧٧ ٠

٢ ــ ليون تروتسكى ــ ت٠ جورج طرابيشى ، الاشتراكية والمرأة ، دار الطليعة بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٧٦ ٠

٣ ــ ف٠ أ٠ لينين ، رسالتين حول الحب الحر ، موسكو ، ١٩٣٩ ٠

٤ ــ ف٠ أ٠ لينين ، رسائل من بعيد ، الرسالة الثالثة ، موسكو يوليــو ١٩١٧ ٠

٥ ــ كلارا زتكين ، ملاحظات من مفكرتى ، دار الطليعة ــ بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٣ ٠

٦ ــ ف٠ أ٠ لينين ، حقوق المرأة بين البرجوازية والبروليتاريا ، الف باء الشيوعية نص مترجم ، موسكو ١٩١٩ ٠

٧ ــ دكتورة/نوال السعداوى ، الرجل والجنس ، المؤسسة العربيـــــة للدراسات والنشر ، ١٩٧٥ ٠

٨ ــ دكتورة/نوال السعداوى ، المرأة والصراع النفسى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٧ ٠

٩ ــ دكتور/احمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، المكتب المصرى الحديث ، الاسكندرية ، الطبعة التاسعة ، ١٩٧٢ ٠

١٠ ــ دكتور/سيد عويس ، محاولة تفسير الشعور بالعـداوة ، القاهرة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ ٠

١١ ــ احمد الخشاب ، مفهوم « صراع » فى علم الاجتماع ، معجم العـلوم الاجتماعية بالقاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ٠

١٢ ــ دكتور/محمد ابراهيم كاظم ، العقوبات المدرسية ، بحث ميدانى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ٠

١٣ ــ دكتور/يحيى الرخاوى ، مقـدمة فى العلاج الجمعى عن البحث فى النفس والحياة ، دار الغـد للثقافة والنشر ، ١٩٧٨ ٠

المراجع الأجنبية للمبحث الأول

1. Simone De Beavior, Secondi Sex.

2. Quoted in Simone De Beavior, The Second Sex, P.xxl.

3. Awgustine, Decivitate Dei 14,11, De Genesi, ad Lit. 11. 42.

4. Tertullian, De Iultn Fem., 1. 1.

5. Augastine, De Sermone Dom. in Monte, 41.

6. Thomas Aquinas, Summa Theologica, ed : English Dominican Province, 3 vols, 1947,1, 76,1.

7. Philippe de Novaire, in Hentsch, P. 84.

8. Sigmund Freud, Some Psychological Consquenoos of the Anatomical Distinct Between Sexes, Collected Papers, vol. 5 (London : Hogavth Press, 1956).

9. Sigmund Freud, New Introductory Lectures in Psycho-analysis, (New York : W. W. Norton; 1933).

10. John Stuart Mill, The Subjection of Women, in a Three Essays. London; Oxford University Press, 1912.

11. Margaret Mead, Sex and Temperement, G. Routledge, London, 1935, De Pomerai, Marriage, Past and Future, London 1930, T. E. James, Prostitution and the Law, W. Heinemann, 1951, Ellis Prost and Shurtz.

مراجع المبحث الثـــانى الأجنبية

1. Erick Fromm, Pear of Freedom, Routledge, 1960. pp. 212-213.
2. Rolo May. Existential Psychology. Random House, 1961.p.36.
3. Bard Wich, J. Douvan, Ein: V. Garnick and B. Moran (eds) woman in sexist Sosiety, N. Y., New American Libaray, 1972.
4. Jerman, L, Papers on eugenics, No. 4, 1974, p. 3.
5. Bard wich.
6. Bowman, op. cit., p. 33.
7. Sherman, Julia A : on the psychology of Woman, challes C. Thomas, Publisher, Spring field, 1971.
8. Sigmund Freud, New Introductory Lectures In Psycho-analysis, New York : W. W. Norton. 1933.
9. Karen Horney, Feminine Psychology, Norton, 1973. pp. 57-58.
10. Ferenczi, Versucheine Genitaltheoric, 1927.
11. Quoted in Karen Horney, Feminine Psychology, Norton, 1973, p. 64 (Groddeck, Pas Buch. Vom. E.S.).
12. Kinsey, Sexual Behavior in the Human Female, W. B. Saunders, 1953.

13. Masters. W. and J. Virginia. Human Sexual Response, Boston : Little Brown, 1966.

14. Jessie Bernard, The Paradox of the Happy Marriage, in Vivian Gornick and Barbara K. Moran, eds, Woman in Sexist Socitey : Studies in Power and Powerlessness (New York : Basic Books, 1971).

15. Phyllis Chesler, Woman and Madness, Doubleday and Co., Inc. New York, 1972, p. 40.

16. Madeline Chapsal, Feminine Plural, New York : Times Book Review, 12 March, 1967.

17. John Stuart Mill, The Subjection of Women in " Three Essays " London, Oxford University Press, 1912.

18. Sigmund Freud, Civilization and its Discontents (New York - W. W. Norton 1972). p. 27.

19. S. Freud, Analysis Terminable and Interminable, 1937, In the Standard Edition of the Complete Psychological Works of S. Freud, Vol. 23. London : Hogarth Press, 1964.

20. Alfred Adler, Sex, Apaper in J.B. Miller, Psycho-analysis and Woman, Penguin, 1937, p. 49.

21. Richard Schacht, " Alienation " George Allen and Unwin Ltd., London 1971. pp. 1 - 13.

22. Lewis A. Coser and Bernard Rosenberg (Eds) Sociological Theory, The Macmillan Company, New York. Second Printing 1964. pp. 519-20.

23. Robert Merton, Social Theory and Social Structure Revised and Larged edition - Glencoe, Ill, Free Press. 1957. p. 50.

24. Adafinifter. Alienation and Social System. John Willey and Sons(Inc. New York - 1972. p. 51.

25. Erick Fromm. The Sane Society. New York. Rinehart and Company. 1955. pp. 110-120.

16. C. Wright Mills. The Sociological Imagination. New York. Oxford University Press. 1959. p. 49.

27. Karl Marx." The Nation of Alienation " (in) L.A. Coser and B. Rosenberg (eds) op. cit., pp. 521-24.

28. Genald Reagan " The Schools and Alienation " (in) F. Johnson. op. cit., pp. 321-338.

29. Jules Henry, Culture Against Man, Penguin Books Ltd. Middlesex, England. pp. 322-28.

مراجع المبحث الثالث الأجنبية

1. Robert. J. Straller, Bedrock of Masculinity and Feminity Paper in J. Miller, Psycho-analysis of woman, Pelican, 1973, p. 218.

2. R. allers : " Psychology of character ". London, Sheed, 1939, pp. 232-233.

3. Cf. H. Ellis : "Psychology of Sex " London, W. Heinemann, 1944.

4. E. Jones : Papers on Psycho-analysis " London, Baillire, 1938, p. 615.

5. H. Deutsch : " Psychology of Women " vol. I. 1944. p. 236-237.

6. Cf. R. Allers : " Psychology of Character ", 1939, Ch. V., pp. 225-226.

7. He lene Deutsch, The Significance of Masochism in the Mental Life of Women (Part I : Feminine Masochism and its Relation to Frigidity). International Journal of Psycho — Analysis II (1980).

8. Sandor Rado, Fear of Castration in Women, Psycho-analysis Quarterly 2 Nos. 3.4. (1944).

9. Karen Horney, Feminine Psychology, Norton, 1973.

مراجع المبحث الخامس الأجنبية

1. K. Marx, Economic and Philosophic manwscripts of 1844. Moscow, 1967, p. 138.

2. Ibid., p. 141.

3. K. Marx, Capital, Vol. I.P. 101, Vol. III, p. 574.

4. Marx Engels, Archives, Vol II, p. 58.

5. Klemer, Richard H. " Marriage and Family Relationships ", Harper and Row, Publishers, Incorporated, New York, 1970.

6. Ina L. Reiss, " Towards a socialogy of the Heterosexual Love Relationship", Marriage and Family Living, 22 (May 1960) P. P. 130-145.

7. Erick Fromm; Man for Himself, Richart and Company, 1947 And Psycho-analysis and Religion, Bantam Books, 1950.

8. Rollo May, Existential Psychology, Random House, 1061. pp. 18—83.

9. Frederick Engeles, the origin of the Family, Selected Works, Progress Publishers, Moscow, 1970. p. 240.

10. Maccoby, E. F., Effects upon children and their Mother's outside Emplogyment, from a modern Introduction to the Family. By Bell and Vagell. London Rot Kegam Paul, 1960 (1st Edition) p. 520.

11. F. Ivan Nye, " Values Family and changing Society " Journal of Marriage and the Family, 29 (May, 1967) p. 247.

12. Teeters, Negley K. and Reine man, John Otto; " The Challenge of Delinquency, " New York Prentice Hall, 1952, pp. 149, 1950.

13. Merle. M. Ohlsen, "Guidance Services in the Modern School"., New York. Chicago, San Francisco, Atlanta, 1964.

الفهرس

رقم الايـــداع بدار الكتب القومية
٨٤/٥٦٨٩

شركة دار الاشعاع للطباعة
١٤ شارع عبد الحميـــد ـــ جنينة قاميش
السيـــدة زينب ـــ القـــاهرة